مركز مصر الجوى

بقلم الطيار احمـــــــــد اسماعيل

نشطت بعض الجرائد المصرية في الأيام الأخيرة الى تسجيل بعض حركات من يدهم مصاير الأمور تسجيلا دقيقا متسائلة عن سيرها وكنهها وقد ذهب البعض الى أن لهذه الحركات المستمرة علاقة بالطيران في هذه البلاد وشئونه لما لمصر بالنسبة للطيران من مركز ممتاز قد يجر على شعبها ويلات لا تقل عن الويلات التى جلبتها عليه قناة السويس في شيء . ونحن وان كنا لا نريد أن نقتفي أثر الصحف فيما ذكرته من أخبار أو نتخبط بدورنا في جو الأشاعات إلا أننا نريد أن نقول هنا كلمتنا عن مركز مصر في العالم بالنسبة للطيران فنقول : أن كلمة عالم الطيران قد اجتمعت على أن جو مصر يعتبر من أحسن أجواء الطيران من حيث التعليم أو من حيث السفر أو أى تجارب تتصل بهذا الفن الجديد . فجوها دائما صحو لا يغير من صفاء لونه ضباب أو سحب أو غيوم وهواؤها باستثناء يوما أو بعض يوم في السنة دائم الاعتدال فلا هو بالشديد العاصف ولا هو بالضعيف الساكن وكلا الحالين للطيار غير مستحب . « والرؤية » في مصر للطيار دائمة الأمكان الى ابعد المسافات التى لا تتوافر رؤيتها لطيار في أى بلد آخر أثناء رحلاته الجوية أو ارتفاعاته التجربية . وأذكر وأنا أكتب هذه السطور أنى ارتفعت مرة بطائرتى فوق برلين وظللت أرتفع حتى وصلت الى ارتفاع عشرة آلاف قدم وكان على أن اظل في هذا الارتفاع ساعة على الأقل مستمرا على رؤية مطاري الذي طرت منه من هذا الارتفاع . وفي جو برلين المظلم وسمائه القاتمة استطعت بجهد أن استمر على رؤية المطار الى أن قضيت المدة المفروضة على في الامتحان فهبطت وأما هنا في مصر فأنك وانت على ضعف هذا الارتفاع لتستطيع أن تميز كل حى من احيائها . لهذه الاعتبارات وغيرها نرى أن الحكومة الانجليزية توفد ابناءها لتعلم الطيران بمدرستها الحربية للطيران بأبى صوير بالاسماعيلية ولا تعجب سيدي القارىء اذ تسمع أن هذه المدرسة الانجليزية الحربية بعينها تعد من أكبر مدارس الطيران الحربي

الاستاذ كمال علوى مدير شركة مصر للطيران

بالعالم . ولم أذهب بك بعيدا ومطار هليوبوليس الحربي (وهو غير مطار الماظة) على قيد خطوات منك فهل اهتممت يوما بزيارته لرؤية استعداده الضخم الهائل وقسم التعليم الحربي به وطائراته الحربية العظيمة؟ اذهب بالله لزيارته أن استطعت إلى ذلك سبيلا وتعال إذن لحدثني عن المقالات الرنانة التي دبجتها أقلام كبار صحفيينا عن الصحراوات وماليها وقد تركت هذه الأقلام قلب القاهرة بل شاطئنا الاسكندري العظيم به مطار ابو قير الحربي وقلب الشرقية الدامي وحلوان المصحة ولم يرحم أزيز الطائرات الحربية ثمة المدنفين حيث هي مصحة. هذه هي المطارات الحربية البريطانية الكبرى في مصر فماذا أعددنا لجيش مصر ولعقبان مصر ولمستقبل جيش مصر ؟ أين هي هذه المطارات التي أعددناها حتى للطيران المدني التجاري في هذه البلاد ! الماظة . والدخيلة . ومرسى مطروح !! يالله . وبلادنا القاصية المنتشرة على شاطىء النيل وقلب الدلتا والمواني الاخرى أليس لهذه ولسكانها من ابناء النيل نصيب من التقدم العالمي ؟ أليس لبلادهم وقراهم وتجاراتهم وأعمالهم مصالح في الطيران ؟ نجد الجواب عن هذا في إحدى صحفنا اليومية الكبرى بل الكبرى جدا حيث ذهبت الى القول بأنه ليس من حق الحكومة في الوقت الحاضر أن تتوسع في سياسة انشاء المطارات وانفاق المبالغ

الطائلة عليها بالنسبة للازمة المالية الحاضرة . . قول جميل ومنطق أجمل هذا الذي ذهبت اليه صحيفتنا الكبرى كيف لا وقد تناست مركز مصر الجغرافي الهام بالنسبة للطيران كما تناست أن أقرب الجارات اليها جادة في تعميم الطيران وانشاء المطارات والمطائر في كل بقعة من أرضها . هذه الجارة هي العراق وقد تكاتفت حكومة وشعبا على نشر الطيران واكتتب أهلوها لشراء الطائرات الضخمة التي تنفع الوطن في حال السلم والحرب. لقد تناست جريدتنا أن اليونان ومجموع سكانها لا يبلغ نصف سكان المملكة المصرية لها اسطولها الحربي العديد القطع ولم تتقاعد عن إنشاء المطارات في كل بلد من بلادها وهي في حاجة الى كل شبر من أرضها. عجيب حقا أن نرى في بلادنا حكومة أجنبية عنا تنشىء في أهم مواقعها المطارات وورشها ومدارسها وكأنها قطعت بأنها باقية بين ظهرانينا أبدا بينما نجد نحن من مواطنينا من يناهض الحكومة إذا ما أرادت أن تنشىء مطارا أو مطارين هي للاغراض المدنية قبل كل شيء .

اليونان وبلغاريا وتركيا والعراق والحجاز واليمن تسام في الطيران فتنهض وتتقدم . وأما مصر فيجب أن تظل نائمة حتى تؤخذ على غرة . وأنا لا ندرى ماذا يكون شأننا بين أمم العالم لو لم يتح الله لمصر ذلك

الطيارة لطفية النادي

الاقتصادي الكبير طلعت حرب باشا وصحبه فأسسوا لها شركة مصرية للطيران ترفع علم مصر واسم مصر بين البلاد الاجنبية . أن هذه الشركة على حداثتها قد أثبتت للعالم جدارة المصري واستعداده لاقتحام كل ميدان . وهاهو مديرها الطيار الاستاذ كمال علوى لا يهدأ له بال حتى يفتتح خطا جديداً لطائرات الشركة التى يديرها . لن تجده قابعا فى مكتبه إلا مفكرا أو آمرا وناهيا وأن رأيته يمتطى ظهر طائرة فلكى يذهب لافتتاح خط جديد فى فلسطين أو سوريا . أليست هذه الشركة الوطنية جديرة بعطف الحكومة والشعب . فاذا قدمت لها هذه أو تلك؟ اعانة بسيطة فى العام الماضى كانت غير كافية لشراء طائرة واحدة أم كلمة ناهضة من جريدة مصرية كان يجب أن تعلم أن فى التوسع فى إنشاء المطارات توسعا فى أعمال الشركة المصرية وزيادة فى عمران وتقدم البلاد .

وغير هذا وذاك فان مركز مصر الجغرافى فضلا عن جوها يعد من أهم مراكز الطيران فى العالم إذ هى حلقة الاتصال بين أوروبا وأفريقيا وآسيا بل واستراليا أيضا ويجب أن يكون موقفنا من هذا العالم الزاخر بأزيز الطائرات متناسبا وعظم أهمية مركز بلادنا أن نظرة بسيطة الى رسم خارطة العالم لتدلك على انك تستطيع على ظهر طائرة أن تصل إلى اليونان فى نفس اليوم الذى تغادر فيه القاهرة وانك تستطيع أن تصل إلى ألمانيا فى اليوم التالى ثم إلى انجلترا أو إلى هولاندا واسوج فى اليوم الثالث هذا اذا نظرت شمالا وأما إن نظرت غربا فأنك واصل فى يوم إلى تونس فإيطاليا أو الى رباط فاسبانيا. وانظر الى الشرق فأنت واصل فى بضع ساعات إلى دمشق قلب سوريا ثم إلى الاناضول فتركيا شمالا أو إلى بغداد فبوندشاير فباكو فكلكتا فبانجكوك فيابانيا فى أقصى الجنوب الشرقى فى بضعة أيام . وبقفزة من هناك فأنت فى استراليا ؛ ومن القاهرة تستطيع أن تصل إلى الحجاز فى ست ساعات والى اليمن أو إلى السودان فى يوم . ولم أذهب بك بعيدا والناطقة هى حلقة الاتصال بين البلاد الاسيوية وغرب افريقا ؟ ولم تدل سجلات الطيارين إلى اليوم بعد على أن واحد منهم قطع المسافة بين انجلترا والصين أو ألمانيا ومدينة الرأس فى جنوب افريقا أو إيطاليا واليمن أو اسبانيا والبحرين أو رومانيا أو هولندا والهند دون أن يمر بالقاهرة بل قل دون أن يمر بالمانظة هذه البقعة التى لا يهتم بها مصرى شعبى أو حكومى فى وسط الصحراء . أن مصر وهذا مركزها لمطالبة شعبا وحكومة بالأخذ بيد الطيران والطيارين



طائرة فخمة بها ثمانى مقاعد ومحركات وهى من طائرات شركة مصر للطيران

آلات القوة وأثرها فى الاجتماع

للاستاذ سلامه موسى

هناك حيوانات تستعمل الآلات كالقردة التى تعتمد على العصا وتحذف الناس بالجوز من نخل النارجيل . ولكن ليس هناك حيوان يصنع الآلات غير الانسان . ويمكن أن نعرف الانسان تعريفا مانعا بانه «حيوان يصنع الآلات»

ووسيلة الانسان الى صنع الآلة هى يده . وقد كانت اليد — قبل اللسان — سبيلا الى الذكاء لأنه



مثال من آلات القوة فى مصانع شركة مصر للغزل والنسج فى المحلة الكبرى

كان يتناول ويصنع بها الاشياء فيعبر عن المراقبة بيده فى وقت لم يكن قادرا فيه على التعبير بلسانه . وكما أن العجينة التى يلعب بها الطفل تشحذ ذكاءه وهو بعد قليل الالفاظ ، كذلك كانت اليد فى فجر الانسانية تشحذ الذكاء بالتناول والعبث وصنع الاشياء . ومازلنا الى الآن نرى التفاعل - كدت أقول التفاهم - قويا بين الدماغ واليد ، هذه اليد التى لولاها لما اخترع الانسان واحدة من الآلات الحديثة أو القديمة

— ١ —

كانت الآلات القديمة امتداداً لليد ، كالعصا أو المقلاع أو القوس . فاننا نطيل أيدينا بهذه الآلات . أو كانت تقوية لها أو زيادة فى كفايتها . كالفأس أو السكين . فاننا نعمل بها أكثر مما نعمل باليد قوة مؤدية .

ثم استخدم الانسان بعد ذلك الماشية والماء والهواء فى إدارة الآلات للطحن والرى

ولكن كل هذه الآلات ليست شيئا فى جنب الآلات الحديثة التى تدار بالفحم أو البترول أو القوة الكهربائية . ونحن حين نذكر « الآلات » وأثرها فى الاجتماع أو الأخلاق نعنى هذه الآلات التى تدار

بالقوة أى لا تديرها اليد . وآلات اليد هى الآلات القديمة وآلات القوة هى الآلات الحديثة . أو يمكن أن نقول أن آلات اليد هى آلات الأمم الشرقية وآلات القوة هى آلات الأمم الغربية . والفرق بين الاثنتين هو فرق بين صانع الأحذية فى مصر وبين مصنع باتا فى تشكوسلوفاكيا . ففى حين يقضى صانعنا يوما كاملا لكى يصنع بأزميله حذاء واحداً يمكن الصانع فى مصنع باتا أن يخرج مائة أو مائتين من الاحذية بآلات القوة فى يوم واحد

— ٢ —

وآلات القوة هذه هى أصل الحركة الصناعية . هذه الحركة التى فصلت بين الشرق والغرب بل جعلت الغرب يستعمر الشرق

بدأت هذه الحركة الصناعية فى انجلترا التى صنعت آلات القوة بما عندها من الفحم . فالانجليز هم الذين اخترعوا آلات القوة وهم أصل الحركة الصناعية فى العالم كله . فان بلادهم جمعت بين الفحم والحديد فكانت منهما الآلة التى استخدمت فى الصناعات فلات الأسواق بالمصنوعات التى يعجز الجمهور عن شرائها . ومن هنا الازمة التى يعانيها العالم كله

فقد قيل مراراً أن الازمة الحاضر هى أزمة الكثرة أى أن المحصولات والمصنوعات كثيرة جداً والناس عاجزون عن شرائها . وهذا حق

— ٣ —

لما بدأت الحركة الصناعية بآلات القوة أنتجت نتيجتين سريعتين :

الأولى أنها قتلت الصانع الصغير الذى كان يعمل بآلات اليد وصحيح أنها لم تبده كل الابادة فى جميع الصناعات . ولكن بعض الصناعات التى كانت تعتمد على اليد زالت تماماً من الوجود لأن المصانع الكبرى صارت تعمل بآلات القوة أكثر مما يعمله الصانع القديم مائة ضعف . وقد كان عندنا فى مصر قبل مائة سنة غزالون ونساجون بادوا وبادت صناعتهم أمام الوارد من المنسوجات الأجنبية التى تنسجها آلات القوة

النتيجة الثانية التى أنتجتها آلات القوة أنها جذبت العامل من الريف إلى المدن . فانحطت الزراعة فى الأمم الصناعية وهى الريف وتضخمت المدن . وكان من اجتماع العمال فى المدن آثار اجتماعية واقتصادية كبيرة وثم نتائج أخرى جاءت عقب ذلك

— ٤ —

ان المتأمل لتاريخ القرن التاسع عشر يجد أنه قرن الحركة الصناعية وفى الوقت نفسه عصر الاستعمار . فان من شأن آلات القوة أن تنتج انتاجا كبيراً يفيض عن حاجة الأمة . وعندئذ تضطر الأمة الى البحث عن أسواق جديدة

فالاستعمار الحديث هو نتيجة الحركة الصناعية . وقد عاشت اليابان أكثر من الف سنة وهى لا تعرف الاستعمار ولكنها الآن فى نهضة صناعية قائمة على آلات القوة والانتاج الكثير . وهى لهذا السبب نفسه فى نهضة استعمارية تريد أن تستعمر لكى تحصل على المواد الخامة التى تحتاج اليها صناعاتها كما تحصل على الأسواق التى تبيع فيها منتجاتها الصناعية

وبدهى أنه عندما تصطدم أمة زراعية بأمة صناعية يجب أن يكون التفوق للثانية على الأولى لان آلات الحرب التى تقرر الفوز هى ثمرة الصناعة وليست ثمرة الزراعة . ومن هنا هذه النتيجة التى نراها لآلات القوة وهى أنها قررت التفوق الحربى للأمم الصناعية على الأمم الزراعية

— ٥ —

ونتيجة أخرى لظهور الآلة : هى تجميع العمال فى المدينة . فقد كانت الصناعات موزعة قبل القرن التاسع عشر فى القرى وكان لكل امرأة مغزلها ولكل صانع مصنعه الصغير يعمل فيه مالكا وأجيراً معا . ثم ظهرت آلات القوة فالغت هذا الصانع ودفعت الاجور الكبيرة

للفلاحين فهجروا الريف الى المدينة

وكان من تجمعهم فى المدينة هذه الحركات الاجتماعية الجديدة التى نراها فى النقابات وأحزاب العمال بل جرائد العمال وحرية المرأة الغربية ترجع الى هذا الوسط الصناعى فى المدن . فان المرأة التى تعيش فى الريف فى أوربا أو أمريكا لا تزال كالمرأة الشرقية أو قريبة منها . ولكن المرأة التى تعمل فى المصنع أو المكتب فى المدينة تحس من استقلالها الاقتصادى بحرية وتعتنق آراء اجتماعية تتفق وهذه الحرية

—٦—

والآلات هى أساس الازمة الحاضرة . فان المصانع التى تديرها آلات القوة قد أصبحت تعمل بالحديد والنار ما كان يعمل قبل بيد الانسان . وهناك مصانع تؤسس الآن وتدار بالقوة الكهربائية ولا يزيد عمالها على خمسة أو ستة ومع ذلك تنتج من غزل الزيوت ما يحتاج لاخراج مثله الى نحو مائتى عامل يعملون بأيديهم . وآلة الطباعة من الآلات العجيبة فى أيامنا وقد حسبت ذات مرة ما تخرجه مطبعة كتلك التى تطبع البلاغ أو الكوكب أو الجهاد فوجدت أنها بثلاثة عمال فى آلة الطبع ونحو عشرين عاملا فى جمع الحروف تستطيع أن تخرج فى يوم ما لا يستطيع اخراجه مائة ناسخ يعملون كل يوم مدة عام

فهذا هو حالنا فى آلات الطباعة . وهذا هو حال أوربا فى جميع الصناعات تقريبا . ومن هنا الازمة . فان المصانع تحتاج الى عدد قليل من العمال فى حين هى تنتج مقدارا كبيراً جداً من البضائع . ثم ماذا ؟

ثم تعرض البضائع فتجد الجمهور — ومعظمه عمال عاطلون — غير قادر على شرائها

—٧—

أننا نشكو فى مصر عطل المتعلمين . ولكنهم فى أوربا وأمريكا يشكون عطل العمال الذين كانوا يعملون فى المصانع . وما دامت الآلات تتقدم ويمكن تقدمها أن يقوم الحديد والنار بالعمل الذى كان يقوم به العامل فان العطل سيزداد . فالازمة من هذه الناحية — ناحية تقدم آلات القوة — صائرة الى التفاقم وليست صائرة الى الحل

ولكن هناك — لحسن الحظ — وجهاً آخر للأزمة يبعث على التفاؤل وهو حلها من الناحية المالية . هذه الناحية التى أقدمت عليها بريطانيا ثم الولايات المتحدة حين خرجتا عن قاعدة الذهب بل أقدمت عليها اليابان إقداماً يشبه الانتقام حتى جعلت نقدها أقل من ثلث قيمته الذهبية

—٨—

هل الآلات نعمة أم نقمة ؟

هى الآن فى الازمة الحاضرة نقمة لا شك فيها لأنها من أعظم الأسباب للعطل الحاضر . ولكن يجب الا نستقبل المستقبل بالتشاؤم . فان هذه الأمم التى يعد فيها العاطلون بالملايين فى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا وغيرهن لم تشك الى الآن الجوع . فانها تمنح عاطليها الاعانات المالية الكبيرة

وهذا العطل عند التأمل الدقيق لا يختلف كثيراً عن الفراغ الذى يتمتع به الأغنياء الذين يعيشون من أجرة عقاراتهم أو من أرباح الأسهم التى يملكونها . وإذ كان هناك فرق فهو فى الدرجة فقط . ومن هذا الفراغ الذى « يتمتع » به العاطلون الآن فى الأقطار الصناعية يمكننا أن نلمح شيئاً من المستقبل حين يكثر الفراغ ولا يحتاج الناس الى العمل إلا وقتاً قصيراً جداً من النهار وحين تكثر المصنوعات وتتوافر لجميع السكان بعد أن يصلح النظام النقدي فيؤدى الخدمة التى تطلب منه بين المنتج والمستهلك

ومتى توافر الفراغ لجميع السكان وخف الزحام على العيش لكثرة البضائع التى تخرجها المصانع ، فان قواعد جديدة ستنشأ فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد

—٩—

قواعد جديدة سوف تبدل من معايش الناس

وآرائهم، وأول ذلك أن الاقتصاديات ستأخذ الاعتبار الأول عند جميع الحكومات . وهذا هو الذى نراه الآن عند ما نقرأ الأخبار الخارجية . فان المجان والمؤتمرات والمعاهدات إنما تؤلف من أجل المسائل الاقتصادية ، ويقول الفاشيون من أنفسهم أنهم قد جعلوا الاقتصاديات أساس الحكم

بل لقد دخلنا فى هذا الطور منذ الآن بل منذ أن تفاقت الأزمة : فحديثنا وحديث الصحف والحكومات هو الذهب والورق، والآلات والعمال، والعطل والعمل، والديون والقطن واحراق المحصولات أو تحديد الارض التى تزرع فيها ، البترول الطبيعى والبترول الصناعى ، وماذا تنوى ألمانيا أن تعمله عندما أعلنت أنها يمكنها أن تستغنى عن المواد الخامة وهل نجحت بريطانيا فى استخراج البترول من الفحم

هـذه هى المسائل التى تشغل بال الرجل المتمدن بعد أن كانت تشغله المسائل السياسية والدبلوماتية وهذا مثلا وزير الزراعة فى بريطانيا [illegible] البوتيزكى الحكومة النقابية ويدعو اليها لأنها تقوم على [illegible] اقتصادى

وهذه الأزمة الحاضرة التى أحدثتها آلات القوة قد جعلتنا نفهم شيئاً جديداً عن النقد ، وهو أن مهمة النقد أن يساعد على الاستهلاك ولا بد أن الابتكار فى الوسائل النقدية سيتجه هذا الاتجاه فى المستقبل لأن كل حكومة ستجعل همها الأول ترغيب الجمهور فى الشراء

ومتى كان الأمر كذلك فاننا سنرى عجبا فى النظام النقدى

وسوف يتجه التعليم فى المدارس وجهة أخرى غير وجهته الحاضرة ، فان جميع المدارس فى العالم كانت ولا تزال الى الآن تعلم الطالب حرفة يعيش منها أو هى تظن هذا الظن ، ولكن آلات القوة ستوفر العيش كما ستوفر الفراغ ، فلن يكون الزمن بعيداً حين لا يحتاج الانسان الى أن يعمل أكثر من أربع ساعات فى اليوم ، وعندئذ يجب أن يعلم كيف يقضى فراغه

وليس قضاء الفراغ سهلا كما نتوهم ، فان تفشى الحانات والمقامر والمراقص الخليعة والدرامات السينمائية السخيفة تدل على أننا لا نحسن استغلال الفراغ .
وليس فى العالم الآن « وزارة معارف » تعد نفسها لهذا العصر القريب وتهيىء الطالب لأن يستخدم فراغه الاستخدام المفيد حين يترك المدرسة أو الجامعة ويجد أن المصنع أو المكتب لا يطلب منه سوى أربع ساعات للعمل وعليه أن يتصرف بباقى يومه

ثم يجب الا ننسى أن الأزمة وآلات القوة والمصانع الكبيرة هى ثمرة العلم . ولذلك لن يسع الأمة الصناعية أن تهمل الثقافة العلمية . ونحن نرى مبادىء هذه الثقافة فى الولايات المتحدة فان مجلاتها الأسبوعية والشهرية التى تباع النسخة منها ببضع مليمات هى مجلات علمية . بل هى تنشر نشرة علمية لازمة . والاهتمام يزداد كل يوم بالعلوم . والعلم هو الداء والدواء فى الأزمة الحاضرة

وقد عرفنا كيف أن آلات القوة قد أثرت فى الريف فجذبت سكانه الى المدن وكانت سبباً قوياً لاهمال الزراعة أحيانا . ولكن الآلات الكهربائية قد عادت تحيى الريف لأنها تنقل اليه القوة وتخفف الجهد أو تلغيه فى الانتاج الزراعى .

ولكن الأمل فى بقاء بعض المحاصيل مثل القطن أمام التقدم فى الكيمياء الصناعية ليس كبيراً مع ذلك، وهذا على كل حال ليس موضوعنا الآن

ومحور الموضوع كله أن آلات القوة قد قلبت الاقتصاديات فبدلا من أن تكون العقدة التى تتطلب الحل قائمة على قلة المحصولات والمصنوعات وكيف تمكن التصرف فيها حتى تكفى الناس ، قد أصبحت الآن قائمة على كثرة هذه المحصولات والمصنوعات وكيف السبيل إلى تمكين الناس من شرائها واستهلاكها
وهذا انقلاب خطير فى تاريخ البشر

العرب تحت أقدام فرنسا

الاقطار العربية فى افريقيا الشمالية

كانت الامم الاوربية تفخر بامبراطوريتها أما الآن فتعتذر عنها . وكانوا يقولون فى انجلترا أن الاستعمار هو « عبء الرجل الابيض » أما الآن فهم يعترفون بأنه عبء الرجل الأسود . والسبب لهذا الانقلاب هو تفشى الروح الديمقراطى وخاصة ظهور الأحزاب الاشتراكية التى تعطف على الامم المغلوبة وتطلب لها الاستقلال . وقد ابتدع الرئيس ولسون مبدأ الانتداب فكان خطوة فى سبيل الاستنكار للاستعمار والتوسع الامبراطورى . واعيد الى بولاندا استقلالها واستقلت تشكوسلوفاكيا وهنغاريا ثم ظهرت حركة الهند الرائعة كما ظهرت الحركة المصرية والتنبه العام بين الامم العربية

وكان ظهور هذه الحركات ماحقاً لدعاة الامبراطورية لأنه أثبت أن الأمة لاتنال الكرامة التى تستحثها على النهوض الا إذا جعلت الاستقلال غايتها . وأنها اذا فقدت هذه الرغبة فى الاستقلال فانها تفقد أعظم فضائلها حتى ليعود التنافس بين عظمائها فى التذلل للحاكم الاجنبى وابتغاء مرضاته فتفشو بينهم الرذائل

ولهذا السبب لا يدافع الانجليز عن مكانهم فى مصر أو الهند بحق الفتح لأنهم يعرفون أن هذا الحق فى النظر الحديث الراقى ، هو حق باطل لا يستتبع امتيازا بل يستتبع تعويضا للأمة المقهورة . وهم لا يستطيعون أن ينكروا على مصر أو الهند حركتها الوطنية . وكل مايتعللون به للبقاء هو عقد معاهدات وتدوين شروط لتنظيم الارتباطات القائمة

***

ولكن فرنسا تختلف من بريطانيا . فليس فيها ما يدل على أنها تندم أو تخجل من فتحها للجزائر أو توسعها باحتلال تونس ومراكش . وهى تدرب الحركات الوطنية فى هذه الاقطار الثلاثة بالسيف والنار وتسلط عليها « الفرقة الأجنبية »

وهذه الفرقة الاجنبية يجب أن يعرفها القارىء المصرى لكى يقف منها على قيمة المبادىء الفرنسية ، الحرية والاخاء والمساواة ، مبادىء الثورة ، فى حكم الشعوب العربية . فان الفرنسيين الذين يزعمون كراهتهم للفاشية يحكمون

مولاى سيدى محمد سلطان مراكش

هذه الأقطار العربية الثلاثة على مبادىء الفاشيين . وقد سمعنا نحن فى مصر عن مظالم انجلترا فى الهند ولكن مظالم فرنسا فى افريقيا أفظع وأقسى . فان الجندى بطبيعة جنديته وتربيته العسكرية أقرب الى القسوة منه الى الرفق . وهو كذلك حتى ولو كان فى وسط بلاده يهدىء فتنة تشتعل بين أبناء وطنه . فكيف به إذا كان أجنبياً ؟ ثم كيف به إذا كان آفاقيا لاينتمى الى امة معينة . فان « الفرقة الأجنبية » تحتوى نحو ٢٠٫٠٠٠ مقاتل تجمعهم فرنسا من المشردين فى العالم وتجعل معسكراتهم فى افريقيا الشمالية وهم الآن أو معظمهم فى مراكش لمقاتلة المراكشيين . والجندى فى هذه الفرقة يكون صينيا أو سودانيا أو روسيا أو هنديا أو امريكيا وهو عندما يتجند فى هذه الفرقة يجب أن يقطع صلته بامته الأصلية ولا يعرف وطناً له غير هذه الفرقة . وبديهى أنه فى هذه الحال لا تربطه بالعالم تلك الروابط الاجتماعية ، روابط الأسرة والوطن والرأى العام والدين ، هذه الروابط التى تكسبه المروءة حتى وهو جندى . فهو منبت يعيش وهو يعرف أن مهمته فى هذه الدنيا قتل أعداء فرنسا . وهو الآن فى مراكش لكى يؤدى هذه المهمة

ومع كل ماقيل عن فظائع بريطانيا فى الهند أو اليابان فى منشوكيا فانه لم يسمع قط أن واحدة منها الفت فرقة « أجنبية » على هذا النمط الذى لايمكن أن يتفق والأخلاق السامية

* * *

وقد رأينا عقب الحرب الكبرى من فظاعات الانجليز فى مصر اشياء لا ننساها كما رأى الهنود فى أمريتسار وغير أمريتسار فظاعات اخرى مشابهة . ولكن ليس فى تاريخ بريطانيا كله شىء يشبه هذه الفرقة الأجنبية التى سلطت على المراكشيين بعد أن سلطت على السوريين وليس فى تاريخ بريطانيا شىء يشبه ضرب دمشق بالقنابل على أيدى هذه الفرقة

واذا كانت ايطاليا الفاشية قد شنقت عمر المختار وشرعت تنقل الأسر الايطالية من ايطاليا الى طرابلس حيث تسكنها وتقطعها الأرض ، فهى لم تبتكر هذه الأساليب بل تعلمتها من فرنسا : فان

باى تونس صاحب السمو احمد باشا

الأسر الفرنسية الآن تملك الأقاليم الشمالية فى كل من تونس والجزائر فى حين يتقهقر العرب نحو الصحراء حيث الأرض تقل خيراتها ويصعب العيش على المقيمين فيها

وفى جميع الامم التى نكبت بالمبادىء الأمبراطورية نجد حركات وطنية محترمة ، ولزعماء هذه الحركات حرمة وكرامة تعرفها الأمة المعتدية ، وللرأى العام قوة ، اما فى الأقطار العربية التى تضع فرنسا أقدامها عليها تونس والجزائر ومراكش ، فان الصحافة مقيدة بقيود ثقيلة وحرية الخطابة أو التأليف أو الاجتماع لا تعرف

***

وقد كانت الجزائر أولى الأقطار التى وقعت تحت أقدام فرنسا . وقد ألغت فرنسا استقلالها وجعلتها جزءا متمما لفرنسا فلها الآن نواب وشيوخ فى البرلمان الفرنسى . وليس لها حاكم من أهلها لا ملك ولا أمير ولا سلطان . وانما يحكمها الحاكم الفرنسى وهو الذى يحضر الميزانية التى تتميز من الميزانية الفرنسية . ولكن بعض المصالح فى الجزائر تتصل مباشرة بالوزارات فى باريس . وسن القوانين من حق البرلمان الفرنسى وحده

ويبلغ سكان الجزائر ٤٥١ ر٥٥٣ر٦ منهم ٦٦٣ر٦٣٢ ر٥ عربى و٧٨٨ ر ٩٢٠ اجنبي . ومساحة الأرض الزراعية ٢٤ مليون فدان منها ٧٩٧ ر٧٩٣ ر٥ فدان فى الأقاليم الشمالية وهى أخصب الأرض الجزائرية ويملكها كلها الفرنسيون أما الأقاليم الجنوبية فتتصل بالصحراء ويملكها الجزائريون العرب وهم يزرعون فيها الشعير وكثيرا ما تقل الأمطار فيحدث القحط

وقد مضى على احتلال فرنسا للجزائر أكثر من مائة سنة . ومع ذلك لم تفعل شيئا لترقية الجزائريين ولنضرب مثلا على ذلك بحالة التعليم النسائى . فى الجزائر ٦ مدارس ثانوية للبنات بها ٣٢٤٠ تلميذة منهن

٣١٥١ فرنسية وأجنبية

٨٩ عربية

وهناك احصاء آخر عن المدارس الثانوية للذكور فانها تبلغ ١١ مدرسة بها ٧٦٧٨ طالب منهم

٦٨٤٦ فرنسى وأجنبي

٨٣٢ عربى

أما المدارس الأبتدائية فلا يتعلم فيها الجزائريون الهجاء العربى بل الهجاء الفرنسى . وفى هذا ما يكفى لكى يدل القارىء على فناء الشخصية الجزائرية

***

أما تونس لحماية فرنسية يحكمها الباى الذي لا يتصرف فى شأن من الشئون إلا برأى المقيم العام الفرنسى . ويبلغ سكان هذا القطر ٦٩٢ ر ٤١٠ ر ٢ منهم ٢٩٣ ر ١٩٥ أجنبى . ويلاحظ القارىء أن فرنسا تساعد الأجانب على الهجرة إلى تونس والجزائر لغرض تبغى تحقيقه قد نجحت فيه إلى حد كبير هو قتل القومية العربية

وفى المدارس التونسية ٥٥٤ ر ٨٦ تلميذ منهم ٧٦٢ ر ٣٧ مسلم . والباقى من الاجانب واليهود . وعاصمة تونس تحتوي ٤٠٥ ر ٢٢٠ من السكان ليس فيهم من المسلمين سوى ٨١٠ ر ٨٩

والخطة التى اتبعتها فرنسا فى أسكان الفرنسيين فى الاقاليم الشمالية فى الجزائر حيث الارض الخصبة والمناخ البحري المعتدل تتبعها الآن فى تونس . وإذا لم تجد معارضة فانها ستنجح فى تحقيقها . ومتى تقهقر الوطنيون إلى الصحراء فانهم يعودون فقراء لا تخشى منهم حركة وطنية لان الفقر يعمم الجهل والضعف معا

* * *

أما القطر الثالث الذى تحكمه فرنسا فهو مراكش وهى تحكمه عن طريق سيدى محمد ثالث أبناء مولاي يوسف . وهو أمير المؤمنين فى كل من مراكش الاسبانية والفرنسية . وهو يقيم فى المنطقة الفرنسية وينيب عنه نائبا فى المنطقة الاسبانية . ومراكش هى الآن حماية فرنسية ويبلغ سكانها :

فى المنطقة الاسبانية ٧٥٠٠٠٠

« « الفرنسية ٤٣٥٠٠٠٠

وفى مراكش ١٢٠٠٠٠ يهودي يدخلون فى الرعوية فتتقوى بهم فرنسا . ومع أن فرنسا لم تمض عليها مدة طويلة فإن الاجانب يملكون الآن ١٧٢٩٠٠٠ فدان . والتعليم فى غاية التأخر بين المراكشيين . ولكن للاجانب ١٧٠ مدرسة بين ابتدائية وثانوية للبنين والبنات . وعند المراكشيين مدارس عتيقة تلقن الطلبة ثقافة شرقية عقيمة لا ينتفع بها فى تنازع البقاء مع الأجانب . فإن الأجنبى يتعلم التجارة والصناعة ومعالجة الدفاتر والحسابات التجارية والكيمياء وحركات البورصة والجغرافيا التجارية فى حين يتعلم المراكشى فى تلك الكتب العتيقة التى يعرفها طلبة الأزهر عندنا . فاذا تخرج كلاهما وجد الاجنبي الأعمال الحرة مفتوحة أمامه فى حين يجدها المراكشى مقفلة

* * *

وبهذه المناسبة نقول أن الحاكم العام فى المنطقة الاسبانية يعارض فى إنشاء المدارس الحديثة ولكنه يوافق على أن يتعلم المراكشيون فى مدارسهم القديمة وأن يؤسسوا منها مايشاءون . وذلك بالطبع لقناعته بأن هذه المدارس العتيقة لا تبعث بين المراكشيين أية نهضة يخشى منها على مركز الاسبانيين أما المدارس الحديثة فتبعث روح الوطنية والاستقلال السياسى والاقتصادي وتخرج عن المرأة بإخراجها من البيت فتقوى الأمة ولا يستطاع بعد ذلك اخضاعها واستقلالها . وهو مصيب فى نظره . فإن الانجليز الامبراطوريين لا يخشون الأزهر ولكنهم يخشون المدارس المصرية الحديثة فى مصر : وفرنسا تخشى وطنية الشبيبة ولا تبالى وطنية الشيوخ الذين يقرأون مجلة المنار

* * *

هذه هى قصة الاقطار العربية الثلاثة التى تدوسها فرنسا بأقدامها وتحمل « الفرقة الاجنبية » تحرسها وتقمع فيها أية حركة وطنية . وقد شرحنا لك ما هى هذه الفرقة الاجنبية

والآن هل يجوز لنا نحن المصريين أن نسكت على الذل الذى يعانيه هؤلاء العرب ؟ ولماذا لا تكون لنا بعثات وكتب وصحف ومدارس وجمعيات تبعث الحركات الوطنية فى هذه الأقطار وفى طرابلس أيضا ؟

لقد انبعثنا فى حماسة هائلة لقتل البطل المختار ثم انطفأت الحماسة . وما أدرانا أن فى هذه الاقطار الثلاثة الأخرى مئات بل ألوف من أشباه عمر المختار قد راحوا ضحية الامبراطورية الفرنسية

حديث مع الدكتور طه حسين

لم يسلم الأدباء من النكسة التي أصابت البلاد وجثمت على صدرها كالكابوس منذ أن تولى اسماعيل صدقي باشا رياسة الوزارة . فان هذه النكسة كانت تبدو في ظاهرها سياسية فقط . ولكن رويدا رويدا اتضحت الحقيقة للأمة وهى أن النكسة السياسية لا يمكن أن تنجح وتحقق مآربها ما لم ترافقها نكسة اجتماعية . ومن هنا رأينا دعاة النكسة لا يطلبون ان يكون برلماننا مثل مجلس شورى القوانين فقط بل يطلبون أيضا رجعية أخرى في الأدب والاجتماع حتى عدنا نسمع المديح لحجاب المرأة . وأصبح لانقلابهم شأن أي شأن في حياتنا السياسية والاجتماعية والادبية

وقد كان الدكتور طه حسين واحداً من الضحايا العديدين لهذه النكسة . ولا بد أن الجمهور سيقف على مبلغ ما كابده الادباء يوم تكتب المذكرات ويكشف فيها عن المكتوم من الآلام هذه الايام . فان الكاتب المصري الحر قد لقي وما زال يلقى من العنت ما يجعل الحياة شاقة عليه في مصر . ومن أعجب ما في هذه النكسة انها باضت وأفرخت في الأدب فصار لها كتاب يدافعون عنها

ولعل أكبر ما يعزى الادباء الاحرار في هذه النكسة أن الجمهور ما زال يتعلق بهم ولا يبالي صيحات المتنكسين . والبرهان على ذلك هو الدكتور طه حسين فانه ينال من حب الجمهور شيئاً عظيماً يضطغطه وهو بجهاده السابق والحاضر جدير بهذا الحب . وقد استطاع بهذا الجهاد أن يجدد في الأدب وأن يوحى الى طلبة الجامعة نهجاً جديداً في النقد وهذه هي مهمته التي كان يجب أن يتفرغ لها لولا النكسة التي ذكرناها والتي يبدو من طوالعها أن دعاتها ينوون — اذا استطاعوا — أن يردوا الامة الى القرون المظلمة

الدكتور طه حسين

ولكنهم لن يستطيعوا ذلك، لأن البيئة الاجتماعية التى اختمرت فانبتت طه حسين مستطيعة أيضا أن تنبت مثله يدعو دعوته الى التجديد . والامة مصرة اصرارا لا شك فيه على أنها تريد أن تعيش فى القرن العشرين وأن يكون مزاجها الذهنى سواء فى الاجتماع أو السياسة أو الأدب مزاج أبناء هذا القرن : واذا كان أحد يظن أن طه حسين وزملاءه من الادباء الاحرار قد انهزموا وخنسوا امام الرجعية الواثبة فهو مخطىء لأنه يأخذ بالظواهر . وهو اذا تأمل لم يجد بدا من الاعتراف بأن هؤلاء الأحرار منتصرون ان لم يكن اليوم فغدا

وبعد فها هنا كلمات ننقلها الى قرائنا من حديث تفضل به الدكتور طه حسين :

قلنا — تستعد الحكومة الآن للاحتفال بمرور الف عام على بناء الجامع الأزهر ، فهلا تتفضلتم بهذه المناسبة أن تدلوا الينا برأيكم فى الأصلاحات الواجب ادخالها على الجامعة الأزهرية لكى تكون متمشية مع روح العصر ، فتصبح ذات أثر طيب فى حياتنا الثقافية والاجتماعية :

قال — أظن أنى أعلنت رأيى فى إصلاح الأزهر غير مرة، ولعلى أشرت اليه فى الجديدة نفسها منذ أعوام . وخلاصة هذا الرأى أن الأزهر جامعة دينية إسلامية فيجب أن تبقى كذلك والا تحاول الخروج عن هذه الخطة التى رسمها لها التاريخ . لأنها ان حاولت ذلك لم تبلغ منه ما ينبغى لها ، وقد تصرفها هذه المحاولة عن إداء واجبها الدينى على وجهه ، فتصبح كالنعامة فى رأي الأسطورة العربية القديمة ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين . ولست أريد للأزهر أن تنقطع الصلة بينه وبين الحياة العلمية الحديثة فأنا أبعد الناس عن هذا الرأي . وأنا أعتقد أن اتقان الأزهريين لفروع الثقافة الحديثة شىء لا بد منه ، ولكن على أن يطلبوا هذه الثقافة فى مظانها ، ولا ينقلوا الأزهر

بدرسها والتفرغ لها . ولست أدري ما الذى يمنع الأزهري من أن يشارك المصريين جميعاً فى التعليم الأولى ثم يشارك المصريين المثقفين فى التعليم الابتدائى والثانوي كلاهما فى المدارس المدنية ، حتى اذا ظفر بالبكالوريا تخصص فى فرع من فروع العلوم الدينية فحقق بذلك غرضين لا بد منهما :

الأول أنه شارك المصريين فيما يكون وحدتهم الوطنية والعقلية من هذه الثقافة العامة . الثانى أنه هيأ نفسه تهيئة حسنة ليكون رجلا من رجال الدين يستطيع أن يعيش فى وطنه وفى عصره دون أن يشعر بالغربة أو الثغرة بين مواطنيه ومعاصريه . وأنا أعلم أن هناك اعتراضات عملية على هذا النحو من التعليم لأن التخصص فى الدين يحتاج الى دراسة طويلة واسعة ولكن رجال الدين المسيحى فى أوربا قد حلوا هذه الاعتراضات فاستطاعوا أن يتقنوا اللاهوت ويشاركوا غيرهم فى الثقافة المدنية . وكثير منهم ينبغ فى فروع الثقافة المدنية العليا وينال فيها أرقى الدرجات الجامعية والمهم هو أن تفتح الأبواب أمام الأزهريين ليظفروا بالجارات [illegible] بما يظهرون من تفوق ونبوغ وقد جربت ذلك فى الجامعة فحمدت نتيجة التجربة ولكنها قطعت قبل أن تبلغ غايتها .

قلنا — تناولتم بالنقد انتاج بعض الأدباء الذين يسمون انفسهم « ادباء الشباب » فبينتم بعض وجوه الضعف والنقص فى ذلك الانتاج . فبماذا تنصحون لهم لكى ينتجوا إنتاجا أقوى وأتم .

قال — بشيئين اثنين أو بثلاثة أشياء إن أردت الدقة . الأول أن يحسنوا اللغة العربية فمن جهل اللغة لا ينبغى له أن يعرض للأدب الذى هو خلاصتها وأرقى صور الجمال فيها . الثانى أن يكثروا من الدرس المتصل والقراءة المنظمة للآداب القديمة والحديثة فان الرأس الفارغ لا يستطيع أن يعطى شيئا ولو أن لأحد من الأدباء أن يستغنى بنفسه عن الدرس والقراءة لاستغنى

شكسبير بنفسه الفذة ولكني أظن أنه كان كثير القراءة شديد الميل الى الاطلاع وما أظن أن علم القدماء وتاريخهم قد هبط عليه من السماء . الثالث أن يتواضعوا فإن التواضع هو الشرط الأول للرقي . ومن آمن بأنه قد بلغ الكمال خليق أن لا ينفع نفسه ولا ينفع الناس شيئا

قلنا — ماهي الهموم الذهنية التي يجب أن يشغل بها الأديب في مصر

قال — هي كثيرة لا يمكن أن تحد ولا أن تحصى إلا إذا أمكن أن تحد الحياة أو تحصى . ولعل الخير أن أجيبك عن الهموم التي لا ينبغي أن يشغل بها ذهن الأديب المصري في هذه الأيام . وأولها نفس الأديب . فأنا لا أتصور الأديب إلا على أنه كشمعة العباس بن الأحنف يجب أن تحترق لتضيء للناس . وثانيها الشهرة ، فحب الشهرة عدو الفن ، لأنه يدعو الى تملق الجماهير والحرص على ارضائهم وهذا يدعو الى العجلة والاسراع ويضطر الى النقص والى التضحية بالجمال الخالص في سبيل الذوق الموقت . وثالثها الخوف من سخط القراء ، فإن من خاف القارىء أصبح عبداً له ، وويل للأدب من الأدباء العبيد . وويل للأدباء العبيد من أنفسهم ومن سادتهم . وأظن أن الأديب اذا استطاع أن يخلص من هذه الهموم كان خليقا أن يجد في الأدب هذه اللذة الفنية العليا التي يظفر بها الأدباء حين يكونون أهلا لهذا الوصف

غاندي والاسلام

احتفل الهنود في بومباي بالهند بمولد النبوي وحضر غاندي الاحتفال وألقى فيه الكلمة التالية التي تدل على تقديره للاسلام

اخواني ، ليست صداقتي مع المسلمين بنت الأمس بل هي ترجع الى خمسين عاما يوم كنت فتى . ولقد كانت زيارتي الاولى لافريقيا الجنوبية بسبب اتصالي بشركة اسلامية في تلك البلاد . وهناك تيسرت لي الفرصة أن اتصل بعلاقة وثيقة مع اصدقاء مسلمين لم تتراخ على مر السنين ، وكذلك في الهند ، فأنتم تعلمون الرابطة المتينة التي كانت بين أسرة الأخوين علي وبيني . وعلى الرغم من الاختلاف المبين في المبدأ بين شوكت علي نفسه وبيني فانه يعلم انني دائماً صديق

ولما كانت علاقتي بالمسلمين على هذا النحو من المتانة والالفة فقد شعرت حقاً على أن ادرس حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وشرعت بذلك في افريقيا الجنوبية الا انني لم اكن في ذلك الحين ملما باللغة الاوردية الماماً كافياً . ثم كان من حسن حظي توالي سجني في الهند اذ أتاح لي الفرصة ان اقرأ كتب مولانا شبلي واحاديث النبي الكريم ، وما كتبه عنه حكيم صاحب احمد خان ، تلك الكتب التي طلبتها وجاءتني الى السجن . وقرأت أيضا احاديث صحابة الرسول وكانت هذه مترجمة الى اللغة الانجليزية وقد أدت بي هذه الدراسات الى الايقان بأن القرآن والتوراة كتابان مقدسان ، فقدستهما أنا بنفسي كما أقدس كتابينا الويدا وغيتا

ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان نبيا عظيما وكذلك كان المسيح ، وقد أصبحت اعتقد انهما كانا لا ينشدان الا الحق ، وكانا يخافان الله . وليس فيما اقوله لكم شيء جديد . وانما أصف فقط ما يخامر نفسي . لقد لاقى « محمد » كثيراً من الاضطهادات ولكنه كان شجاعا لم يخف غير الله ولم يرهب أي انسان

كان النبي العظيم فقيراً زاهداً في متاع الدنيا في الوقت الذي كان يستطيع فيه أن يكون مثريا كبيراً لو أراد

لقد ذرفت الدموع وأنا أقرأ تاريخ ذلك الرجل العظيم ، إذ كيف يستطيع باحث عن الحقيقة مثلي أن لا يطأطىء الرأس أمام مثل هذه الشخصية التي لم تعمل إلا من أجل مصلحة البشرية في سبيل الله

شكسبير بنفسه الفذة ولكنى أظن أنه كان كثير القراءة شديد الميل الى الاطلاع وما أظن أن علم القدماء وتاريخهم قد هبط عليه من السماء . الثالث أن يتواضعوا فان التواضع هو الشرط الأول لترقى . ومن آمن بأنه قد بلغ الكمال خليق أن لا ينفع نفسه ولا ينفع الناس شيئاً

قلنا — ماهى الهموم الذهنية التى يجب أن يشغل بها الأديب فى مصر

قال — هى كثيرة لا يمكن أن تحد ولا أن تحصى إلا إذا أمكن أن تحد الحياة أو تحصى . ولعل الخير أن أجيبك عن الهموم التى لا ينبغى أن يشغل بها ذهن الأديب المصرى فى هذه الأيام . وأولها نفس الأديب . فأنا لا أتصور الأديب إلا على أنه كشمعة العباس بن الأحنف يجب أن تحترق لتضىء للناس . وثانيها الشهرة ، فحب الشهرة عدو الفن ، لأنه يدعو الى تملق الجماهير والحرص على ارضائهم وهذا يدعو الى العجلة والأسراع ويضطر الى النقص والى التضحية بالجمال الخالص فى سبيل الذوق الموقت . وثالثها الخوف من سخط القراء ، فان من خاف القارىء أصبح عبداً له ، وويل للأدب من الأدباء العبيد . وويل للأدباء العبيد من أنفسهم ومن سادتهم . وأظن أن الأديب اذا استطاع أن يخلص من هذه الهموم كان خليقاً أن يجد فى الأدب هذه اللذة الفنية العليا التى يظفر بها الأدباء حين يكونون أهلا لهذا الوصف

غاندى والاسلام

احتفل الهنود فى بومباى بالهند بمولد النبى وقد حضر غاندى الاحتفال والقى فيه الكلمة التالية التى تدل على تقديره للاسلام

اخوانى ، ليست صداقتى مع المسلمين بنت الامس بل هى ترجع الى خمسين عاماً يوم كنت فتى . ولقد كانت زيارتى الاولى لافريقيا الجنوبية بسبب اتصالى بشركة اسلامية فى تلك البلاد . وهناك تيسرت لى الفرصة أن اتصل بعلاقة وثيقة مع اصدقاء مسلمين لم تتراخ على مر السنين ، وكذلك فى الهند ، فأنتم تعلمون الرابطة المتينة التى كانت بين أسرة الاخوين على وبينى . وعلى الرغم من الاختلاف المبين فى المبدأ بين شوكت على نفسه وبينى فانه يعلم انى دائماً صديق

ولما كانت علاقتى بالمسلمين على هذا النحو من المتانة والالفة فقد شعرت حقاً على أن ادرس حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وشرعت بذلك فى افريقيا الجنوبية الا انى لم اكن فى ذلك الحين ملماً باللغة الاوردية الماماً كافياً . ثم كان من حسن حظى توالى سجنى فى الهند اذ أتاح لى الفرصة ان اقرأ كتب مولانا شبلى واحاديث النبى الكريم ، وما كتبه عنه حكيم صاحب احمد خان ، تلك الكتب التى طلبتها وجاءتنى الى السجن . وقرأت أيضاً احاديث صحابة الرسول وكانت هذه مترجمة الى اللغة الانجليزية وقد أدت بى هذه الدراسات الى الايقان بأن القرآن والتوراة كتابان مقدسان ، فقدستهما أنا نفسى كما أقدس كتابينا الويدا وغيتا

ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان نبياً عظيماً وكذلك كان المسيح ، وقد أصبحت اعتقد انهما كانا لاينشدان الا الحق ، وكانا يخافان الله . وليس فيما اقوله لكم شىء جديد . وانما أصف فقط ما يخامر نفسى . لقد لاقى « محمد » كثيراً من الاضطهادات ولكنه كان شجاعاً لم يخف غير الله ولم يرهب أى انسان

كان النبى العظيم فقيراً زاهداً فى متاع الدنيا فى الوقت الذى كان يستطيع فيه أن يكون مثرياً كبيراً لو أراد

لقد ذرفت الدموع وأنا أقرأ تاريخ ذلك الرجل العظيم ، إذ كيف يستطيع باحث عن الحقيقة مثلى أن لا يطأطىء الرأس أمام مثل هذه الشخصية التى لم تعمل إلا من أجل مصلحة البشرية فى سبيل الله

الاغانى المصرية المريضة

يجب ألا تعيش فى مصر

من أحسن علامات النهضة المصرية الحاضرة هذا الاستنكار العام بين الطبقة المثقفة للاغانى المصرية الحاضرة التى تدور حول التوجع والتأثر والتألم . فان هذه الطبقة قد أصبحت تعنى بتربية عواطفها وترى أن هذه الاغانى لا تتفق والتفاؤل والهمة والسمو وسائر الصفات التى يجب أن تتسم بها النهضة

ويسرنا هنا أن ننقل بعض الخطابات التى كتبت فى هذا الموضوع . فقد قالت الآنسة ملكة السراج « فهناك « أنشودة الليل » لامير الشعراء فهل راجت مثلما راجت « يلوعنى يا شقايا » ؟ طبعاً لا ؟ فهذه الملاحظة وأمثالها خليقة أن تهدينا الى عيب فى تربية جمهورنا المصرى وذوقه ، حتى نعالج هذا العيب فى التربية العامة ولا نلوم المغنى وحده أو المؤلف أو الملحن قبل أن نلوم هذا الجمهور الذي يستسيغ تلك القطع المريضة ، التى لو أعرض عنها لماتت ولما اقدم واحد من هؤلاء الثلاثة على الاشتغال بها

« ثم أن عندنا من التقاليد العتيقة ما يساعد على أن تفشو الاغانى الذليلة الدامعة المتوجعة وذلك هو تحجب المرأة ، والعراقيل والقيود التى تبعد بها عن الرجل ، فيضطر أن يتذلل ويناديها من وراء حجاب ويبذل دموعه .

« ولو كانت للمرأة حريتها ، وكانت تغشى المجالس العامة ، ويتصل بها الرجل اتصالا شريفا حرا لبعثت فيه قوة وفرحا ، ولكان لذلك أثر فى الاغانى المصرية « فالمسئول الخاص عن ذلة الاغانى وكثرة الدموع فيها هى التقاليد العتيقة القاسية

« وهناك أمر لا يحسن اغفاله وهو سوء حالة الفلاح والحالة العامة : وتفشى الذلة من المحكومين لحاكمين ، ومن الجميع للغاصبين فهذا مما يساعد كذلك على ظهور هذا الذل فى الاغانى فلنعمد بتربية الشعب الى القوة حتى لا يستسيغ ترديد مثل هذه الاناشيد الضعيفة »

وكتبت الآنسة ليلى أحمد صبرى كلمة جاء فيها :

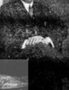
« من الخطأ أن يفهم البعض أن الموسيقا جعلت للهو والعبث ومما يؤسف له أن غالبية المصريين تفهم هذا الفهم وبسبب ذلك تنتشر الاغنيات الوضيعة التى ترغب فى شهوات الدنيا

« ولعل من أسباب انحطاط الموسيقا عندنا أن الحكومة لم تمنحها فى مدارسنا العناية الكافية ، ولو جعلتها درسا أساسيا لكان ذلك سببا فى ارتفاع

محمد عبد الوهاب

قيمتها . وفي اختيار موضوعاتها وأناشيدها اختيارا مناسبا ، يتمتع هذا العبث بها ويربى الذوق على سماع الاغاني والموسيقا الراقية .

***



صالح عبد الحي

لما كان المنفلوطي يؤلف قصصه ويصوغ مقالاته عاب عليه الادباء ولا يزالون يعيبون عليه كثرة التوجع والتحنن في جميع ما كان يكتبه . وهذا الذي انتقد على المنفلوطي ينتقد الآن على المغنين . فانهم عندما يذكرون الحب يندبونه . والغناء ينقلب في كثير من الاحيان نواحا أو صراخا

والموسيقا المصرية تتفق مع الاغاني . فان الالحان الشائعة هي التي نصفها بأنها « شجية » أي حزينة محزنة باكية مبكية

وجميع هذه الفنون الجميلة ، الادب والموسيقا والغناء ، يجب أن تضع مثلا عليا للعواطف تسمو بها الينا . ولا يمكن أن يكون المثل الاعلى لأي أمة في العالم النحيب والبكاء . وفي القول القائل بأن أغانينا بل موسيقانا تمثل أحزان الامة وأشجانها شيء من الصحة . ولكن يجب الا تقتصر من الفنون الجميلة على التمثيل فقط بل يجب أن يكون فيها التوجيه أيضا ، ولم يقل أحد أن الامة هي التي تملي لرجال الفن الاقيسة والغايات بل يجب أن تكون هذه من املائهم هم عليها والا كانوا غير جديرين بممارسة الفن . وخير لنا أن نلغي جميع فنوننا الباكية الحزينة كما ألغينا الرقص ونبدأ في تعلم الفنون الغربية من أن نبقى مرضى العواطف بهذه الفنون الشرقية التي تحزن نفوسنا وتمحو كبرياءنا ولا تبعث فينا فتوة الامة الناهضة اليقظة

***

وانحطاط الفنون الجميلة هو أثر من الانحطاط الذي عم الامة في القرون الماضية . ولكن الامة نهضت في السياسة والاقتصاد والاجتماع بل في الادب ولكنها لم تنهض الى الآن في سائر الفنون الجميلة . والى الآن لا يزال كثيرون يحسبون أن هذه الفنون لهو بل أحط اللهو حتى

أم كلثوم

أنهم لا يسيغون السماع أو رؤية الرقص الا وهم يحتسون الخمر . ولهذا السبب سقط الرقص سقوطا لا يرجى له اصلاح لان اصلاحه الحقيقي هو الغاؤه والابتداء في

تعلم الرقص الغربي

وعندنا من سخفاء العقول كثيرون يتطعون في جهلهم ويدعون أن للشرق روحا وللغرب روحا وأننا يجب الا نأخذ فنون الغربيين ونصطنع اذواقهم



منيرة المهدية

ويدافعون عن هذا السخف بألفاظ رنانة عن القومية والشخصية والوطنية. والحقيقة التي يعرفها كل من يدرس تاريخ بلادنا ويقدر الأرهاق الاجتماعي الذي يكابده جميع السكان تقريبا هي أنه مادمنا شرقيين فليس لنا قومية أو شخصية أو وطنية. والبرهان على ذلك أنه ليس لهذه الكلمات الثلاث وجود في المعاجم العربية لأن معانيها لم تخطر في بال القدماء. بل الحقيقة أيضا أن الأمة التي تتملص من شرقيتها مثل تركيا تبدأ في فهم هذه الألفاظ

ولهذا السبب يجب أن نكسر آلاتنا الموسيقية العود والقانون وغيرهما ونقبل على اصطناع الآلات والألحان الأوربية كما يجب أن نلغي الرقص والغناء والموسيقا الشرقية ونشرع في تعلم هذه الفنون من الغربيين. وعلينا أن نفعل ذلك ونحن بعيدون عن فكرة المزج والتأليف بين الفن الشرقي والفن الغربي فان الفنون لا تمتزج ولا يمكن التأليف بينها. فأن اغانينا باكية مؤيسة مظلمة والغناء الغربي كله قوة وطرب ونشاط وتفاؤل. والرقص المصري هو الرقص الذي يمثله فينا تربية الحجاب رقص الدعارة وجرجرة الأكفال والحيوانية. وعند المتوحشين الذين يأكل بعضهم بعضا في افريقيا رقص اشرف من هذا الرقص المصري. ولذلك يجب أن نتعلم الرقص الغربي

ومما تجب ملاحظته أن نجاح أحد الفنون والتبريز فيه لا يتهيأن على استقلال وانفصال. فلا بد للرقي في الغناء من الرقي في الموسيقا. ولا بد للرقي في الادب من الرقي في الرسم. ولا بد لرقيها جميعا من ترقية الرقص

وقد كان لنا مدرسة للتمثيل كان يصح أن تكون بذرة مباركة لتعليم الفنون الجميلة اذ كان يمكن أن يتشعب فيها الدرس من التمثيل الى الرقص الى الغناء الى الموسيقا ولكن النكسة التي أصابت البلاد في السنوات الاربع الماضية قد اكتسحت هذه المدرسة في طريقها.



فتحية أحمد

الشيزوفرنيا: جنونه ورائي؟

لماذا يكثر في مصر؟

الجنون نوعان . نوع يصيب النفس أو ما نسميه نفسا عند المقابلة بالجسم . أي أن المجنون يبقى سليم الجسم ليس في دماغه أو أعصابه أي أثر يدل على مرض . وثلاثة ارباع حوادث الجنون في العالم هي كذلك وهي تعالج بالتحليل النفسي



السحنة المغولية للابله

أما الربع الباقي فهو تلك الحوادث الأخرى التي تعود الى خلل طاريء أو شذوذ وراثي في الجهاز العصبي بما فيه الدماغ . وهنا لا يجدى التحليل لان الاصابة قد وقعت وقوعا ماديا كما لو حدث جرح أو تضخم أو تقلص في العضو . فان البلاجرا مرض ينتهي بالجنون وهو يعود الى طعام الذرة البيضاء كأن الدماغ يتسمم من الذرة . وكذلك الشلل العام الذي ينتهي اليه السفلس فان مكروبات هذا المرض أو سمومه تؤثر في الجهاز العصبي وتتلف خلاياه فتختل الوظيفة باختلال العضو

وهناك أنواع من الجنون أو العته أو البله تبدو كأنها ردة الى الوراء . فانا نلمح في سحنة المجنون أو الابله ملامح الحيوان القديم الذي نشأ منه الانسان . وليس فينا من يجهل ذلك الشخص الابله الذي يبرز عظم وجنتيه وفكيه . وهو قريب من الصينيين أو من الوجه المغولي على وجه عام . فان هذه السحنة المغولية غريبة عن السلالات المصرية والاوربية . ولكن من وقت لآخر نرى شخصا أبله له هذه الملامح المغولية . والتفسير المعقول أنه على الرغم من قلة الدم المغولي في مصر أو أوربا لا تزال المصادفات في التلاقيح تأتي بهذه الردة وتثبت عرقا مغوليا في دمائنا . ولكن هذا العرق يضعف الآن جدا بدليل قلة من يظهرون بهذه السحنة المغولية من جهة ثم بلاهتهم من جهة أخرى . لأن هذه البلاهة تدل على أن الانسان كان في



وجه رجل صيني (مغول)

مستوى منحط عن الكفاية الذهنية عند ما كانت تجري فيه هذه الدماء المغولية . ولا عبرة بالقول بان المغول الآن ليسوا بلها ومعتوهين . فاننا نحن لم نتصل بالمغول المعاصرين لنا بل بأسلافهم قبل نحو مليون أو نصف مليون سنة اى قبل أن ينتفعوا بالتطور فى هذه المدة الطويلة

بل من العلماء من يعتقد أن بعض الجنون هو ردة الى الحيوان الذى نشأ منه الانسان . والدكتور كروكشانك يحاول أن يثبت أن الشيزوفرنيا هى ردة الى ذلك الأصل الذى نشأنا منه وكان مثل القرد المعروف بالشمبنزى . فكما انه يظهر بيننا أحيانا رجل قد اكتسى جسمه بالشعر أو قد ظهر له ذنب كذلك يظهر بيننا الرجل أو المرأة التى ليس لها غير دماغ القرد

فتاة مريضة بالشيزوفرنيا ومن قعدتها شبه من قعدة الشمبنزى

والشيزوفرنيا جنون يصيب الشبان والفتيات عادة بين سن الخامسة عشرة والخامسة والعشرين والمجنون فى أغلب أحواله يحب أن يقعد ويرفض الطعام وقد يحاول الانتحار . وهذا المرض يكثر حيث يكثر زواج الاقارب أو حيث تعيش طائفة من الناس يمنعها دينها من التزاوج مع غيرها . وهو لذلك يتفشى بين الفرس فى بومباى . واليك ما قيل عنه فى تقرير الأمراض العقلية عن السنة الماضية فى مصر :

***

بلغ عدد المرضى المصابين بالشيزوفرنيا ٤٦٣ من جملة من أدخلوا . وكلما ازدادت مشاهدة المرء لأمراض العقل ازداد تأثرا بمبلغ انتشار هذا المرض بين مرضى العقل وهنالك أمثلة متعددة تبين أن للوراثة فى هذا المرض أثرا أعظم من أثرها فى غيره من سائر أمراض العقل كما أن هنالك كثيرا من البراهين على أن هذا المرض بذاته ينتقل الى ذرية المرضى به . ويمكن التدليل على هذه الحقيقة بكثير من الامثلة . وهناك كذلك مايكاد يرتفع من الشك الى بعض درجات اليقين بان كثيرا من أنواع الامراض العقلية التى تشاهد فى سن الكهولة مثل « جنون الحل » و « جنون المقامة » و « الشلل العام » والمانيا لاتعدو أن تكون ناشئة عن اصابة « شيزوفرنيا » فى مستهل العمر — كذلك لايوجد ثمة شك فى أن عددا كبيرا من المصابين بالشيزوفرنيا لاتتطور حالة مرضهم الى حد العته . وأنه لمن الصعوبة بمكان أن يستطاع التنبؤ بمن يتطور مرضه منهم الى ذلك الحد ومن لايصل به الحال اليه ولكن أولئك الذين يشفون شفاء ظاهرا يبقون وحالتهم العقلية جد مزعزعة ويكونون عرضة للانتكاس الى ماكانت عليه حالتهم أملا أو يصبحون عرضة لأن ينتابهم أى مرض آخر من أمراض العقل التى تحصل فى سن النضوج وكذلك فى حالة أى اجهاد بالغ

وابرز حالات البرانويا ظهورا عندنا كانت فى الماضى من حالات الشيزوفرنيا البارزة كما أن هناك عدة حالات مثالية من « جنون الحل » كانت فى مبدأ أمرها « شيزوفرنيا » وقد لاحظنا مثل هذا فى




شمبنزى قاعد

حالات الشلل العام . ويحتمل أن يكون فى هـذا ما يهدينا الى السبب فى قلة عـدد مرضى السفلس الذين يصابون بالشلل العام .

إذا ماأعيرت الوراثة أي اعتبار فقـد يمكن الى حد ما أن يعزى العدد العظيم لحالات «الشيزوفرنيا» الى تفضيل زواج الاقرباء فى هـذه البلاد إذ أن فى هذا الزواج مايسمح بالتساهل فى الاختلاط الاجتماعى بعكس الحال فى زواج غير الاقربين ومايراعى فيه من بعض القيود ، فاذا ماكانت فى الاسرة أية لوثة عقلية فانها قد تكون أشد وضوحا فى نسل الاقرباء من المتزوجين .

أن هناك أمراً آخر مألوفا له خطره ونعنى به أمر تزوج المصابين بالشيزوفرنيا بغية احتمال الوصول بذلك الى شفائهم وهو أمر لايمكن بأية حال أن يقال أنه قليل الذيوع وكثيراً ماطلب الينا أن نسمح بإخراج مريض بهـذا الداء لتجربة ماإذا كان زواجه يؤدى الى شفائه . والثابت أن المصابين بهذا المرض يكونون فى حالة تهيج جنسى الى حد الشذوذ وليس من غير المعقول أن يظن انه إذا ماأمكن تعويدهم ممارسة جنسية أكثر نظاما وأقرب الى الاعتدال فان فى ذلك مافد يشفى ذلك الشذوذ . ولم تصل الى علمنا أى أنباء عن أي تأثير شاف أدت اليـه هذه الطريقة ولكننا رأينا حالات عديدة كانت نتيجتها الحتمية لابل أنها كانت بعد الزواج أسوأ مما كانت عليـه قبله . ولا داعى لذكر شيء مما يحتمل أن يحصل من ولادة بعض البنين نتيجة هذا الزواج .

* * *

ويرى من هذا التقرير أن الشيزوفرنيا

١ — مرض وراثى فلا يجوز زواج المرضى به

٢ — أن أنواعا من الجنون كالتى تصيب الحامل أو الشلل العام قد تكون نتيجة للشيزوفرنيا

٣ — أن من يظنون أنهم شفوا يبقون تحت خطر الجنون فى أى وقت

٤ — كثرة هـذا الجنون فى مصر تعزى الى زواج الاقرباء

٥ — زواج المرضى بالشيزوفرنيا لايشفيهم كما هو ظن أهليهم الذين يعنون بهم

السأم عند الطفل والرجل

السأم هو السبب لعربدة الاطفال . فمادام الطفل يجد لعبته ولهوه متوافراً فهو يسلو العربدة . وكذلك السأم هو أكبر الاسبـاب للتهالك على الخمر . فان المتبرم بالواقع يفزع منه الى الخيال عن سبيل الكأس ثم يعتاد الخمر فيدمن ولا يستطيع أن يسلوها بعد ذلك حتى عندما تتوافر له الملاهى الأخرى

وليس هذا الكلام نظريات مجردة . فأن الاحصاء الدقيق الذى تقوم به الحكومات يبرهن على صحته . فى سنة ١٩١٣ كان سكان بريطانيا أقل من عددهم الآن ، ومع ذلك شربوا من الكحول ٨٤٫٥٠٠٫٠٠٠ جالون . أما فى سنة ١٩٣٢ فلم يشربوا سوى ٣٦٫٥٠٠٫٠٠٠ جالون فبلغ النقص نحو ٥٧ فى المائة

وليس هناك من سبب لهذا النقص غير أن الملاهى الأخرى مثل الاتومبيل والسينماتوغراف والراديوفون قد كثرت فزال عن حياة الكثيرين ذلك السأم الذى كانوا يحسونه سنة ١٩١٣ حين لم تكن قد شاعت هذه الأشياء . وبهذه الملاهى الجديدة استغنوا عن الخمور أو عن مقدار كبير منها

فيجب على الآباء أن يعالجوا سأم الاطفال بدلا من أن يضربوهم على عربدتهم . كما يجب على رجال الاخلاق أن يوفروا الملاهى البريئة للناس بدلا من أن يمنعوهم عن شرب الخمور كما يجب على الزوجة الا تجعل البيت بحيث يسأم زوجها أو أولادها

حالات الشلل العام . ويحتمل أن يكون فى هـذا ما يهدينا الى السبب فى قلة عـدد مرضى السفلس الذين يصابون بالشلل العام .

إذا ماأعيرت الوراثة أي اعتبار فقـد يمكن الى حد ما أن يعزى العدد العظيم لحالات «الشيزوفرنيا» الى تفضيل زواج الاقرباء فى هـذه البلاد إذ أن فى هذا الزواج مايسمح بالتساهل فى الاختلاط الاجتماعى بعكس الحال فى زواج غير الاقربين ومايراعى فيه من بعض القيود ، فاذا ماكانت فى الاسرة أية لوثة عقلية فانها قد تكون أشد وضوحا فى نسل الاقرباء من المتزوجين .

أن هناك أمراً آخر مألوفا له خطره ونعنى به أمر تزوج المصابين بالشيزوفرنيا بغية احتمال الوصول بذلك الى شفائهم وهو أمر لايمكن بأية حال أن يقال أنه قليل الذيوع وكثيراً ماطلب الينا أن نسمح باخراج مريض بهـذا الداء لتجربة ماإذا كان زواجه يؤدى الى شفائه . والثابت أن المصابين بهذا المرض يكونون فى حالة تهيج جنسى الى حد الشذوذ وليس من غير المعقول أن يظن أنه إذا ماأمكن تعويدهم معيشة جنسية أكثر نظاما وأقرب الى الاعتدال فان فى ذلك ماقد يشفى ذلك الشذوذ . ولم تصل الى علمنا أى أنباء عن أي تأثير شاف أدت اليـه هذه الطريقة ولكننا رأينا حالات عديدة كانت نتيجتها الحتمية لابل أنها كانت بعد الزواج أسوأ مما كانت عليـه قبله . ولا داعى لذكر شيء مما يحتمل أن يحصل من ولادة بعض البنين نتيجة هذا الزواج .

* * *

ويرى من هذا التقرير أن الشيزوفرنيا

١ — مرض وراثى فلا يجوز زواج المرضى به

٢ — أن أنواعا من الجنون كالتى تصيب الحامل أو الشلل العام قد تكون نتيجة للشيزوفرنيا

٣ — أن من يظنون أنهم شفوا يبقون تحت خطر الجنون فى أى وقت

٤ — كثرة هـذا الجنون فى مصر تعزى الى زواج الاقرباء

٥ — زواج المرضى بالشيزوفرنيا لايشفيهم كما هو ظن أهليهم الذين يعنون بهم

السأم عند الطفل والرجل

السأم هو السبب لعربدة الاطفال . فمادام الطفل يجد لعبته ولهوه متوافراً فهو يسلو العربدة . وكذلك السأم هو أكبر الاسباب للتهالك على الخمر . فان المتبرم بالواقع يفزع منه الى الخيال عن سبيل الكأس ثم يعتاد الخمر فيدمن ولا يستطيع أن يسلوها بعد ذلك حتى عندما تتوافر له الملاهى الأخرى

وليس هذا الكلام نظريات مجردة . فان الاحصاء الدقيق الذى تقوم به الحكومات يبرهن على صحته . فى سنة ١٩١٣ كان سكان بريطانيا أقل من عددهم الآن ، ومع ذلك شربوا من الكحول ٨٤٫٥٠٠٫٠٠٠ جالون . أما فى سنة ١٩٣٢ فلم يشربوا سوى ٣٦٫٥٠٠٫٠٠٠ جالون فبلغ النقص نحو ٥٧ فى المائة

وليس هناك من سبب لهذا النقص غير أن الملاهى الأخرى مثل الاتومبيل والسينماتوغراف والراديوفون قد كثرت فزال عن حياة الكثيرين ذلك السأم الذى كانوا يحسونه سنة ١٩١٣ حين لم تكن قد شاعت هذه الأشياء ، وبهذه الملاهى الجديدة استغنوا عن الخمور أو عن مقدار كبير منها

فيجب على الآباء أن يعالجوا سأم الاطفال بدلا من أن يضربوهم على عربدتهم . كما يجب على رجال الاخلاق أن يوفروا الملاهى البريئة للناس بدلا من أن يمنعوهم عن شرب الخمور كما يجب على الزوجة الا تجعل البيت بحيث يسأم زوجها أو أولادها

كليسون واوجيني

اقصوصة بقلم نابليون بونابارت

تمهيد — اقام نابليون فى أيام شبابه زمنا فى مدينة مرسيليا فعرف أسرة عريقة تسمى «كلارى» وأحب أوجينى احدى فتيات الاسرة وعاهدها على الزواج . ثم فرقت بينهما الاحداث ، اذ دعى الى باريس ليتولى قيادة الجيش . فبقى زمنا يذكر حبيبته ويبادلها رسائل الحب ، ولكن الحرب وشواغل القتال صرفته عنها قليلا فلبثت هى من حبه . فلما أيقن أن القطيعة قد تمت بينهما ، تملكت نفسه نوبة من الحزن واليأس فكتب هذه الاقصوصة التى يجدفيها القارىء شيئا كثيرا من وقائع حياته . وأغلب الظن أنه كتبها فى سنة ١٧٩٥ .

ولد كليسون للحرب والقتال . فقد كان وهو بعد طفل صغير يقرأ حياة العظماء والابطال . وكان يدرس قواعد الفنون الحربية فى سن كان فيها أترابه يذهبون إلى المدرسة ، ويغازلون الفتيات . وما كاد يشب ويترعرع ويقوى على حمل السلاح حتى راح يقوم فى كل خطوة من خطواته ، بجلائل الاعمال . فاستطاع على حداثة سنه ، أن يصل الى أعلى رتبة فى الجيش . وكان حظه السعيد حليف عبقريته على الدوام فاحرز انتصارات متوالية وذاعت شهرته وأصبح اسمه على كل لسان . ومع ذلك فان نفسه لم تشبع . وكان أله من حسد الحاسدين يأكل قلبه . وانقدوله كليسون — كسائر الناس — لسعادة ولكنه ، حتى الآن ، لم يحرز سوى المجد .

كان يهزأ بالحب . ولكنه عرف أوجينى

كف عن الحرب فترة من الزمن فعرف أوجينى . كانت أوجينى فى السادسة عشرة . وكانت خفيفة الروح ، طيبة القلب ، ممتلئة حياة وقوة . عيناها ساحرتان ، وقوامها معتدل . لم تكن جميلة ولا دميمة ولكنها كانت رحيمة القلب . حلوة النفس ، دقيقة الحس . وكان كليسون يهزأ بالنساء والحب ، ولكنه انهزم أمام أوجينى ، أما هى فقد ذعرت ، إذ رأت كليسون الصلب العنيد يخضع للحب ! فلم تر بداً من الخضوع للقدر الذى شاء أن يربط حياتها بحياة ذلك الرجل العظيم ، وعاهدته على الحب الأبدى : كليسون كذلك

إن الحسد والافتراء هما أحط الشهوات التى تهاجم شهرة العظماء فى أول ظهورها . أنهما يحطمان كثيراً من الرجال النابغين ويوديان بكثير من العبقريات . فلم يكن من شأن قوة كليسون وبروده وشجاعته وصلابته [illegible] أن يكثر أعداؤه ، وإلا أن تثير الغيرة فى صدور أولئك الذين كان يجب عليهم — بحكم مراكزهم — أن يجعلوا الرأى العام يؤازره عليه . كانوا يسمون عظمة نفسه كبرياء ، وكانوا يلومونه لأنه صلب عنيد . أما هو فقد برم بانتصاراته التى زادت من أعدائه دون أن تكسبه أصدقاء . فأحس بالحاجة الى الانطواء على نفسه ، أى نفسه ، ولأول مرة فى حياته راح يفحص عن نفسه ويتعرف أذواقه وميوله وموقفه تجاه العالم . فالفى نفسه ، كسائر الناس ، يصبو الى الهناء . ولكنه ، حتى الآن لم يعرف صحبة سوى المجد

سافر مع أحد صحبه ليقضى شهرا فى الريف بالقرب من مدينة ليون . ولما كان ، منذ طفولته ، لا يشغله شىء سوى الحرب ، فقد رأى نفسه مسوقا

بتيارها الجارف ، خاضعا على الدوام لأهوائه ومطامعه الحربية . كان مستغرقا في العمل ، ينتبه الى فوقها كن في نفسه شهوات أخرى .

كان قلب كايسون ينبض بالرغبة في السعادة ، ولكنه مع ذلك لم يكف عن الحلم بالمجد . لم يطق البقاء في المنزل . وكان صديقه يستقبل كثيراً الزوار أما هو فلم يستطع أن يألف هذه «الرسميات» التافهة . فانه ، بخياله الطلق ، وقلبه الملتهب ، ومنطقه الصارم وطبعه البارد ، كان يسأم رؤية الغواني ، ويمقت العاب الفروسية ، ومنطق المتبطلين وآداب المتقلين . وكان لا يفهم الدسائس ، ولا يلق باله الى الملاحظات البارعة كانت حياته جافة . وكانت تستغرق ملكاته جميعاً فكرة واحدة لا يستطيع تحديدها ولا فهمها ومع ذلك فانها قد سيطرت عليه واستولت على نفسه .

كان قد ألف التعب ، فأحس بالحاجة الى كثير من العمل ورياضة البدن . وكان أحب الأشياء الى نفسه أن يجول في الغابات . فهنا لك كان يشعر بالراحة والهدوء والبعد عن الأمم ، فكان يتسامى بنفسه ويرتفع فوق سخافات الانسانية ودناءاتها . وكان يقعد أحيانا على شواطىء الجداول التي يسكب عليها القمر ضوءه الفضي ، ويستسلم لرغبات قلبه وشهوات نفسه ، فلا يستطيع أن ينتزع نفسه من أحضان الليل منظره الحزين ، البالغ حد الزواء والجمال في ضوء القمر الفضي .

فكان يلبث هناك حتى يختفي القمر وراء الافق ويبدد الظلام أحلامه الجميلة : فيقفل راجعا — وهو أشد حزنا وأكثر اضطرابا — باحثا عن الراحة التي ينشدها .

وراح يحلم بدلا من أن يتأمل . وأدرك ، في لذة لم يعهدها من قبل ، ما في مناظر الطبيعة من روعة وجمال . فأخذ يرقب شروق الشمس وغروبها ، وينصت الى تغريد الطيور وخرير المياه ، ويروي نفسه بمنظر الخضراء . وكان يقضي ساعات طويلة وهو غارق في تأملاته ، في قلب الغابة ، وكثيراً ما كان يبقى هناك حتى ينتصف الليل وهو يحلم في ضوء القمر الوضاء . وكان أحياناً يذهب الى مياه « الآل » القريبة من « شامفرت » تلك المياه التي تصفو وتشف فيما بين الساعة الرابعة والسادسة صباحا . وانطواؤه على نفسه جعله يدرك أن هناك عواطف أخرى غير الحرب ، ونزعات أخرى بجانب نزعة التخريب . فعرف أن القدرة على اطعام الناس ، ورفعهم ، واسعادهم ليست أسوأ من القدرة على تقتيلهم .

أراد أن يستجمع شتات أفكاره ، ويرتب هذه الأحلام التي تزدحم بها ذهنه . فلم ير بداً من الاستجمام فسافر الى شامفرت بالقرب من ليون ونزل ضيفاً على صديق .

وكانت في شامفرت — وهي من أجمل الأماكن القريبة من ليون — أبدع آيات الفن وروائع الطبيعة فراح كايسون يتأمل — وهو مشدوه — تلك المناظر الساحرة : منظر الشروق والغروب ، ومنظر القمر الذي يغمر الحقول بضوئه الفضي . أن الأنوار والمناظر المتبدلة وتغريد الطيور ، وخرير المياه ، كل هذه قد تركت في نفس كايسون أثراً لم يكن له به عهد . (كل شيء كان جديداً في رأى كايسون) فقد رأى الآن وأدرك لاول مرة ما كان قد رآه من قبل آلاف المرات دون أن يتأمله أو يحس بما فيه من جمال وروعة .

ايها الرجل التعس ، عندما . . . (١) عن الحياة الطبيعية وتعلو فوق اخوانك في الانسانية ، يلاحقك الشقاء والألم ، وتصبح روحك فريسة للأوهام والقلق فتعمى عن جمال الطبيعة ومسراتها .

---

(١) هنا بضع كلمات غير ظاهرة في الأصل المخطوط .

وكان كايسون مطبوعاً على الشك والقلق، فأصبح مهموماً كئيباً. وتبدلت تأملاته فصارت أحلاماً. وأمسى لا يخاف ولا يرجو. ولم يكن لنفسه الكبيرة عهد بهذه الحالة الجديدة — حالة الهدوء والاطمئنان، فكاد يقف تجاه الحياة موقفاً سلبياً، بل كادت تخمد في نفسه دوافع العمل وبواعث الحركة

وكان يخرج مبكراً الى الحقول القريبة فيهيم على وجهه غارقاً في تأملاته وأحلامه. وكان أحياناً يذهب الى حمامات «الآل» القريبة من مكان اقامته، لكي يتفرج برؤية الناس، أو يجول في الغابات، أو يقرأ كتاباً ممتعاً

وفي ذات يوم التقى كايسون بفتاتين جميلتين تظهر عليهما أمارات البشر والسرور

وكانتا عائدتين الى البيت منفردتين في غير اكتراث، تحدوهما قوة الصبا ومرح الشباب

وكانت اميلى جميلة الصبا، ساحرة العينين، نضرة البشرة بديعة الشعر. وكانت في السابعة عشرة، وأما اوجيني فكانت في السادسة عشرة [illegible]

تنظر اميلى اليك، فكأنها تقول: أنت تحبني ولكنك لست الوحيد، فكثيرون غيرك يحبون بي. فاعلم إذن أنك لا ترضيني إلا إذا تملقتني، فاني أحب الملق والمبالغة في الثناء. وأما أوجيني فلا تنظر اليك مباشرة. وهي إذا تبسمت افتر ثغرها عن أجمل اسنان في العالم. وإذا مددت لها يدك مسلماً، أخذتها في حياء ثم أسرعت في سحب يدها

وكانت إميلي تغزو قلوب الشباب بجمالها الفتان، وأما أوجيني فلم يكن يدرك سر حلاوتها سوى أصحاب النفوس الحساسة والمشاعر الدقيقة

* * *

وكانت كلما رأت أطفالها الصغار تملكتها عاطفة حادة، فكانت تحتضن طفلتها «صوق» وتقول لكايسون: «أوه، أي مستقبل تعس يخبئه القدر لنا جميعاً. ولكن إذا تحول قلبك عن حبي، فلا تبق على حياتي!» فكان يتأثر كايسون أشد التأثر ويروح يهدىء روعها ويطمئنها قائلا لها: «إعلمي يا أوجيني أنه في اليوم الذي ربطت فيه مصيرك الى مصيري، أقسمت أن أحمي حياتك وأن أكون قوة لضعفك. ولن يكف زوجك عن حبك إلى الأبد. لن يتغير. سيعيش دائماً لأجلك. ولن يحتمل الحياة بعدك»

كان الزمن شهر يونيه، وكان حر النهار يزيد في جمال الليالي ...

كان الحر شديداً. وقد لاحت في الأفق عاصفة هوجاء. فانهمر المطر وقصف الرعد ولمع البرق. واغرورقت عينا أوجيني بالدموع. ثم انكمشت وألصقت جسمها بجسم زوجها. وأما صوق الصغيرة فقد راحت تبكي لأنها رأت أمها تتألم، ثم دفنت وجهها الصغير في حجر أمها.

قالت أوجيني: «أن مستقبلك يا كايسون في كفة القدر وقد امتلأت نفسي بالمخاوف. وإذا كففت عن حبي فخذ حياتي بهذه اليد التي طالما دللتني وربتت جسمي في عطف وحنان» تأثر كايسون تأثراً شديداً لاضطراب حبيبته فأخذ يرد عليها شجاعتها وهناءها بقوله لها وهو يحتضن ابنته صوق: «أوجيني أقسم بحياة ابنتنا صوق إني سأحبك الى الأبد. فأرجوك أن تكفي عن إيلامي بمثل هذه الاقوال»

وظلا يتحادثان حتى منتصف الليل. وما كاد كايسون يغمض عينيه لينام، حتى استيقظ على أصوات تقترب من المنزل شيئاً فشيئاً. فغادر فراشه، وإذا برسول يدفع اليه برسالة من الحكومة تأمره فيها أن يسافر الى باريس في بحر ٢٤ ساعة. فقد عهد اليه بمهمة خطيرة!

وبعد أيام كان يعود الجيش الى ميدان القتال .

وكان طيف حبيبته لا يفارقه لحظة واحدة. وراح يحرز نصراً بعد نصر ، وكان النجاح حليفه في كل عمل . وظل بعيداً عن حبيبته أوجينى سنين عديدة. وكان لا يمر يوم دون أن يتلق منها رسائل الحب التى تلهب حماسته وتدعم شجاعته وتضرم في قلبه نار الحب.

وفي ذات يوم جرح جرحاً خطيراً فأرسل الضابط « برفيل » ليخبر زوجته ، ويبقى الى جانبها يواسيها ويرفه عنها حتى يشفى من جراحه .

وكان برفيل خلياً ، لما ينبض قلبه بالحب . فكأنه المسافر المتعب أو التائه الذى يتطلع حواليه ، في نهاية رحلته ، باحثاً عن مكان يقضى فيه ليلته . . .

لقد كان يتطلع إلى مأوى يطمئن اليه قلبه . فرأى اوجينى . وبكى لبكائها وامتزجت دموعه بدموعها وشاركها قلقها فكان يتحدث اليها طوال اليوم عما أصاب كابسون من خطب . وكان قلب برفيل غضاً غير خبير بشئون الحب ، فخيل اليه أن هذه العاطفة التى يكنها لها في قلبه انما كان منبعها الصداقة الخالصة. ولم يفطن الى ما كان يجيش به قلبه من عاطفة الحب التى زادها الكبت اضطراما . وكان يرى أوجينى مثلا أعلى للمرأة الوفية المخلصة ، وأما هى فكانت تثق بصديق زوجها ثقة عمياء .

وراحت تكتب الى كابسون في فترات متباعدة وفي إيجاز شديد ، فتملكه القلق . وكان قد شفى من جراحه ولكنه لم يستطع أن يخفى قلقه الذى كان يكشف عما يقاسى من عذاب النفس .

كفت أوجينى عن الكتابة اليه ، ولم تعد تحبه . وأما برفيل فكان لا يكتب له الا في تحفظ شديد . وكان كابسون لا يني يفكر في حبيبته . وكان أول الأمر يريد أن يسارع الى شامفرت لينقذها من الدمار مسكينة أوجينى ؟ أنهم يدعون حبيبك منك وأنت غارقة في النوم . . . فصرخت أوجينى : « آه ! لقد تحققت مخاوف . لقد انكشف السر الرهيب . أنك تهجرنى الآن يا حبيبي . فوداعاً أيها الهناء ! » وكانت أوجينى في تلك اللحظة شاحبة اللون ، بالغة منتهى الضعف . وأما كابسون فكان لا بد له من الرحيل

والعار ؟ ولكن كيف يترك الجيش ؟ كيف يتخلى عن المركز الذى وضعه فيه الوطن ؟

كانت الساعة الثانية صباحاً . كل شيء على استعداد لملاقاة الموت . صدرت الأوامر ، وتمت معدات القتال ولعداً يغمر الدم هذا المكان ! فما عساك تقولين يا حبيبتى أوجينى ؟ وما عساك تفعلين ؟ وماذا يكون مصيرك ؟ افرضى موتى والغى ذكراى وعيشى سعيدة!

وفي الفجر دق نفير القتال . وزحفت صفوف الجند . فكان هجوم شديد على الجناحين ومشى الموت بين الصفوف .

كم من نفوس تتعلق بالحياة وترغب في الاحتفاظ بها ، أما أنا فأريد أن أنهيها ، لأن أوجينى هى التى وهبتنى إياها !

هاهم ينبئوننى بانهزام الجناح الأيسر ، وتقهقر القلب وتعرضه للخطر . وبعد لحظة قصيرة خبرت أن القلب قد انتصر . ولكن الجناح الايسر يقابل هجوماً شديداً .

وداعاً يا من اخترتك رفيقة حياتى ! وداعاً أيتها البقعة التى قضيت فيها أسعد أيامى ! لقد ذقت السعادة! السعادة الكبرى بين ذراعيك . لقد فرغت من الحياة واستصفيت لذاتها . فماذا يتبقى لى في المستقبل غير الحسرة والسأم . انى في السادسة والعشرين . لقد بلغت أقصى ما تهبه الشهرة من لذات كاذبة ، ولكننى عرفت بين ذراعيك تلك العاطفة الحلوة التى ينبض بها قلب الرجل !

أن هذه الذكرى تمزق قلبي . عيشى سعيدة . ولا تفكرى في كابسون اليائس . عانقى أطفال الصغار وأرجو أن لا تكون نفوسهم كنفس أبيهم الجامحة ، والا أصبحوا مثله فريسة للناس والمجد والحب !

انتهى من الكتابة ، ودفع بالكتاب إلى أحد الضباط وأمره أن يحمله الى أوجينى مباشرة ، ثم قاد فريقاً من الجند وألقى بنفسه في حومة الوغى . . . فخر صريعاً ، مضرجاً بالدماء .

ترجمة ع. د

الأسماك

الأسماك من الحيوانات التى تزيل غرابتها شدة ألفتنا بها . فاننا نراها فى أسواقنا ونأكلها وكأننا نأكل بقلا أو فاكهة . وهذه الالفة تجعلنا ننسى أن الأسماك حيوانات بدائية لا يزال دمها باردا كأنه عصير النبات . ولكنه مع بداءته يعقد الصلة بيننا وبين العالم القديم فانه يوحى ايحاء يكاد يكون واضحا الى الأحياء الجديدة التى خرجت الى اليابسة بل طارت فى الهواء كما ان صلته بالأحياء القديمة لا تزال أيضا واضحة . فانه لا يزال معها يعيش فى الماء كما يعيش الأخطبوط والقشريات والقناديل ونجوم البحر والاسفنج وما الى هذه الاحياء التى لا نكاد نحسبها فى عداد الحيوان لأنها من غرابة التركيب ، لابل من القدم فى تركيب الجسم ، بحيث نشك فى أنها من الحيوان

ولكن فى الأسماك مع ذلك من الاعضاء ما نجده فى أجسامنا . فهو ينمو كما ننمو نحن على قائمة من العظم هى الفقار . وهذه أعظم الروابط بيننا وبينه . ولكن حتى هذه الرابطه ليست مكينة . فان بعض الأسماك ، مثل القرش ، لا يعرف العظم لأنه ظهر فى الوجود قبل أن يخترع العظم . فهو يقنع بالغضروف . وجميع الاسماك تتنفس بالخياشيم تأخذ الماء بالفم ثم تخرجه من الخياشيم فيمتزج الدم بما فى الماء من الاوكسجين . وأحيانا يرتقى السمك فتكون له رئة بدائية كما هى الحال فى «سمكة الطين» فى النيل . ولكن هذا الرقى قليل جدا فان فى العالم من الاسماك ما تعد أنواعه بالآلاف ومع ذلك لا تزيد ذوات الرئات على ثلاث أو أربع فقط . وليس ذلك لأن السمك لا يرتقى بل لأن تلك الأنواع التى ارتقت وحصلت على رئة تمهد الى اليابسة فتسكن فى حدودها ولا تمضى عليها حقبة جيولوجية حتى تكون قد استقر رأيها على ترك الماء والاستبدال بالزعانف أرجلا

وبيننا وبين السمك صلة اخرى هى القلب . ولكن قلب السمك لم يتقن صنعه الاتقان كله فانه لا يحمل غير دم الاوردة . أما دم الشرايين فلا يمر به . وبدائية السمك تتضح فى أشياء اخرى كثيرة تنير أذهاننا عن الطرق التى استعملتها الطبيعة فى التطور . فمن ذلك ان القرش وهو بعد طفل تنبت له فلوسه أى حراشفه داخل الفم . وليس الفم فى حقيقته سوى جزء من الجلد قد انطوى الى داخل الجسم . وأسناننا الآن هى أثر قديم من هذا القشر الذى كان يكسو أجسامنا

ونحن نسبح فى الماء قبل أن نخرج الى اليابسة

ويمكن المتأمل لحياة الاسماك أن يستخرج العظات فان السمك الذى يعيش فى ظلام الأعماق فى المحيطات الكبرى يفقد حاسة النظر . وهو يفقدها لأنها لاتفيده . فهى « تسقط بالاهمال » كما هو الشأن فى كل عضو لا نستعمله حقبة طويلة من الزمن . فانا فقدنا اذنابنا لأننا استغنينا عنها بالأيدى كما فقدنا الشعر الكاسى لجسمنا لأننا استغنينا عنه بالملابس . واذن ماذا نستنتج؟

نستنتج أن المرأة التى تحد من نشاطها الذهنى أو الجسمى أو العاطفى تفقد هذه الكفايات أيضا

والأسماك من حيث البيئة ثلاثة بعضها يعيش فى الماء العذب وهو يبلغ نحو ٣٣٠٠ نوع . وبعضها يعيش فى مياه السواحل وأنواعه نحو ٣٥٠٠ . ولكن الكثرة الغالبة تعيش فى البحار والمحيطات على أعماق مختلفة

ومعظم الأسماك لا يعرف معنى الاسرة أو الحب بين الذكر والانثى . فان التلاقح يتم فى الماء على نحو ما يتم فى الهواء بين معظم الاشجار . وذلك أن الأنثى تلقى بويضاتها فى الماء وكذلك الذكر يلقى جراثيمه المنوية فى الماء . فيجتمع الاثنان ويتم التلاقح دون أن يعرف الذكر الانثى

ولكن هناك أنواعا تتعارف وتتلاقح . بل هناك أنواع قد عرفت شيئا من مبادىء الأسرة وبناء البيت حتى الذكر يساعد على بناء العش ويجمع له القش والصدف

وفى حياة الاسماك من العجائب ما يستوقف الذهن للانتباه والاعجاب . ففى شارع كلوت بك فى فى القاهرة مطاعم صغيرة للسمك تبيع الانكليس وهو سمك يشبه الثعبان . وهو رخيص الثمن كثير الدسم ولذلك يقبل عليه الفقراء . وكل واحد من هذا الانكليس قد ولد فى المحيط الاطلنطى بالقرب من جزر برمودا . ثم قضى السنوات فى رحلته الى النيل فقطع المحيط الاطلنطى واجتاز بمضيق جبل طارق ثم قضى أشهرا فى البحر المتوسط الى أن بلغ النيل فصعد إليه أو بقى فيه الى أن التقطته شبكة الصياد . ولو أنه نجا منها لبقى حتى يكتمل نموه ثم يرحل الى مولده : وهناك بالقرب من شاطىء القارة الامريكية يتلاقح . وتبيض الاناث . ثم تموت الاباء ويعود الأبناء الى أنهار اوربا وافريقيا

***

وصيد السمك من الصناعات التى يعيش منها كثيرون فى الاقطار التى تحوطها البحار أو تكاد مثل اليابان أو كندا أو انجلترا أو نروج . وقد اتقنت هذه الاقطار فنون الصيد وطرق الحفظ للسمك . ففى انجلترا مثلا تجمع الملايين من سمكة الرنجة ثم تدخن وتصدر إلى الامم الفقيرة . وفى نروج تصاد البكالة ثم تنزع كبدها حيث يؤخذ منها الزيت الذى يعطى للاطفال لكى يبرأوا من الضعف . أما لحم البكالة فيجفف ويملح ويباع فى أسواقنا باسم « الباكالاه » وفى كندا تجمع الملايين من السمك الذي يوضع فى العلب . وحين يكثر السمك ويخشى عليه الفساد يجفف حتى يصير كالدقيق فيعطى علفاً الماشية . والبقر فى نروج يأكل هذا السمك كل يوم كما يأكل بقرنا الفول أو التبن أو البرسيم

وفى مصر تباع أسماك النيل بأغلى مما تباع الاسماك التى تجلب من البحر المالح . وليس هذا لان الاسماك النهرية تستساغ أكثر من الاسماك البحرية لان الواقع خلاف ذلك . وإنما يفضل السمك النهرى لطزاجته . إذ هو يصل إلى البيوت وهو حى أو لم تمض على موته مدة طويلة . أما السمك البحرى فيقضى مدة طويلة فى النقل يكون فيها عرضة للفساد

العفن فى الخبز

اذا ترك الخبز مدة يسيرة فى مكان مظلم رطب علاه العفن كأنه غشاء من القطيفة أو اللبد . وهذا العفن هو نبات متطفل مثل الكمأة يعيش على النبات أو الحيوانات الميتة . ونحن بالعين المجردة لانستطيع أن نتبين جسم هذا النبات . ولكن المكروسكوب يكشفه ويوضحه . وعندئذ نرى أنه نبات مؤلف من خيط دقيق جدا لانه سلسلة متصلة من الخلايا المفردة وهذا الخيط ينتهى عند القمة بكرة هى الجراثيم التى يتكاثر بها . وهى تقوم عنده مقام البيض أو الثمرة عند الحيوان أو النبات من الطبقات العالية فى التطور. والفرق بينهما أن الجراثيم لاتحتاج الى ذكر وانثى أما البيضة والثمرة فتحتاج الى تلاقح الذكر والانثى

واذا مس الانسان العفن بيده علقت بها الوف من هذه الجراثيم التى تتطاير كأنها ذرات الدقيق فى



نوع من نبات العفن وكرات الجراثيم فى أعلاه

الهواء . فاذا أصابت لحما أو نباتا ميتا علقت به ونمت فوقه . ونموها — كما هو الشأن فى الاحياء الدنيا — سريع مادامت تجد الرطوبة والدفء . ولذلك فان الخبز الجاف واللحم الجاف لايتأثران بالعفن . ولكن سرعان مايكسوهما هذا النبات اذا اشرب كلاهما قليلا من الرطوبة مع القليل من الدفء . وجراثيم العفن تعد بالملايين وتتطاير فى كل مكان حتى تصيب التربة الملائمة فتقع عليها وتشرع فى النمو

ويقوم العفن أحيانا مقام الخميرة . فكما أن هذه تحل العجين الى سكر وكحول وغيرهما كذلك العفن هو الذى يعمم الانحلال فى أجسام الحيوان أو النبات عقب موتهما

نوع من نبات العفن وكرات الجراثيم فى أعلاه

النجاح المالى

ليس المال كل شىء فى هذه الدنيا ولكنه فى ظروفنا الاقتصادية الحاضرة من أهم الأشياء. فانه السبيل إلى الحرية. لأن الفقر يحيط الفقير بقيود ثقيلة تحول بينه وبينه الطعام الحسن الكافى كما تحول بينه وبين السكنى النظيفة والتعليم وهناء الأسرة والتمتع بما فى المدنية من متع مختلفة. فليس من الحكمة أن يحتقر أحدنا المال وأن ينعى على الزمن روح المادية الذى يسوده

وليس فى الدنيا أيسر من جمع المال إذا رغب الانسان فيه رغبة صادقة. ولكن الفشل يأتى من قلة الرغبة لأن الحقيقة أن الناس أو معظمهم لا يحرصون على بلوغ الثراء. فهم يتمنونه ولكنهم يقفون عند التمنى وقل أن يكلف أحدهم نفسه مشقة المواظبة والمثابرة على العمل الرابح. أما حين يتحمس الانسان للغنى ويقصد إليه فى نزاهة واشتهاء حار فانه لابد محققه

ومن أحسن الخطط التى تتبع فى تحقيق النجاح المالى أن يضع الطامع فيه برنامجا على نحو «برنامج السنوات الخمس» بحيث يجرى فيه الغاية التى يطلبها. فيقطعها أشواطا فى كل سنة شوطا. وفى آخر كل عام يقوم بحساب التقدم الذى أحرزه حتى إذا قصر فى العام الاول ضاعف الجهد فى العام التالى إلى أن تنتهى الاعوام الخمسة بالنجاح المنشود

ومثل هذا البرنامج قد اتبعته بعض الأمم وكذلك يمكن الفرد أن يتبعه اذا أراد أن يزيد ثروته. ولكن البرنامج يجب أن يدرس وينظم فى ضوء الكفاءة الشخصية والبيئة وأن تقدم مراحله. ويحسن أن يكون للبرنامج كراسة خاصة تكتب فيها التقارير كل شهر أو كل أسبوع عن مقدار التقدم مع نقد الاخطاء الماضية وعقد العزم على توقيها فى المستقبل

وهناك من الأعمال ما يضمن فيه النجاح كما اذا احتاج الانسان بشىء من الضروريات التى لا يستغنى عنها. فليس من المعقول أن يؤدى تأسيس فندق أو مطعم أو دكان لجزارة أو البقول الى الخسارة. ولابد من أن يكون الانسان بادى النقص حتى يخسر فى هذه الأعمال لأن قليلا من الذكاء يكفى للنجاح

ومما يجب الالتفات اليه أن جميع المخترعات الجديدة مثل الاتومبيل والسينماتوغراف وأدوات المذياع بل كثير من البضائع التى يدعى لها دعايات وطنية؛ كل هذه الاشياء يرجح فيها النجاح لانها مبتدئة وجميع الطوالع تدل على أن رغبتها ليست وقتية. ولذلك يمكن الراغب فى النجاح المالى ان يقدم عليها وهو مطمئن. وهناك دعايات تجارية خاصة يستطيع الشاب اليقظ أن يميز بين ما ينتظر نجاحه منها وما لا ينتظر

ثم يجب أن يكون السيكلوجية الحديثة شأنها المهم فى هذا الموضوع. فان الطامع فى النجاح يجب أن تكون عقلية النجاح. وهذا ممكن اذا أوحى الى نفسه كل يوم أنه ناجح. فان العقل الباطن عندئذ يبحث من طرق النجاح ويتجنب طرق الفشل ويلفت الذهن الى أبواب مختلفة ترشده الى زيادة الربح ما كان ليلتفت اليها بغير الايحاء. وقد نضحك نحن من الشخص الذى يقول لنفسه كل صباح أو كل مساء «سأربح ألف جنيه هذا العام» ولكن تكراره لهذه الجملة كل يوم يحيلها الى عقيدة فى نفسه تجعله يتحمس وينشط ويجهد لكى يحققها. وهو فى كل هذه الفترة ينتبه الى وجوه الربح ويميز بين المهم منها والاهم. فالايحاء يكسبه حماسة العقيدة كما يشحذ ذهنه للتمييز والنظر

س. م.

العلل النفسية بين المعلم والتلميذ

للاستاذ أمير بقطر

يصاب الصغار من تلاميذ المدارس الابتدائية بالعلل النفسية كما يصاب الكبار من طلبة المدارس الثانوية والكليات، وكما يصاب الجميع في سائر أطوار العمر

وإذا كان جهل الناس بها مطبقاً، فإن جهل المعلمين بما ينتاب تلاميذهم منها أشد . فإذا ما شاهد المعلم من أحد التلاميذ شذوذاً، أو انحرافاً عن المسلك المعتاد؛ حملوا هذه الظاهرة فيه على سوء طبيعته الأصلية ؛ وقطعوا الرجاء من إصلاحه

ولا نستطيع أن نقول أن العلل النفسية أشد فتكا ببني الانسان من الأمراض البدنية ، غير أننا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن الأولى أوفر عدداً وأكثر انتشاراً من الثانية . وغاية ما في الأمر أن الفرق بين السليم والعليل ، فيما يتعلق بالأمراض النفسية ؛ ليس واضحاً كما في حالة الامراض البدنية

ولست أقصد بالعلل النفسية ، الامراض العقلية المعروفة ، كالجنون بأنواعه ، بل أعني ببحثنا هذا ، كل ما اشتد من نزعاتنا وغرائزنا وميولنا ومسالكنا الفردية والاجتماعية ، وعواطفنا ، وانفعالاتنا ، ومشاعرنا ، اشتداداً يدعو إلى الشذوذ ، والاغراق والمغالاة والخروج عن حد المألوف

وإذا ما دققنا في التعبير ، قلنا أن كل انسان في الوجود مصاب بمرض نفساني ، أو أمراض . قلت أو كثرت ، خفت وطأتها أو اشتدت . فالادمان في التدخين ، والمسكر ، والميسر ، والافراط في إشباع الغريزة الجنسية، والمبالغة في الكذب والنسيان والحب والكراهية والخصام والقتال، وكل ما يتعدى ما أودعته الطبيعة فينا من الغرائز والميول والعواطف، في الحدود التي تغلب على المجموع — كل هذه ضروب من الامراض النفسية

ويعتقد البعض أن هذه الامراض وراثية، فيولد الطفل وتولد هي معه . غير أن علماء التربية الحديثة والنفس ؛ قد أماطوا اللثام أخيراً عن كثير من أسرار هذه العلل ؛ وقالوا أن البيئة كفيلة بتخفيفها . وهي في الغالب اكتسابية ، ومن السهل معالجتها ؛ لأن منشأها العادة وعدم العناية بالطفل من الصغر، والجهل بطرق التربية

وسنحاول في الفقرات الآتية أن نبين معنى هذه العلل ، وواجب المجتمع نحوها ، والمعلم خاصة

ويغالي بعض العلماء في عدم التفريق بين الجسم والنفس والعقل فيقولون مثلا أن التفكير كلام صامت، وأن العواطف والانفعالات ظاهرة جثمانية منشأوها الاحشاء والمعدة والامعاء ؛ وأن الحب والكراهية وغيرها من النزعات التي نسميها نفسية ، ما هي إلا تغيرات في الغدد ، وإفرازات يتولد عنها هذه الميول وأن نتيجة هذه الحالة البدنية المحضة أننا نحب شيئاً اليوم ونكرهه غداً ، ونهوى شخصاً اليوم لنغض الطرف عنه غداً ، ويقولون (على هذا المبدأ) أن جميع الامراض العقلية أو النفسية كما يدعونها ما هي إلا نتيجة علل بدنية واختلال في وظائف أعضاء الجسم

ومهما يكن من شيء فانه من المستحسن — من قبيل السهولة في التعبير على الأقل — أن نتحدث عن المشاعر والعواطف ، من حب وكراهية ، وغضب وعطف بوميل جنسي، والنزوع إلى الوحدة والعزلة أو الاجتماع ، والميل الى الجمال ، والاشمئزاز من القبح — من المستحسن أن ندعو هذه مسائل نفسية للتفريق بينها وبين الاشياء الجثمانية المحسوسة

ولا شك أن الناس يتفقون في أكثر مشاعرهم وعواطفهم اتفاقاً عاما ، فاذا ما شاهدوا من يشذ عن المجموع شذوذاً واضحاً عدوه غريب الاطوار ، ورمقوه بشيء من الاستغراب ، ولا أقول الازدراء ، والاحتقار : —

ولا غرابة إذا سمعنا الناس يقولون أن هذا مريض بالكذب وذاك بالمبالغة ولنضرب أمثلة لذلك

(١) رجل يميل إلى العزلة ، ويشعر بضاضة إذا ما جلس حوله جماعة وأن يكن أفرادها من أقاربه ومحبيه . مثل هذا الرجل يجد وحشة في الجماعة وإيناساً في العزلة ، لانه مريض النفس

(٢) انسان لالذة له في الحياة سوى حشد المال وجمع الثروة . لايطيب له بين الناس مقام ولا يحلو له حديث الا متى كان من ورائه مايقضي منه وطره . وهو يضحي بكل مرتخص وغال من قريب وصديق وحبيب في سبيل هذا المأرب . مثل هذا الرجل يتجنبه معظم الناس ويعتبرونه خارجا عن الجماعة شاذاً عن المجموع ، أي كأنه كاللص والمجرم ، فرد في الجماعة ولكنه ليس منها ، لأنه مريض النفس

(٣) يتوهم أنه عليل وهو سليم — لأنه مريض النفس

(٤) انسان يخيل إليه أنه مغبون في عمله وأن آخر يفوز بنصيب أكثر منه ، أو يتوهم أنه لايعامل بما يعامل به سواه ، أو أن الغير لا يرمقونه بالعين التي يرمقون به غيره ومنشأ ذلك الحسد والغيرة وكلاهما اذا اشتد (لأن لكل نصيباً يذكر منهما) جعلا صاحبهما مريضاً نفسياً

(٥) رجل يتوهم أنه محاط بجراثيم المرض من كل كل صوب . فلا يسير خطوة بغير أن يتخذ لها العدة كنت أعرف منذ أعوام طبيباً من هذا النوع ، إذا ما دخل قهوة طلب من « الجرسون » أن يغلي الفنجان ، ووقف أمام النار يشاهد عملية الغليان ، ولا يذوق القهوة الا اذا عقم الطبق ، وغسل الصينية ، وصب القهوة بيده . وكان يأكل في مطعم راق في مكان لا يجلس فيه غيره في أي وقت من الأوقات . وقبل البدء في الأكل كان يحمل الكوب والطبق والشوكة والملعقة والسكين الى المطبخ لغليها قبل استعمالها

(٦) رجل شديد العناية والدقة والاحتراس لدرجة تكاد تكون جنوناً . وقد عرفت من هذا النوع أحد سراة الوجه القبلي . كان اذا انتهى الحلاق من ذقنه أشار اليه أن يعيد الكرة هنا وهناك ، حتى يكاد الدم يسيل من صفحته . ولا يكتفي بذلك بل يبدأ العملية بنفسه من جديد فيملأ وجهه برغوات الصابون ، ويأخذ الموسى من الحلاق ويكرر العملية عدة مرات ، والناس يعجبون لما يشاهدون

وكان يراقب الخدم يغسلون سلم المنزل الرخامي الكبير ، فاذا مافرغوا ، أشار اليهم أن يغسلوا مرة أخرى هذا المكان وذاك ، ثم يخلع ملابسه ، ويرتدى « البيجامة » ويقوم بعملية التنظيف بنفسه رغم تأنيب أفراد الأسرة له . وأغرب من ذلك أنه إذا إحتاج الى تثبيت أزرار سترته ، سارعت زوجه للقيام بهذه المهمة خير قيام ، غير أنه بعد أن تنتهي من عملها ، كان يطلب منها أن تزيد الأزرار تثبيتاً ، مع عدم الحاجة الى ذلك . وكان أيضاً لا يكتفي بذلك بل كان يأخذ

السترة الى غرفته ، فيخرج الابرة والخيط من الخزانة ويعيد الكرة كعادته فى كل شىء ، لأنه مريض النفس

(٧) رجل يتوهم أنه من الأئمة الاشرار ، وأنه غير خليق أن يعيش ، وغير جدير بالنعمة التى أنعم الله بها عليه وغمره بها . وكان أحد زملائى فى الدراسة الثانوية من أشد الطلبة ذكاء ، وأكثرهم اجتهاداً ، فريسة لهذا الداء ردحاً من الزمن . وقد حار الأساتذة فى أمره ، لأنهم لم يألفوا فيه هذه الظاهرة . وكان يتحدث عنها ويشكو منها لكل أصدقائه ومعلميه ، حتى كاد يهمل دروسه ، ويركز فكره فى تأنيب ذاته ، واعترافه بآثامه التى كانت فى نظره لا تعد ولا تحصى . وحدث أن يشتد به الداء ، حتى قيض له استاذ ذكى ، شخص الداء تشخيصاً حكيماً ، فأرسله الى أحد الأطباء ووجد هذا الأخير أن العلة جثمانية محضة ، وأن سبب الداء « النفسى » الذى كان يحس به الطالب توهماً ، انما نتيجة اختلال فى المعدة ، وما كاد يداوى منه العلة البدنية فيه ، حتى زال عنه مرض النفس الوهمى .

وهذا يعزز مبدأ الذين يعتقدون أن كثيراً من الأمراض التى نسميها نفسية ، نتيجة أدواء بدنية . ومهما يكن من صحة الاعتقاد ، فان واجب المعلم أن يبحث عن الامراض البدنية فى التلاميذ قبل أن يحاول علاج ما نسميه عللا نفسية .

(٨) رجل يجنح الى بعض العادات غير المعروفة كشدة النسيان والخطأ ، وحب الكذب والمبالغة فى الرواية ، والاستسلام للغضب والحدة لأوهى الاسباب وعدم المبالاة ، وتأجيل الاعمال باستمرار ، « وخفة اليد » أى الميل الى السرقة

واكرر القول أننا جميعاً قد نتصف بهذه بعضها أو كلها ، غير انى أشير فقط الى بلوغ هذه الى درجة الازمان ، كأن يغيب عن ذهن شخص اسمه ، أو كأن ينسى شاب حفلة زواجه ، أو أن يخطىء آخر فى ترتيب الالفاظ على الدوام كأن يقول « أتشرف بأن أقدم حضراتكم الى نفسى أو أن أقفل البرلمان (بدل من افتتاحه) أو أن هذا الكتاب تأليف وتعريب فكتور هوجو

واذا حللنا أسباب هذه الامراض وجدنا أن أكثرها يرجع الى حالات نفسية خاصة . فوزير حربية فرنسا السابق نسى منزله ونفسه مرة وجلس أمام الباب لأنه رأى عليه بطاقة عليها عبارة غير موجود وجلس ينتظر نفسه . ولاشك أن تكرار وقوع هذا الحادث الشاذ دليل على وفرة العمل واضطراب الاعصاب والاسترسال فى المشغولية بهذه الكيفية قد تؤدى الى ما هو أشد خطورة من النسيان

أما الشاب الذى ينسى أن الجماهير تنتظره للاحتفال بعقد زفافه الى عروسه ، فيخرج من المنزل ويجلس فى زاوية فى احدى القهوات يتصفح كتابا فينسى موعد الزواج — هذا الشاب لا يمكن أن يقال عنه أنه كان كثير الغرام بمن ستكون شريكة حياته . على النقيض من ذلك لا بد أنه ظل فى نزاع طويل بين عقله وعاطفته حتى تغلبت العاطفة وأحب لو أن حفلة الزواج تلغى ، أو أن العروس تصاب بحادث حتى تنسى الحفلة

(٩) شاب يلبس معطفا طويلا فى غير الشتاء بغير مبرر . ونجد هذه الظاهرة أحيانا (أو أمثالها) بين الطلبة وأصل المسألة أن هذا الشاب أو ذلك التلميذ يتوهم أن ملابسه قذرة ، أو هندامه غير متقن ، أو زيه قديم ، وأن عيون الناس متجهة اليه تسدد سهام الانتقاد نحوه

وقد يكون السبب فى الغالب أن طلبة أو معلمين عيروه بشىء من هذا ولم يجد من والديه ما يخفف

عنه عبء هذا التعبير . وكثيرا ما تعود البنت إلى أمها باكية لأن بنتا قالت لها أنها فقيرة لأنها لا ترتدي فساتين جديدة « مودة » وتعود فتقص على أمها هذا والدموع ملء مآقيها ، ولكن الأم تستطيع أن تهون عليها كأن تقول لها مثلا ، ولكنك جميلة ، مسترسلة الشعر ، واسعة العيون أو شعلة من الذكاء

(١٠) شاب شديد الحياء ، لا يستطيع أن يملأ عينيه من أحد ، يمتلكه الخجل والارتباك في حضرة الغير ، فلا تكاد تنظر اليه حتى يطرق عينيه ، ويحمر وجهه ، ويلعب بيديه اخفاء لحيرته وارتباكه . هذا لا يصلح لكثير من الأعمال في الحياة ومن المؤكد أنه لا يليق أن يشغل مركزا اداريا أو أن يكون زعيما لشيء لا شك في حالته أن الذنب كله عائد على أهله ، لأنهم (١) لم يشجعوه على معاشرة الناس خوفا من عين الحسود أو غير ذلك من الأباطيل (٢) لأنهم كانوا يخمدون أنفاسه في الصغر فلا يستطيع أن يعبر عن رأى أو ينطق بعبارة ظنا منهم أن في هذا منتهى الحشمة والأدب

مثل هذه المسائل وخيمة العواقب كأن تتصف فتاة بالمبالغة في الحياء ، فتتورط أمام الرجال والنساء على السواء ، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها إذا ما تسللت اليها يد سخيف في الترام أو الأماكن المزدحمة أو الظلام . بعكس صديقتها الجسورة التي أقل ما يمكن أن تعمله هو أن تصفع السخيف على وجهه صفعة يصعق لها

في أول عهدي بالتدريس ، رأيت تلميذاً كنت أسميه « الوحش » لأنه ظل زمنا طويلا ينفر من زملائه ، ويخشى بأسهم ، ويميل إلى العزلة عنهم . وذلك لأنه كان وحيدا لوالديه ، فظلا يحجبانه عن الأعين ، ويربيانه تربية خاصة في المنزل ويستحضران الحلاق لقص شعره ، والخياط لتفصيل ملابسه ، حتى ناهز العاشرة من عمره ، حتى إذا ما اختلط بالجماعات هاله الأمر ، وبات ينفر منها حتى استأنس بها أخيرا ولكنه لا يزال شاذا من هذه الناحية الى هذا اليوم

وأعرف أديبا لا ينقصه من خواص الرجل الكامل سوى تلعثمه ، وارتباكه في كل مجلس تكون بين أفراده امرأة أو أكثر . وأعرف آخر ممن تربوا تربية عالية ، كان اذا علم بقدوم زائرين ، بعضهم أو كلهم من النساء ، هرع من غرفة الاستقبال الى غرفة النوم وارتدى ثياب النوم ورفض مقابلة أحد

ويذكر أناتول فرانس حكاية شاب من هذا القبيل أتم دروسه العالية في الجامعة فبعث به أبوه إلى سيدة كان يختلف الى منزلها عدد وافر من علية القوم ، نساء ورجالا وكان غرض الأب أن يلابس الابن هؤلاء ، فيزول عنه شدة حيائه . ولما أن اعيت السيدة الحيلة ، ورأت الشاب يعود حياء إلى حيائه ، تظاهرت يوما بأنه قد اغمى عليها ولم يكن في المنزل سواه ، ظنا منها أنه قد يلجأ الى اسعافها فيتعود الجرأة رويداً رويداً ، حتى يزول عنه داء الحياء الشديد وما كان أشد دهشتها حينما رأت الشاب يقرع الجرس الكهربائي بعنف استدعاء للخدم للقيام بعملية الاسعاف

وهذا الداء نشاهده يوميا في معاهد التعليم في صورة مختلفة . فقد نرى الطالب يتلعثم حياء ، أو يمتنع عن الاجابة مع المعرفة ، أو يتخذ السكوت ديدنه ، أو يعجز عن الدفاع عن نفسه فيما اذا تعدى عليه الغير تعدياً مادياً أو أدبيا ، ومع ذلك لا نحاول درس الأسباب التي تؤدي الى مسلكه هذا ، وقلما نحاول علاجه . أن معظم الأسباب التي تنجم عنها مثل هذه الحالات ترجع الى جهل الوالدين وتعويد الطفل منذ نعومة أظفاره عادات يظنانها محمودة ، وهي في الحقيقة

سيئة . فالمبالغة فى تعويد البنين والبنات الحياء المتطرف وعدم الكلام فى حضرة الغير ، وزجرهم وأخراسهم اذا ماشكوا أمرهم أو حاولوا الدفاع عن أنفسهم ، كلها تؤول الى ضروب الشذوذ العديدة .

الاسباب

(١) ينسب معظم الشذوذ والعلل النفسية إلى عادات سيئة نمت فى الطفل فشب عليها وقد أهمل المعلمون والوالدون تهذيبها ، أو جهلوا كيفية معالجتها . فالاطفال مثلا لايتعمدون الكذب ولكنهم كثيراً مايعاقبون عليه . ولايخفى أن معظم مانسميه الكذب عند الاطفال نتيجة عدم نضوجهم ووصفهم الاشياء كما يرجونها أن تكون . وعلى المعلمين والوالدين ملاحظة هذه النقطة ولا يتأتى ذلك إلا بفهم الطبيعة البشرية

(٢) أن معظم مسالكنا نتيجة ارتباطات عصبية متشابكة معقدة وأقل اضطراب فيها يسبب شذوذاً ، فالساعة مركبة ولكن وظيفتها واحدة وهى حفظ الوقت غير أن هذه الاعصاب لها وظائف كثيرة جداً ومعقدة ، وعلينا ملاحظة ذلك

(٣) بعض أسباب الصدمات العصبية shocks أشياء موروثة كضعف لمرض وراثى ، وكبر السن أو بعض تغيرات فيزولوجية كسن المراهقة والولادة وحالة المرأة فى سن ٤٥ والعشق والزواج ، وموت الاقارب والتغيرات الفجائية فى الحياة والمناخ لذلك يكون سبب الصدمة اما خارجى كالمخدرات والمسكرات واما داخلى كالزهرى والملاريا والتفوئيد ، أو حادث ككسر فى العظام

(٤) العاطفة الجنسية أكبر مؤثر فى الحياة وسلوك الشخص والأمراض العصبية ، كما أن لها الفضل فى أبدع ما انتجه العقل البشرى فى الثقافة والفنون الجميلة والاجتماعية . فالطفل الذى يعلم مبادىء هذه العاطفة من الشوارع والطرقات والذى لايزوده والداه بالمعلومات الصحية السليمة يكون عرضة لكثير من الأمراض النفسانية التى قد تستمر معه الى زمن الرجولة . فالشخص الذى يميل للعزلة يغلب أن يكون السبب فى ذلك ارتباك فى العاطفة الجنسية

(٥) قد تكون أسباب الخوف أو النسيان أو الخطأ عللا قديمة فى سن الطفولة أو تعب أو عدم راحة ضمير أو كراهية . فالرجل الذى نسى موعد زواجه لا يمكن أن يكون محباً لعروسه . والشخص الذى نسى اسم قريب له يغلب عليه أن اسم ذلك القريب مقرون بذكريات مؤلمة . وترك الأشياء قد يكون سببها التفكير فى استبدالها وأن يكون لديه رغبة مستترة لم يستطع تحقيقها

وكثيراً ماتكون أحلامنا نتيجة أحلام النهار . فالطموح وحب السيطرة والقوة والنجاح فى الحب واعجاب الناس لنا كلها قد تكثر من تفكيرنا نهاراً فتمثل هذه ليلا فى أشكال شتى وتمثل نهاراً فى أذهاننا فتنسينا واجباتنا

(٦) كثيراً ماتكون الاعتقادات الباطلة سبب المرض النفسى . فالاعتقاد أن أصل المرض الخطيئة تجعل الناس يتوهمون أنهم خطاة أثمة وأن المرض تأديب من الله تعالى . وكثيرا ما يكون عقاب الوالد أو المعلم للصبى سبب أمراض كثيرة نفسية تبقى فيه ولا تزول على كر السنوات

العلاج

(١) اذا شاهدنا فى الأطفال شذوذاً لو عياً أو مرضاً نفسياً ، وجب علينا أولا ، إحالته الى الطبيب لتحصه طبياً ، فاذا وقفنا على علة بدنية بادرنا بعلاجها

واذا لم يكن هناك مرض جثماني وجب علينا احالته الى طبيب نفساني وإذا تعذر ذلك فلتتخذ حكمتنا مرشداً لنا وواجب المدارس درس الأطفال والطلبة ، والعمل على ازالة أسباب الشذوذ باحدى الوسائل السالفة الذكر
ولما كان معظم الناس للأسف لا يستطيعون فهم هذه المسائل النفسية فان واجب الابوة والأمومة من أكبر المسئوليات التي تلقى على كواهل البشرية .

(٢) إذا أعيتنا الحيل في معالجة مرض نفساني كميل شديد الى الكذب ونزوع الى المبالغة في القول وجب علينا الا نيأس . كما أن أهل المريض بالسل مثلا يبذلون آخر جهودهم في علاجه .

(٣) يجب أن نتجنب عقاب الأطفال لمرض نفساني وأن نعطف عليهم وأن نأخذهم بالحسنى واللين والعطف ونبين لهم أسفنا الشديد على وقوعهم في الكذب مثلا ونتعاون معهم على إبطال العادات السيئة وتشجيع العادات الحسنة

وكثيراً ما تعاقب الأم ابنتها ، لا لأنها تريد اصلاحها بل انتقاماً منها ولأنها تريد أن تتقى شرها

(٤) التهكم والسخرية لا تجديان [illegible] بل يضرانه فعلينا تجنبها تجنباً تاماً

(٥) في علاج مرض نفسي [illegible] في الكبار أم في الصغار ، يجب أن نبحث عن السبب الأصيل . فكثيرا ما يكون السبب البعيد أو غير المباشر هو المهم . أما السبب القريب أو المباشر فيكون بمثابة الزناد ، والزناد لا أهمية له طالما كان الحشو أو البارود غير موجود

(٦) الطفل (أو الانسان البالغ رشده) عندما تثور فيه عاطفة يحدث واحدا من ثلاثة :

(ا) أما تنفيذ ما تريده العاطفة تنفيذاً أعمى بغير تفكير أو تعقل . وهذا قد يؤدي إلى التهلكة

(ب) كبت العاطفة وحبسها والضغط لها . وهذا غير محمود العاقبة . ولا يفهم من هذا أنه من الخطأ كبح جماح العواطف أو أنه من الصواب اطلاق العنان لها تفعل ما تشاء . بل بالعكس أن من أقوى الوسائل لتقوية الخلق هي أن يسود المرء بعقله وتفكيره على عاطفته .

ولكن الخطأ في اهمالها وتركها وغض الطرف عنها كأنها لم تكن وتجاهل العاطفة بهذه الكيفية يقل خطراً عن تنفيذها تنفيذا أعمى

(ح) أما أفضل طرقها هو التسامي بالعاطفة (sublimation) أو توجيهها الى ما هو أنبل وأشرف مثال ذلك توجيه جهود التلميذ الى التصوير والسباحة أو الصيد أو ركوب الخيل الخ .

(٧) وينبغي أن نذكر أن كبت العاطفة أو حبسها تترك العدو وراءك ، واقفاً لك بالمرصاد يدس لك السم في الخفاء . ويتأهب لطعنك بخنجر من الخلف ، وهذا الحبس كالديناميت ليس من الحكمة إشعاله ، وليس من الحكمة دفنه في الرماد لأنه لا يلبث أن يثور بغير أن تدرى
يجب اذن أن نواجه الحقيقة وجهاً لوجه كالمريض العاقل يواجه الطبيب ولا يخاف أن يفاجئه الأخير بأن به مرضاً عضالا

(٨) من أنجع الوسائل أن تستمع المريض حتى يقص علينا كل ما في داخله وينفث من صدره كل الأبخرة المحرقة حتى نجد لها متنفذا . والكلام منذ القدم سحر يؤثر في السامع والمتكلم على السواء

فالعاشق الذي أرتخيه حوادث الغرام حتى اختلت قواه العقلية ، اذا أمكن تشجيعه حتى يقص على من يكتم سره اسباب شقائه ، ينتفع كل النفع وليس من واجبنا تسهيل الصعب أو خلق المصاعب بل جعل التوازن بين الناس والحقيقة

والطالب في أية مرحلة من مراحل التعليم ، الذي يجلس الى ناظر المدرسة أو معلمه ، يشكو له ما يعاني من تباريح الداء ، أو الميل الى معاقرة بنت الحان ، أو الجنوح الى السرقة أو غيرها من العادات والأهواء ، أو يقص عليه الآلام التي يكابدها من نقمة والديه ومعاكسته لهم - الطالب الذي يستأنس بمن يستمع لهذه الاعترافات ، يفتح صمام الأمن ، ويفرج عن صدره كربات ، واذا ما كان المستمع حكيما ، انتهز هذه الفرصة للتشجيعه على ادارة الدفة نحو الصراط المستقيم

الاعلان فى الصحف والمجلات

تعتبر الصحف والمجلات — نظراً لانتشارها بين عدد عظيم من الناس — أداة هامة للاعلان وطريقة مثلى من طرق النشر . ويزيد انتشارها بين الجمهور بزيادة عدد المتعلمين فيهم

وتخصص الصحف عادة صفحة أو اثنتين للاعلانات الا أن هاتيك الصفحات كثيرا مايهملها القراء فيلجأ كثير من المعلنين الى النشر فى الصفحات الاخرى على أن يدفعوا فى مقابل ذلك أجرا اضافيا

وكل صحيفة أو مجلة لها تسعيرة خاصة لاجور الاعلانات وتختلف هذه الأجور بالنسبة للفراغ الذى يشغله الاعلان والصفحة المعلن عنه فيه

ومن المعروف أن الاعلان فى الصفحة الاولى يتكلف أكثر منه فى الصفحة الثانية وهكذا الا أن النظام الشائع فى الجرائد المصرية هو أن الصفحة الاولى هى أغلى الصفحات ثم تليها الصفحتان الرابعة والخامسة وهما المخصصتان لنشر الأخبار السياسية والمحلية التى يهتم لها قراء الجرائد ثم يلى ذلك باقى الصفحات

وكلما كانت الجريدة كثيرة التداول والانتشار ارتفع أجر الاعلان فيها . وتتقاضى بعض الصحف اليومية فى انجلترة عن السطر الواحد فى الصفحة الأولى ٣٥ شلناً عن كل يوم .

وكثير من الصحف ـ يومية كانت أم غير يومية ـ تبرم اتفاقاً مع احدى شركات النشر بحيث تسكل اليها عملية النشر فى هذه الجريدة فى مقابل مبلغ معين يتفق عليه تدفعه شركة النشر الى صاحب الجريدة ثم تقوم الشركة بدورها بتحصيل أجور الاعلانات لحسابها من المعلنين مباشرة . وهى تحتكر فى الغالب عملية النشر بها بمعنى أنه لايجوز لناشر أن يدرج اعلانه بتلك الجريدة الا بعد الاتفاق مع شركة الاعلانات وتلجأ الجرائد الى هذه الطريقة اذا أرادت أن تستغنى عن عناء الاشراف على هذه العملية وتخلى نفسها من مسئولياتها

ولغة الجريدة لها قدر كبير فيما يختص بالاعلان ودرجة انتشاره . فالجرائد التى تستعمل اللغة الانكليزية نراها منتشرة فى كل أرجاء العالم متغلغلة فى جميع انحائه فالجزر البريطانية كلها والولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا وزيلندة الجديدة افريقيا الجنوبية ومعظم الهند تتكلم الانكليزية وتقرأ الجرائد الانكليزية . والجرائد المصرية تباع فى كل انحاء العالم العربى الناطق بالضاد أما الجرائد اليونانية مثلا فلا توزع فى غير بلاد اليونان الا على أهلها القاطنين خارجا عنها فانتشارها اذن صغير محدود

والاعلان بالصحف ينبغى أن يكون مكتوبا بخط واضح ويحسن أن يكتبه خطاط قدير على « كليشيه » خاص ليكسبه الرونق الرشيق

وفيما يختص بالمجلات فلا حاجة بنا أن نذكر ضرورة انتقاء المجلة الملائمة لنوع الاعلان . فاذا أعلنت عن كتب وأدوات الكتابة فليكن ذلك فى المجلات التى يكثر انتشارها بين الطلبة واذا أعلنت عن دواء فنى المجلات الطبية أولا واذا أعلنت عن ادوات الالعاب الرياضية فنى مجلات الرياضة البدنية أو فى صفحات الرياضة فى المجلات الأخرى وقس على ذلك

«الاعلان والنشر» ملبكه عريان

العرى والعراة

حركة خطيرة بعيدة عن الخلاعة

قرأنا كتابا انجليزيا يدعى « مستقبل العري » لمؤلفه لانجدون ديفز . أورد فيه المؤلف من حجج الدعاة للعرى طائفة كبيرة تستحق النظر والدرس . وقد بعثتنا قراءة هـذا الكتاب على أن نعالج هـذا الموضوع فى ضوء هذه الحجج . فان الذى يسمع عن العري والعراة تخطر بباله خواطر عن الخلاعة والتهتك . وهذا هو المنتظر من الانسان الذى عاش فى هيئة اجتماعية أساسها الملابس . ولكن قليلا جدا من المتأملين يبين لنا فساد هذا الزعم بل هو يثبت الضد وهو أن الملابس تخفى عيوبنا وتبدى محاسننا فهى أدعى الى الاغراء الجنسي من العري . والناس يلبسون الملابس للزينة أكثر مما يلبسونها للاحتماء من الحر أو البرد . فهى من هذه الناحية [illegible] الذى تظل به الفتاة وجهها لكى تتجمل [illegible] تركته سافرا لما جذب اليه أنظار الشبان

وقد افتتح المؤلف كتابه بكلمة للحكيم العظيم هافلوك اليس هى : « قد تجود الأيام برسول عظيم لطهارة ومصلح جديد للاخلاق يحمل فى يده سوطا ويسير بيننا ويدخل مسارحنا ودور ملاهينا لكى يطهرها . وهو عندئذ لن يطارد العرى بل الاغلب أنه سوف يطارد الملابس »

وقل أن يكتب هافلوك اليس كلمة الا بعد تفكير وروية . وهو مثال العالم الاديب الذى يجمع بين العقل والبصيرة . ومؤلفاته جميعها تتعلق بالعلاقات الجنسية وهى دعوة حارة إلى الطهارة لا كما يفهمها الناسك بل كما يفهمها الفيلسوف . فاذا كان هذا رأيه عن العرى فهو رأى قد اختمر نحو ستين سنة فى ذهنه وهو جدير لهذا السبب بالاحترام والدرس

واستهل المؤلف فصوله بقصة الأميرة جوديفا التى يذكرها التاريخ الانجليزى . ففى القرن الحادى عشر كان فى انجلترا أميرة مشهورة بالتقوى والبر . وكانت ترى أن رعيتها مثقلة بالضرائب فتتوسل الى زوجها لكى يخففها فيأبى عليها ذلك . واخيرا وهو فى سورة الحر ألحت عليه فى هذا الطلب فعرض عليها أنه يقبل طلبها اذا هى تجردت من جميع ملابسها ثم ركبت جوادها وسارت فى شوارع المدينة وهى هكذا عارية لا يسترها غير شعرها الذى يموج على جسمها وكان هذا الطلب شاقا على نفس الاميرة جوديفا ولكن كان أشق منه على نفسها أيضا أن ترى الفلاحين وهم [illegible] بالضرائب . فنهضت جوديفا وتجردت من جميع ملابسها وركبت جوادها وسارت فى الشوارع التى رسمها لها زوجها وعادت اليه وقد خجل هو ولم تخجل هى وعرف الجمهور القصة فلعن الزوج وبارك على الزوجة . وخففت الضرائب

والقصة تذكر هنا على سبيل الاستملاح فقط . اذ لا يمكن تزكية العرى فى ايلمنا بالبر الذى اقترنت قصة الاميرة جوديفا قبل ٩٠٠ سنة . ولكن لها مغزى آخر " هو أنه عندما يلتقى العاري بالكاسى فان الأول لا يعتريه من الخجل مقدار ما يعترى الثانى

***

ثم يأخذ المؤلف فى شرح الفوائد الصحية والاجتماعية التى تعود على الناس من العرى . وهو

يخص فصلا لكتاب الدكتور روليه «علاج الشمس» ولهذا الدكتور مستشفى في ليسين في سويسرا لا يعالج فيه المرضى بالعمليات الجراحية أو العقاقير ولكن بالشمس فقط . فهناك يحمل اليه المريض وهو مهدم الجسم فيجرد من الملابس لباسا بعد آخر لأنه لا يتحمل جرعة ثقيلة من ضوء الشمس . ثم يقضى أسابيع أو أشهرا وليس عليه خيط من قماش . فاذا به يرى نفسه وقد تماثل وعادت اليه صحته . وفى هذا الكتاب صور لبعض المرضى منها صورتان لطفل يوم دخوله وعقب شفائه . ففى الأولى لا يكاد يتبين فيه الانسان الملامح الانسانية حتى أن الاشمئزاز منه يمنع من التحسر عليه . فان ركبته أكبر من كفله . وكوعه أكبر من كتفه . وقد تقرحت قدماه وانتفخ بطنه بأرياح السموم التى تختمر فيه . والصديد يسيل من يديه . وقد تساقط الشعر من رأسه حتى بانت فروته . والوجه هو ذكرى لوجه طفل . والجسم كتلة ملقاة على الفراش

أما الصورة الثانية فهى لهذا الطفل أيضا بعد أشهر من العلاج بضوء الشمس ليس على جسمه شيء سوى وزرة حول كفليه . وهو صبي نشيط يحمل حجرا ثقيلا أو يدفع عربة يدوية أو يجمع الدريس كيمانا متفرقة . وكل ما عولج به حتى صار إنسانا سويا هو الغذاء الحسن والعرى التام . ويقول الدكتور روليه فى قصة هذا الصبي أنه عندما عرض على الأطباء قبل قدومه اليه اقترحوا بتر ساقية واحدى ذراعيه والله لم ينقذ الصبي من هذا المصير سوى أن الأطباء لم يجدوا أية منفعة من بقاء هذا الصبي حيا بعد هذه العملية فتركوه لكى يستريح من عبء الحياة بالموت .

ثم ينقل المؤلف ماتقوله الموسوعة البريطانية عن فائدة التعرض للشمس . اذ تقول :

« اذا كان التعرض للشمس بالطرق الحسنة يقوى الجسم فقد ثبت أنه أيضاً ينبه الذهن . والشخص المعرض للشمس يمتلىء ابتهاجا وانتعاشا وقد قامت شواهد تدل على أن الاستجابة الذهنية أسرع والنشاط فى التفكير أوضح . كما أثبت ايدنوف أن قدرة الدم على قتل المكروبات تزداد بالتعرض للشمس ... وأثبت سون أن الاشعة المرئية تنفذ من البشرة فيمتصها الدم المجاور فتستحيل الطاقة الطبيعية الى طاقة حرارية . وهو يظن أن هذا التأثير هو الذى يهيىء الجسم للتغلب على السموم . وأثبت البحث أيضا أن مقدار الحديد والفصفور والكلسيوم يزيد فى الدم بقدر التعرض للشمس . وللمعالجة بضوء الشمس فائدة كبرى فى الاحتفاظ بقوة الجسم وزيادتها ولها أثر تنبيهى فى زيادة الاخصاب فى الحب الجنسى ... والاتجاه الآن نحو استعمال ضوء الشمس للاستعانة به فى معالجة جميع الامراض وليس لمعالجة مرض خاص » .

وهذه الموسوعة لايمكن أن تتهم بأنها تدافع عن حركة العرى الحاضرة . فان هذه الحركة لم تظهر الا حديثا بعد أن طبعت ونشرت هذه الموسوعة .

ثم يبحث المؤلف الفائدة المزعومة للملابس من حيث اتقاء البرد أو الحر فينكرها . ويضرب مثلا بالقبائل الهمجية فى استراليا . فى الاقاليم الشمالية من هذه الجزيرة يشتد قرس البرد ومع ذلك لايلبس الاستراليون شيئا فى ليالى الشتاء . وعندهم فراء الكنغر الذي لايفكرون فى استعماله لتغطية أجسامهم . أما فى أواسط استراليا حيث يشتد الحر فان الاسترالى لايلبس شيئا سوى عصابة من الشعر يتعصب بها على جبهته تصنعها حمائه من شعرها . ولكن هؤلاء الاستراليين يوهمون الينا بحياتهم الساذجة الي أصل الملابس . فانهم فى احتفالاتهم يغطى الرجال أعضاءهم التناسلية بشعر مخصوف كالمروحة ويدهن بالجبس . وكأن المقصود منه أن يلفت النظر الى الاعضاء التناسلية . أما النساء فلا يضعن شيئا

ووصف داروين الهمج فى دل فويجو فقال : « كان هؤلاء الفويجيون الذين رأيناهم فى الزورق عراة عريا تاما . بل كان بينهم امرأة بالغة وهى أيضا عارية وكان المطر وابلا فكان الماء برشاشه يسيل من على جسمها . ورأينا فى ميناء أخرى ليست بعيدة امرأة ترضع طفلها الذى لم تمض على ولادته مدة وقد جاءتنا ووقفت الى جنب سفينتنا للاستطلاع وكان الصقيع يسقط على صدرها العارى فيذوب ويسيل على طفلها العارى . وفى المساء جاءنا خمسة أو ستة من بنى آدم وكلهم عراة ليس مايحميهم من الريح والمطر شىء فى هذا الجو العاصف وقد ناموا على الارض المبتلة كما ينام الحيوان » .

وهؤلاء الهمج الذين يقع على أجسامهم الصقيع ويذوب ، بل يقع على أطفالهم لايموتون من البرد بل لايمرضون به كما نمرض نحن الكاسين بالملابس

ويكثر المؤلف من ايراد الشواهد التى تدل على أنه حين يعمد الهمجى إلى اتخاذ الملابس أو إلى وضع أي شيء على جسمه فانما يفعل ذلك لكى يلفت النظر إلى أعضائه التناسلية . ففى غينيا الجديدة يضع الرجال أعضاءهم التناسلية فى قرعة يربطونها الى مافوق كفلهم وهم يتباهون بعظم هذه القرعة حتى أنها تبلغ أحياناً ربع قامة الرجل . أما النساء فلا يضعن شيئا .

وفى نيجيريا يستعمل الرجال شيئا من القماش للزينة فلما سئلوا لماذا لاتستعمل النساء مثل هذا القماش قالوا أنهم يمنعونهن من ذلك لانهن يزددن جمالا فيغرى

بين رجال القرى المجاورة

وبعد ان أثبت المؤلف أن التعرض لضوء الشمس يقوي الصحة ويرد العافية الى المريض وأن هناك ملايين من الهمج يعيشون عراة أخذ يصف اختلاف العادات الشائعة عن اللباس بين المتمدنين في الشرق والغرب ويبين أن الحياء انما هو عرف وعادة لا أكثر. فالسنحي تحن من أظهاره وتمعن في اخفائه لا تستحي أمة أخرى من تركه مكشوفا

ثم يتناول المؤلف وجوه المعارضة للعري اذا فرضنا هذا الفرض الذي يعد خياليا في أيامنا وهو أن الامم أو احداها قد شرعت في تنفيذ واجبرت الناس على التجرد. وهو يضع رجال الدين في رأس المعارضة ثم ينتهي بأن الأديان لا شأن لها بالملابس اذا رجعنا الى اصولها ولم نرجع الى تقاليدها. وهو هنا يعني الدين المسيحي فان المسيح نفسه لم يتعرض للملابس ولكن رسله حتموا نوعا من الحجاب للمرأة وقت الصلاة في الكنيسة. ثم هناك معارضة أصحاب الصناعات القائمة حول الملابس من غزل ونسج وخياطة. وهو يرى أن هذه المعارضة تضعف وتزول لأن العري لن يفاجأ به الناس بل يأتي رويدا رويدا. وقد يأخذ عشرات من السنين قبل أن يتم. أما المعارضة الكبرى فستأتي من ناحية الذين يخشون العري لأنه ينقص الاقبال على الزواج. فان الملابس تغري الآن بالزواج اذ هي نوع من الزينة لا يختلف من أنواع الطلاء أو الصبغ الذي يطلى بهما الوجه. وعندما يرى الشاب الفتاة على حقيقتها فانه قد يشمئز منها. وهذا النظر صادق. فاننا في حالة العري تدخل قوام المرأة في ميدان الامتحان وقل أن تنجح المرأة أو الرجل في هذا الميدان. ولذلك فان من المرجح أن يقلل العري الاقبال على الزواج

ولهذا السبب يعتقد المؤلف أنه يجب الايفاجأ الناس بالعري العام لأن اشمئزازهم منه يقضي على الحركة ويردهم الى الملابس ردا عنيفا. ويرى أن تسير الحركة سيرا رويدا بالتخلص من قطع الملابس قطعة بعد أخرى. وأن يعطى امتياز التجرد من الملابس أو معظمها لمن يثبتوا أنهم يحوزون قواما حسنا أو ذهنا حسنا حتى يصبح العري شيئا يتطلع اليه الجمهور كأنه قصد نبيل. وهو لذلك ينظر إلى شواطىء الاصطياف باعتبارها طورا من أطوار العري الجزئي حيث تختصر الملابس ويألف الناس فيها رؤية الجسم العاري أو بعضه ثم يشرح الفوائد البيولوجية التي تعود على الأمة من العري وهي غير الفوائد الصحية. فاننا الآن في الانتخاب الجنسي الذي يؤدي إلى الزواج والتناسل نختار زينة الملابس التي تخدعنا وتخفي عنا عيوبا. أما في حال العري فاننا نختار القوام السليم من العاهة أو الشذوذ. فتعود للقامة مكانتها وجمالها كما للوجه وتصبح عاملا محسوبا في تطور الأمة. وهذا كلام صحيح بل حجة قوية جدا للعري. واشمئزازنا من العري لا يرجع الا الى أن قوامنا سيىء كريه نحتاج الى اخفائه بالملابس

بذور الحركة البشرية

كما ذكر الانسان القرون الوسطى خطر للذهن تسلط الكنيسة على التفكير وحجرها على الحرية الذهنية . وليس شك فى هذا التسلط وهذا الحجر

ولكن يجب الا ننسى أن الانحطاط لا يعنى أن هناك اذهانا متنبهة قد حجرت عليها الكنيسة وصارت تمنعها من التفكير الحر . لأن هذه الحال هى حال اليقظة والتنبه على الرغم من هذا الحجر . وانما حقيقة الانحطاط فى القرون الوسطى تعنى أن الذهن البشرى نفسه قد انحط فصار ينظر الى الدنيا من زاوية العقيدة والمذهب وأخذت العقائد مكان الاراء والجزم مكان الشك والبحث

فمنذ القرون الاولى للمسيحية اخذ الناس أو تلك الاقلية التى كانت تقرأ — يدرسون لغاية واحدة هى خدمة الدين . وعندئذ أصبح الرجل المثقف — وهو فى الغالب راهب — يدرس السموات السبع كما ندرس نحن الآن جغرافية أفريقيا . وهو يفعل ذلك لا لأن الكنيسة تمنعه من درس الطبيعة أو العلم بل لأن هذا هو مزاجه الذى اكتسبه بعد مئات من السنين عدم فيها الناس كتب الاغريق والرومان أيام نهضتيهما وأصبح الكتاب المقدس موضوع درسهم يقرأونه ويعلقون عليه

وهذا هو «العصر الجليدى» الذى أصاب الذهن البشرى فى أوربا . اذ أصبحت الفلسفة لاهوتا غايتها اثبات حقائق الدين ورواية الرسل . وزال الروح العلمى تمام الزوال . فان هذا الروح كان قد ابتدأ بداية ضعيفة جدا فى الاسكندرية ولكنه ما كاد ينهض حتى مات عقب زوال البطالسة . وبقيت الحال على ذلك الى أن عاد ينتعش على أيدى العرب فى الاندلس

والمشهور عن القرون الوسطى أن النقل فيها أخذ مكان العقل . ولكن هذا القول ليس صادقا بأكمله . فانه اذا كان من المسلم به أن العلماء الرهبان كانوا يعتمدون كثيرا على الرواية وما يشبه العنعنة فانهم كانوا يعتمدون — فى أواخر القرون الوسطى — على العقل . وذلك أنهم كانوا يفكرون ولكن تفكيرهم لا يخرج عن حدود الدين ولذلك جعلوا الفلسفة لاهوتا . ولذلك أيضا نجد فى النهضة الأوربية ثلاث نزعات ذهنية مختلفة تناقض نزعات القرون الوسطى

١ — النزعة الأولى هى الرجوع الى القدماء فى الفنون وتكاد هذه الحركة تنزع نزعة وثنية . فانا نرى الرسام أو المثال مع رغبته فى خدمة الدين لا يتقهقر أمام موضوع وثنى . فانه يرسم أو ينحت الآلهة كما يرسم أو ينحت الملائكة أو العذراء لا يشعر وهو يفعل ذلك أنه قد تلبس بالكفر والاثم كما كان يشعر أسلافه بين القرنين الثالث والعاشر

٢ — النزعة الثانية هى درس الكتب التى لا تتصل بالدين كأن الانسان قد شعر فى النهضة أن افاق الذهن تتسع لغير الدين وانه يجب عليه أن يحقق السعادة فى هذه الدنيا . وهذه الحركة تسمى « الحركة البشرية » لأن الناهضين اعتمدوا فيها على درس المؤلفات البشرية زيادة على درس المؤلفات الدينية

٣ — أما النزعة الثالثة فهى الحركة العلمية وهذه لقيت بذرتها الأولى فى الاندلس عند العرب . وتكاد تكون اكتشافا جديدا لمدنيا لانها اعتمدت على التجربة

والقرون الوسطى لم تنته بتاريخ معين . فان سنة ١٤٥٣ هى حد عرفى لنهايتها . ولكنها كانت فى الحقيقة تنزاح عن الاذهان كما ينزاح الليل رويدا رويدا .

ولذلك نجد بعد القرن الحادى عشر اضطرابات ذهنية كأنها ارتكاض الجنين فى الرحم تنذر بالميلاد القادم . ونحن نذكر هنا رجلين عاش كلاهما فى القرون الوسطى ونزع كلاهما نحو النهضة

وأولهما هو ايلار (١٠٧٩ — ١١٤٢) فانه كان رجل دين قبل كل شىء ولكنه دعا الى الشك وجعل منه أساسا للايمان الصحيح عنده وأننا اذا اصطدمنا بشىء لا يتفق مع العقل وجب علينا أن نعوذ بالضمير وهو يعتقد أنه ليس شىء فى الدين لا يتفق والعقل ولكن اذا أستبهم علينا شىء من ذلك فان علينا أن نلجأ الى ضميرنا . ومع أنه قال ذلك فى حذر بل فى اعتذار فان مؤلفاته حرمت بأمر من البابا

أما الثانى فهو توماس الاكوينى (١٢٢٥ — ١٢٧٤) فانه ألف فى التوفيق بين العقل والدين وهذا التوفيق هو فى النظر الحديث تلفيق . ولكنه مع ذلك محاولة من المحاولات الاولى للخروج من قيود الحرم الى ميدان الرجم أو خروج من النقل الى العقل . فهو مثلا يعمر ذهنه لكى يصل إلى استنتاجات منطقية تثبت وجود الله ثم يبرر وجود الدين بأنه يرفع الاخلاق بما فيه من زواجر تزجر عن الشر والعدوان

فى كلا الرجلين نرى جراءة على التفكير . ولكننا نرى ما هو أحسن من الجراءة فى ذلك الزمن وهو الرغبة فى درس الكتب الاخرى التى لا تمت الى الدين فكلاهما يدعو الى الثقافة البشرية والى درس الكتب الوثنية القديمة . وهنا اذن نرى بذرة هذه الحركة البشرية التى نرى على أقواها فى النهضة وخلاصتها أن الثقافة يجب الا تقتصر على درس الدين بل يجب أن تتجاوز ذلك الى ما ألفه الناس أيضا وان الانسان يجب عليه أن ينشد السعادة الدنيوية بدرس الثقافة البشرية كما عليه أن ينشد السعادة الاخروية بدرس الثقافة الالهية

وكما كان « اللاهوت » مزاج المثقفين فى القرون الوسطى أصبحت « البشرية » مزاج المثقفين فى أيام النهضة ومن هنا هذه الحركة بل هذه الحمى التى أصابت المتنورين أيام النهضة . فان المدارس والمجامع والافراد نهضوا جماعة يبحثون عن الكتب القديمة بين مخلفات الاغريق والرومان ويدأبون فى درسها ومناقشة آرائها لا يبالون ما فيها من كفر أو وثنية



قصة القناع الاسود

لاندريه موروا

في هذه القصة الطريفة يحاول أندريه موروا الكاتب الفرنسي المعروف أن يصف الجمود الانجليزي والتحفظ في الحديث وكراهة الانبساط والتفتح بأن هذه الصفات جميعا دليل على التكبت . وأن الانجليزي عندما يأمن الملبة والجهر يقبل على الحديث وينبسط . وكذلك عندما يشرب الخمر تزول عنه الرقابة على نفسه فينبسط أيضا ويفتح

واندريه موروا أديب فرنسي يدرس الأدب الانجليزي ويؤلف في أعيانه مثل بيرون وبيكونسفيلد . وهو معروف بميله الى التحليل النفسي على طريقة فرويد

مضى زمن طويل وأنا تائق الى معرفة واترکوير . أحببت كتبه . فلم يكتب عن الحيوان بمثل هذه الاجادة أحد منذ كبلنج . لا عن احراش الشرق بل غابات الريف الجنوبي : المزهرة ، الرقيقة الاديم ، الآهلة بالاراب والثعالب .

لقاء الكتاب الانجليز عسير . فكثير منهم يعيش في الريف ولا يأتي البتة الى لندن . والادب هنا لا يكون كما هو الحال في فرنسا — شركة تجارية لها تلاميذها وصناعها المجيدون وقواعدها ، وحتى في هذا البلد بكل احترامه للحرية كان واترکوير مشهورا بأنه رجل الغاب البري

وقالت الليدي شالفورد وهي رفيقة معجبة — « ستجده صعب المنال . يعيش في قرية من اعمال دافوك مع زوجه في أحد أكواخ العمال . كانت عائلاتها صوفية من الجانبين . وكان اثنان من اجدادها واعظين من المنشقين على الكنيسة . وتلبس مريام كوير أثوابها طويلة لا شكل لها تتدلى الى رسغيها وهي رائعة الوسامة . ولا أظنها تلفظ كلمة .. »

وقد حث الوصف رغبتي لمعرفتها ؛ وذات يوم اقتنصت فرصة رحلة بالسيارة لاقف في قريتها . وكان القرويون في ساسكس لا يعلمون أن عبقريا يعيش بينهم ولكن القصاب امكنه أن يخبرني أين يعيش كوير وزوجه فقد كانا من عملائه

وسألته « تعني واتركوير الكاتب ؟ »

قال « أوه ، ذلك مالا علم لي به ولكنه ابن أخ كوير العجوز .. »

وتبعت الطريق الذي دلني عليه القصاب . كان يلتوي دون نهاية حتى وصلت أخيرا الى بوابة مفتوحة وراؤها ممشى يقود الانسان خلال غابة غنية بالزهر . وكانت أزهار الدفلى قانية وبرتقالية وفي لون اللهب ولون اللحم مغروسة تحت الاشجار بتفنن يزيده روعة أن تأثيرها كان يبدو طبيعيا محكما . وكان المنزل الصغير البهيج في تواضعه ذا سقف من القش والبوص ... !

كانت ميريام كوير هي التي فتحت الباب . وكما قالت الليدي شالفورد كانت تلبس ثوبا طويلا من الموسلين تحميه وزرة بيضاء . وكان وجهها رائعا لطهارة مقلقة

تشكلا أن تكون غير طبيعية . واصغت الى اعتذاراتى دون أن يبدو عليها أنها فهمتنى . ووك خلاة فى أثناء جملة صائحة « والتر ! »

وتحرك جسم والتركوبر الطويل بتلبك . وكان ثوبه الخردلى اللون الملوث بالبقع فاخرا فى نهايه . وقد تقبل شرحى بلطف صامت وادخلنى الغرفة التى يعمل فيها . وكانت الرفوف محملة بالكتب . وحين دخلنا التفت رجل كان يتأمل العناوين . وقدمه كوبر . ناقد شهير . وتابعا الحديث الذى قطعته ، مباحثة فى أزهار عود الصليب والعمق الذى ينبغى أن تترسخ فيه قد يبدو . ولكن تلك الزيارة كانت فاتحة صداقة. وأتى كوبر وزوجة لزوين فى أثناء مرورهما بباريس لقضاء الشتاء فى تاماريس . وعدت لاقضى عطلة نهاية الأسبوع معهما فى سافوك . ولكن بالرغم من هذه الصداقة ورغبتها البينة لزوين لم أزدد معرفة بها عن اليوم الأول . وزيادة على ذلك فقد كانا عاجزين عن تجاذب الحديث أحدهما مع الاخر كحاله مع الغريب. وفى الليل ، فى منزلها كانا يجلسان جنبا الى جنب على مقعد مواجه للنار يربت كلاهما كتف الاخر بحنو ويخيل أن كليهما كان شغوفا بالاخر .

لم أرهما طوال الحرب وحوالى عام ١٩٢٠ كتبت الليدى شالفورد تنبئنى عن حفلة تنكرية أزمع اقامتها احد المستشفيات وأنه اذا أتفق وجودى بلندن فسيسرها رؤيتى هناك . وقبل الدخول يرفع المرء قناعه خلف ستار ليحيى المضيفة .

وقالت الليدى شالفورد « مساء الخير «اصادفك بحر هادىء ؟ ينبغى أن اريك توا سيدة سوف تظفر باهتمامك »

وأخذت ذراعى ، وتركت موقف الواجب ، ومضت تتفحص جمهرة الحاضرين زمنا طويلا .

وأخيرا قالت « آه .هذه ما ينبغى »

واجلستنى بجانب سيدة مديدة القامة تلبس كأى شخص آخر قناعا اسود ، ثم اختفت . وقلت وأنا مغلوب على أمرى حائر مدهوش

«هذا جذب انى كما تلاحظين من لهجتى فرنسى دون شك لن نتقابل مرة اخرى . . . سأقص عليك كل الاسرار الحزينة التى يخفى بها المرء للاطياف فى الاحلام . . . »

وكان لرفيقتى يدان سريعتان مبرتان واندمجت فى اللعبة بحماسة . ووجدتها بادىء الأمر تزيد جرأة عاوقتى. فقد اعترفت برغبات أولية بتلك الأنماط العلمية الأمينة التى كان فرود واتباعه يزودون بها الانجلو سكسون .

وبعد قليل كانت تتحدث بطلاقة عن الجانب الحيوانى للمرأة ، ثم عن الصلات بين الحب والطبيعة، وعن الكتب التى تؤرقها ، كلها غريبة وحيوانية حتى غلبت على أمرى .

ومن أنت ؟ » رجوتها أن تخبرنى « بعض ما تقولين قد يحملنى على الظن بأنك تعرفيننى .كلا ؟ لا اراك مرة أخرى ؟ لم اسمع يوما بحديث بهذا القدر »

وقلت وهى تهم بالوقوف لقــــد افضيت لم أسمع صوتك من قبل . الايمكنك رفع قناعك لحظة حسب ؟ فى مقدورك أن تحول رأسك . . . ولكن ولكن يجب أن تقف عند هذا الحد . واختفت » فى الحفل الحاشد ولم أحاول اللحاق بها .

وبعد عشر سنوات أفضت الليدى شالفورد أن رفيقتى المقنعة كانت ميريام كوبر . وكنت قد لقيتها مرات عدة منذ ذلك الحين وكنت أجدها دائما المخلوق الابكم ، المسالم ، البرىء .

أما والتر كوبر فقد اكتشف الاسبوع الماضى أنه يستطيع أن يتحدث ايضا ، حين يكون ثملا .

ترجمه محمد سليمان على

عمر الخيام في رباعياته

بقلم الاستاذ روكس زايد العزيزي

شخصية الخيام. غايته في رباعياته . الخيام ومذهب انتهاب الحياة . دين الخيام . الخيام والقدر . عقيدة الانتخاب في رباعيات الخيام . طريقته في التوصل الى عفو الله. آراء الخيام الفلسفية. زهد الخيام في الزواج. الفرق بينه وبين زهد المعري . نظرة الخيام للمال . رأيه في الشهرة . ترفع الخيام وعزة نفسه . يأس الخيام وشكوكه . تفاؤل الخيام . السعادة في نظره . تهكمه . أثر المحيط والعصر في نفسيته ! ! . . .

* * *

شاعر الفرس النابغة وفيلسوفهم العظيم ورياضيهم القدير ليس في عالم الادب من لم يسمع به أو يقرأ رباعياته . تلقى علومه مع نظام الملك وزير السلطان ملك شاه والحسن بن علي المشهور بالصباح. وقد كان الخيام نادر الذكاء حمل ذكره في الشرق واذاع الغربيون شهرته لأنهم رأوا فيه ممثلا لروح المدنية العصرية على مايرى العلامة التركي رضا بك توفيق . والذي يدرس رباعيات الخيام حق الدراسة يقول أن الخيام شاعر شديد التفلت من التحديد يستهل رباعياته بلزوم احترام الارض مجاراة لابي العلاء المعري

كل ذرات هذه الارض كانت
أوجها كالشموس ذات بهاء
أجل عن وجهك الغبار برفق
فهو خد لكاعب حسناء

ينظر الى الحياة نظرة حائرة لايجدي معها المنطق ولا ينفع القياس يعتقد أن كل ما في الارض والسماء سوف يندثر وينهدم . فهو متشائم غير أن تشاؤمه يخالف تشاؤم أبي العلاء المعري . تشاؤمه يقوده الى احتقار العرف والعادة والى المروق من التقاليد والانفلات من قيود الاخلاق والشرائع، تشاؤمه يأس حائر فهو يريد أن ينتقم من كل شريعة ويحطم كل نظام ويهدم كل عقيدة لأنه يرى في الشرائع والانظمة والعقائد حاجزاً يحول بين البشر والسعادة . هو يريد أن يهدم هذه كلها ويقيم على انقاضها اللذة وانتهاب الحياة فهو مخالف لابي العلاء على خط مستقيم . ابو العلاء متشائم يائس ، تعب كلها الحياة بنظره ، وحماقة يعرفه كل الاديان والشرائع ولكنه مؤمن بالفضيلة متمان بالزهد والعطف على الانسانية ناقم على الظلم والظالمين يدعو الى نبذ الشرائع ليقيم بدلا منها اخرى تضمن هناء البشر وسعادتهم وقد يكون سبب هذا التباين بين الرجلين ناجم عن مزاج الخيام الآري ومزاج ابي العلاء السامي ، فالآري يحترم السلطة لأنها سلطة فاذا نقم عليها طلب تحطيمها بلا تبديل ولا تغيير أما السامي فيحترم السلطة مادامت مثلا اسمى فاذا شك بهذا المثل الاسمى طلب تبديله علّه يجد ما يسد فراغ مجاعته الروحية للمثل الاسمى

يرى الخيام أن الفناء سيكون مرة واحدة فيستنتج من ذلك أن اعظم حماقة أن يأسى الانسان لشيء، يحتقر الغد وما يأتي به الغد . ويرى العقل كل العقل بان يجعل الحياة سكرة دائمة فلايهتم بغير نفسه ولا يكترث لغير مسرته وهذه الرباعية تمثل نفسية الخيام :

قد خاطب السمك الاوز مناديا

سيعود ماء النهر فصف هناه
فأجاب أن تصبح سواء فلتك الد
ثيا سرابا بعدنا أو ماء

تشاؤمه ويأسه يقودانه الى الشك فى البشر واليأس من الاصدقاء . لا يحترم الرجل الا لوفائه واحرى بمن غدره الاصدقاء وخدعوه أن يرفع الوفاء الى اسمى الدرجات ويؤله أهله! يرى أن السلامة فى قلة الاصدقاء ويعتقد أن من اعتمدت عليه أشد اعدائك لؤما ونذالة. نستنتج من ذلك أن الخيام لم يكن موفقاً فى عشرائه وأصدقائه وهل يستطيع السكير ان يجد صديقاً وفياً؟ وهل فى البشر صديق وفى !! . . .

***

عندما تدقق فى رباعيات الخيام تجزم أنه لم يكن للرجل غاية معينة يسعى اليها فى رباعياته وكيف يمكن أن يكون له غاية وهو الناقم على العرف والعادة الثائر على التقاليد والانظمة الساخط على الاديان المحتقر للوطنية الهازىء من الفضيلة المتهكم على المبادىء وأصحابها . الحياة فى نظره مهزلة لا غاية لها ولا فائدة يجهد نفسه لتأييد فكرة تقرير غاية معينة . فما دامت الحياة مهزلة سخيفة فكل ما فيها من مثل عليا يجب أن يكون سخيفاً فى نظر الخيام حتى العلم والعقل وكل مايقدسه البشر من ايمان وجنة ونار وفضيلة وأخلاق وثواب وعقاب ،حماقة فى حماقة.المؤمنون بنظر الخيام حمير والايمان سخافة مضحكة كما تصرح رباعيته:

كن حماراً فى معشر جهلاء
أيقنوا أنهم أولو العرفان
فهم يحسبون للجهل من لم
يس حماراً خلوا من الايمان

ينكر وجود الخير والشر فى هذه والحياة يشك فى العدل المطلق .فرجل هذه نظرته لكل مايقدسه البشر جدير به أن ينظم رباعياته بدون غاية الا التهكم المر والسخرية اللاذعة فهو هازىء متهكم هازل وان كان له من غاية فغايته هدم كل مقدسات البشر ومثلهم العليا لانه يراها أحط من أن يحفل بها أو يجهد نفسه باحثا عنها ومحترما لها فهو بذلك شديد الشبه بأناتول فرانس. وليس غريبا أن يفكر شاعر عاش فى القرن الحادى عشر بما يفكر به رجل من أبناء القرن العشرين . فالافكار التى تهب بالغرب اليوم أفكار الانسانية الشاملة، أفكار الالحاد والزندقة، أفكار الاشتراكية المقيدة والمتطرفة، والعدمية وكل ما ينسب اليها جاءت من الشرق

***

كان من حق الخيام وهو يشك كل هذا الشك المريب أن ينقلب يأسه الى حزن مقيم كما انقلب يأس أبى العلاء، ولكنه تحول الى مذهب شعراء اليونان — انتهاب الحياة — فأرصد له أكثر من نصف رباعياته داعيا له بكل حرارة روحه

***

عاش الخيام فى عصر فشا فيه المكر والرياء فأنفت نفسه من أن يكون مرائيا خداعا يظهر الزهد وينطوى على الرجس والنذالة فاطلق افكاره أقصى حدود الحرية ولم يرد ان يتقيد بمذهب معين آمن بقدرة أزلية تهيمن على هذا العالم . واعتقد أن هذه القدرة الازلية تنظر الى البشر نظرة عطف وتسامح وأنها لا تؤاخذ البشر على ما يأتون من اثم ومعصية لأن ما يراه البشر معصية تراه القدرة الأزلية لازمة بل ضرورة من ضرورات انتظام الوجود فهو بهذا يوافق اناتول فرانس أو اناتول فرانس يوافقه !

يد لى فى جام وأخرى بمصحف
وطوراً أنا الجانى وطوراً انا العف
اعيش ومالى تحت ذا الافق مذهب
فلا مسلم محض ولا كافر صرف

يرى ويرى معه اناتول فرانس أنه لا يليق بالحكيم أن يتقيد بمذهب . والخيام مؤمن باللذة والألم يرى دين الناس — في زمانه — وصومهم وصلاتهم وعاداتهم رياء ومكراً وخداعا ، يرى تقيد رجال الدين وزهدهم مكراً لاصطياد الدراهم والدنانير فهو متفق مع أبي العلاء وأبي العتاهية . من أجل هذا يكره الخيام لنفسه أن يكون مرائيا مداجيا فيفضل شرب الخمر وانتهاب الحياة على الزهد المرائي ينظر الى الشرائع والاديان نظرة ريب وحذر

فكرت في الدين اقوام كما
حار بين الشك واقطع فريق
فاذا الهاتف يدعوهم ايا
به لا هذا ولا ذاك الطريق

• • • •

أن الذين ترحلوا من قبلنا
زلوا باجداث القبور وقاموا
اشرب وخذ هذى الحقيقة من فى
كل الذى قالوا لنا أوهام

يعتقد أن الحقيقة مجهولة وأن كل ما في الكون لا يتعدى حدود الظن وأن زعماء الاديان يقولون مالا يفعلون فهو يكره أن يستعبد ضميره لقوم لاصلة بين أقوالهم وأفعالهم ويرى أن الدين في اطعام الجائع والكف عن اذى الناس وينكر هذه الفرائض وتلك الرسوم النظرية التي لا يعمل بها المبشرون بها

دع كل مفروض ومندوب ومن
قوت لديك فاطعمن الناسا
لا تؤذ خلق الله أو تغتبهم
وأنا الضمين غداً فهات الكاسا

• • •

أبرز ما تجد في رباعيات الخيام بعد دعوته الحارة لانتهاب الحياة هذا الايمان الغريب بالقضاء والقدر بل بالجبر يعتقد أن الانسان مجبر على أفعاله لأن الله عند ما خلق الانسان قدر كل أفعاله وتصرفاته فالانسان مرغم على ما يأتيه لئلا يكذب قدر الله وقضاءه أو يكذب علمه السابق ثم يعتقد أن الله مصدر ما يسميه البشر خيراً وشراً — لأنه لا يؤمن بالخير والشر — يعتقد أن الانسان يخطىء بحكم طبيعته التي خلقها الله فليس الذنب ذنب الانسان أن أخطأ ولكنه عمل الله الذي لم يحكم صنعه . يرى فوق ذلك أن الله أسمى من أن يتنازل لمجازاة إنسان عن ذنبه لئلا يصبح الله كالانسان الذي لا ترتاح طبيعته الا للانتقام ممن أساء

يؤمن الخيام أن الله اختار أناسا للنار وأناسا للجنة فمن العبث — اذا كان هناك نار أو جنة — أن تكد وتتعب فان كنت مخلوقا للسعادة فستسعد مهما فعلت وليس الله بمغير حكمه واذا كنت مخلوقا للهلاك فانك هالك لامحالة وبهذا يوافقه اناتول فرانس في تاييس. وفوق هذا فالخيام يريد حلم الله وتسامحه . يذهب أيضا مذهب بعض شيع البروتستانت بلزوم الاجرام إذا كان الانسان يرغب في عفو الله وغفرانه، مؤمن بأن الله لم يخلق انسانا بلا ذنب وأن الله خلق الذنوب والمذنبين لغاية سامية . والخيام لا يرى قيمة لصلاح تسقط قيمته بعمل واحد ردىء وانه لا قيمة لصوم يفسده الكلام ولا قيمة لوضوء تفسده نسمة فيعد أن وضع مقدماته الفاشلة خرج منها بتلك النتيجة الحتمية وهي الاستسلام لمذهب انتهاب الحياة

• • •

للخيام آراؤه اللا ادرية يعترف بالجهل ويعتقد أنه ليس في مقدور البشر الوصول الى حقيقة الكون وما وراء الطبيعة فالناس يجهلون بداية الخلق والمعاد

ونهاية الكون كل هذه يراها الخيام أسراراً لا يمكن الوصول اليها . ويعتقد أن كل ما وصل اليه الناس أن هو الا ظنون وحقائق فاسدة وإنها مبنية على حواسنا المحدودة وادراكنا القاصر ومع هذا فهو مؤمن بقوة أزلية تسيطر على هذا الكون وتديره ناظرة الى البشر نظرة تخالف تماما كل تصوراتهم وأفكارهم من أجل هذا نرى الخيام في بعض رباعياته يسخر من اعتقادات البشر ومن الله كما يصوره الناس . ينظر الى حوادث الكون نظر فلاسفة الطبيعة يرى أن كل ما في الكون يجرى كالنهر تتدفق أمواجه منذ الازل وتظل الى ما لا نهاية له تتحطم المادة لتصنع منها الطبيعة مادة أخرى قد تكون أجمل صنعا وأدق اتقانا مما كانت عليه قبل انحلالها وقد تكون أقبح . فهذا الغبار أن هو الا خد كاعب حسناء وذاك القدح جزء من رأس جمشيد وعروة ذاك الكأس يد غادة هيفاء وهذه الزهرة وتلك الوردة وذاك العنقود كلها نبت بذرات جسم كسرى وقباذ . وهذا الخيام يسأل ذرات جسمه قائلا أتدخلين في ابن تبنى منه القصور أم الا كواخ ؟ يسأل نفسه أيكون جسمه بعد انحلاله سماداً لاغذاء الورود والرياحين أم يظل الى الابد عصافة تذروها الرياح السافيات فهو في هذا يوافق كل الموافقة أنصار المذهب المادي !

* * *

الخيام يكره الزواج ولكنه في كرهه أناني متطرف في حب نفسه يرفض الزواج ليتمكن من اللذة وينعم منها أكبر نصيب ممكن فاسمعه

ما خلق الله راحـــة وهنا
الا لمن عاش مفـرداً عزبا
من ترك الانفراد وافترنا
فقد جنى بعـد راحة تعبا

فاين زهده من زهد أبي العلاء الثائر الزاهد الذى يدفعه اليه عطفــه الزائد على البشرية وشدة شعوره بالمسؤلية نحو الأبناء الذين يدفعهم الزواج الى هموم الحياة المملوءة تعبا وشقاء . والمعرى يكره الزواج لأنه يرى في الولادة جناية جناها أبوه عليــه وهو لا يريدان تتجدد هذه الجناية لأن طبيعته الرحيمة تأنف من أن تجنى حتى على الحيوان . من هنا تشعر بالا فرق بين غاية التضحيتين

* * *

الخيام لا يعرف الزهد ولا يريد أن يتسامى فوق المادة يعتقد أن المـال غاية الحيـاة وكل ما فيها فهو يوافق نابليون بونابارت عندما قال استطيع أن أملك العالم بثلاثة أشياء ـ المـال ثم المال ثم المـال . نظرته توافق ما جاء في كليلة ودمنة من أن الفقر جالب للعار في هذه الحياة .

المال ان لم يكن ذخر أولى النهى
فالفاقدون لــه يعيش أنكد
اضحى البنفسج مطرقا من فقره
والورد يضحك لاقتناء العسجد

* * *

مع تهافته على المال نراه يحتقر الشهرة ويراها مجلبة للهم والنكد يحتقر طـلاب المنـاصب ويهزأ بنفسيتهم التي تقودهم الى احتقار من لم يكن ذا منصب

ان اشتهرت فشر الناس أنت
وان انزويت فقد عانيت وسواسا
لو كنت خضراً والياسا ـ حدت بأن
لا تعرفن وان لا تعرف الناسا

* * * *

ان من أدركوا المناصب ذاقوا
جرع الهم والاسى الوانا

وعجيب أن الذى ليس يهوى
حرصهم لا يرونه انسانا

***

الخيام غريب الاطوار واحرى بمن كان مثله أن يكون كذلك . الحق أنه من الغرائب أن يكون الرجل مادياً ويكون عزيز النفس مترفعا مع هذا فالخيام عزيز النفس رفيعها يحتقر أن يمد يده لهبات الصديق بالغاً ما بلغ كرمه يأبى أن يدين للخصم مهما عظمت سورته

لحكم القضاء وكل امورك ما احتوى
كيانك أعصاباً وجلداً واعظما
دع المن من خل وإن يك ناعما
وللخصم لا تخضع وإن يك موسنا

فنرى فى أغراضه وعزة نفسه ما يشبه الامام الشافعى اقائل

رأيتك تكوينى بميسم منة
كأنك كنت الأصل فى يوم تكوينى
اقاتى من المن القبيح فاقسمة
من العيش تكفينى الى يوم تكفينى !

. . . .

ومن قوله

على ثياب لو تباع جميعها
بفلس ، لكان الفلس منهن أكثرا
ولى نفس حر لو تقاس بمثلها
نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

. . . .

ونرى فيه أيضاً صورة من آباء المعرى .

***

لقد انتج عدم إيمان الخيام بالعدل المطلق يأساً هائلا وشكاً قاتلا كان الخيام يحاول طردهما عنه بالخمر والخمر لا تزيده إلا يأساً ونقمة على الحياة فى أغلب الأحيان فهو يغبط الذين لم يولدوا فلا غرابة أن نجده فى بعض الأحيان ناقماً لأن الذى يعيش مثله وهو يؤمن أن القبر خاتمة الحياة لا بد له من موجة حزن صامت فى بعض ساعات حياته والحق أن الذى يعيش بلا غاية يموت بلا رجاء

أجيل بهذا الكون طرف مدققاً
وأمعن فيه فكرة وتأملا
فسبحان ربى كل شىء نظرته
رأيت به يأسى بعينى ممثلا !

***

قد يعجب القارىء اذا قلت له أن الخيام كان متفائلا وقد يرى من التناقض المضحك أن اقول له أن الخيام كان متفائلا بعد أن قلت له أنه كان يائسا متشائما . ولكن إذا علمنا أن التشاؤم والتفاؤل حالتان نفسيتان يمكن لكل واحدة منهما أن تنتاب الانسان فى فترة من فترات حياته فسليمان الحكيم الذى نظم نشيد الأناشيد هو نفسه فى ساعة من ساعات يأسه الحائر صرخ من أعماق قلبه . باطل الأباطيل الكل باطل . وعمر الخيام كان يتفاءل عندما تعود اليه ذكريات تربيته الاسلامية المؤمنة وكان يتولاه اليأس والقنوط والتشاؤم عندما كانت تضطرب فى نفسه أمواج الفلسفة اللا أدرية والمادية

***

السعادة غاية الحياة ولكنها من الامور النسبية لا يكاد اثنان من الناس يتفقان على تحديدها فالخيام يرى السعادة فى أحد أمرين اما أن نعرف حقيقة الوجود بخيره وبشره أو بالجهل

لم يهن فى هذا الزمان سوى امرء
عرف الوجود بخيره وبشره

أو غافل عن نفسه وزمانه
لم يدر ما فى نفسه أو دهره

* * * *

مع هذا فهو يحتقر صحبة الجهال ويعدها جحيماً

تقسى الفداء لكل كفء عارف
أهوى على قدميه غير مبال
أتريد معرفة الجحيم بكنهه ؟
ان الجحيم لصحبة الجهال

* * *

يكاد يكون الخيام شعلة تهكم لاذعة فهو يهزأ بالدين وبرجاله ساخر من الجنة والنار من الايمان والمؤمنين من الزهد والزاهدين . من الله كما يصوره الناس ؛ من الرسل والأنبياء ساخر من العلم والعلماء هازىء بالاخلاق ساخر من كل شىء وبكل شىء !..

من أين للخيام كل هذا الاضطراب هل سبق الخيام عصره كما يقول بعض النقاد والكتاب ؟؟

نشأ الخيام فى بلاد فارس يوم كانت منبعاً للأفكار الهدامة يوم وضع حسن الصباح برنامجه الغريب لهدم كل سلطة وكل دين ذلك البرنامج الهائل الذى لا يؤمن بحقيقة فى هذا الوجود ولا يؤمن بدين يرى الدين وسيلة للسلطة وانه فى ذاته سخافة حمقاء وكل أمر يؤدي الى السلطة مباح وقد كان أتباع هذا البرنامج يتذرعون بالزهد الغريب والورع المدهش توصلا لغاياتهم .أضف الى ذلك ما كان يحتوش البلاد من ثورات داخلية واضطرابات غايتها السلطة وجمع الحطام .فى وسط هذا الاضطراب نشأ عمر الخيام نضجت أفكاره فأصبح صورة تمثل ما فى العصر من فوضى واضطراب وقد وهم النقاد والكتاب يوم قالوا أنه سبق زمانه . فى هذه الحالة ظهر حكم الخيام على الحياة وعلى الوجود ومن المعلوم أن الانسان يقدر الحياة بمقتضى حالاته النفسية وميوله واهوائه وما يعرض له من ألم ولذة وسرور وحزن ولقد كان الخيام فوق ذلك مدمناً للخمر وادمان الخمر يجعل الانسان موسوماً بغريب الأطوار غريب العقلية .يحب ولا يدري كيف ولماذا يحب ويبغض ولا يعرف لبغضه سبباً يدين آناً ويشك حيناً يتسامح فى بعض ساعاته ويتشدد فى بعضها يعطف ويقسو ولا يعلم ما أدى به الى القسوة

يتأمل حيث لا أمل ؛ ييأس حيث لا يأس . يغلب عليه تقديس العاطفة واحتقار العقل أو يصاب بتشنج العاطفة .

يتفاءل حيث لا تفاؤل يكره الشهرة لأنها تعوقه فى رحماتها عن انتهاب المسرات يكره المناصب لأنها تضطره للاهتمام بالناس وهو الذي هرب من الزواج تخلصاً من مشاكله وهمومه !

يكره العقائد الدينية لأنه رأي الدين فى زمنه واسطة تنفيذ أغراض خبيثة ورأي رجاله عبدة لشهواتهم فنتج عن ذلك ما رأينا من اضطراب شخصية الخيام وتفلتها من التحديد . ونتج من ذلك حيرة الخيام وشكه ويأسه وتشاؤمه وتفاؤله

عجلون

ترجمت رباعيات الخيام الى العربية مراراً وأقربها الى الأصل الفارسي بشهادة العلامة القزويني ترجمة احمد الصافى ومنها اقتبسنا هذه الرباعيات الواردة فى المقال .

فلسفة برجسون

بقلم الاستاذ نجيب محفوظ

فى نهاية القرن التاسع عشر كانت تتحكم فى الحياة العقلية أربع موجات قوية وجهت الفكر الانسانى حينذاك : منها صدود سبنسر عن الميتافيزيقا وعدها فوق متناول العقل البشرى ؛ ومنها تشاؤم شوبنهور ومذهبه فى أنه يوجد تحت كل وجود إرادة للحياة ؛ ومنها فلسفة تين الحسية التى ترد كل شىء الى الحواس والاحساسات. وبجانب ذلك قامت فلسفة روحية ضعيفة هى فلسفة لاشليه وبترو لا ترجع الضمير الانسانى والحرية الى عناصر حسية أو أخرى مادية وانما ترى فيهما حقيقتين مستقلتين تعرفان باحساس داخلى مباشر. وكان أغلب هـذه الفلسفات يقوم على العقل البحت والعقل ينفرد دائماً من الاعتماد على العاطفة وعلى الشخص المائل مع الاهواء والظروف الحربية ولذا أنكرت الأخلاق والضمير وغيرها مما لا تقوم له قائمة إلا بمعونة احساس الانسان وتقديره الذاتى

فلما جاء القرن العشرون تأثر هذا الجو بموجة جديدة جاءت معاكسة لهذه الموجات الثابتة كأنها ترد عليها وأول ما يميز هذه الموجة الفكرية الجديدة أنها لا تؤمن بالعقل ايمان الموجات السابقة به ولا تعتمد عليه فى دعم بنيانها، هنا نجد فيلسوفاً كبروتيير يترك العلم ويجحده ويسكن الى الايمان ويتعزى به ونجد بارجو يبنو ينشىء فلسفة قومية الهامها الوطن ومحبته ، ونجد جوبينو يتفلسف فى الأجناس مدفوعاً بعاطفة نعرة المانية ؛ وكل هذه تعاليم لها نصيبها الموفور من السمو والجمال الأدبى وكأنها وجهت ضربة شديدة الى الحقيقة لأنها جعلتها تبعاً لأهواء مختلفة كأهواء القومية أو الجنسية أو الدين

وقد بعث المذهب الحيوى ، بعثة هانز دريش فى ألمانيا وارتد أمامه المذهب الميكانيكى الذى قام على أساس نظرية داروين وقامت على هذا المذهب الحيوى فلسفات كاملة كفلسفة لسكى الروسى ، الذى تصور العالم تصوراً عضوياً ، وجميع هذه الفلسفات تأثرت ووجهت بفلسفة برجسون الذى يعود اليه فضل تجدد الفلسفة الحديثة . والسؤال الآن ماذا صنعت فلسفة برجسون فى تحوير معنى النفس والعقل اللذين هما محورا النزاع بين المادية والروحية فى جميع العصور ؟

الفلسفة الروحية تعتبر النفس عالماً زاخراً بعيد الغور نحس فيه بحريتنا ونعرف بداهة إن هذه الحرية غير متناهية أما الفلسفة المادية فترى فى النفس كما يعد وجود ظواهر تتابع لها قوانين تخضع لها خضوع الظاهرات الطبيعية لنواميسها ، وبرجسون فى أول كتاب له وهو « الشواهد المباشرة للشعور » قال إن شعورنا لو أمكن أن نتصل به اتصالا مباشراً عن غير سبيل اللغة لانتباه غير ما نلقاه عادة ، نلقاه كيفاً وليس كماً ، نلقاه تقدماً مستمراً وليس تتابعاً بين حوادث مرتبطة برباط السببية ، واللغة هى التى تخدعنا فتجعلنا نحس أن نفسنا ظاهرات متعاقبة متوالية لأننا نعبر عنها بكلمات منفصلة لا نستطيع أن ننطق بها دفعة واحدة كما لا نستطيع أن ندرك مفهومها فى عملية فكرية واحدة ، فنحن نخطىء حينما نتوهم أن انفصال اللغة انفصال بين أجزاء النفس والحق أن النفس ليست منقسمة الى أجزاء ، وتصورنا هذا يخدعنا مرة أخرى فى تكراننا للحرية فان تصور الحوادث متتابعة يرسخ الاعتقاد بوجود علاقة سببية بين الحوادث المتتابعة

بحيث أننا لا نستطيع تصور حادثتين لا تربطهما علة ومن هنا جاز انكار العقل لمعنى الحرية فى النفس

ولكن إذا كانت النفس وحدة وإذا كانت تقدماً مستمراً فكيف يمكن أن نفسر النسيان ؟ الا يدل النسيان على أن النفس حوادث منفصلة بدليل أن بعضها يكون حاضراً للوعى والآخر فى قبور النسيان ؟ فهى ليست اذاً وحدة وانما هى حوادث متوالية !

على هـذا يرد برجسون قائلا إننا لو كنا نفوساً خالصة لاحسسنا بوحدة كما أن الماضى يصير حاضراً أبداً . ولكننا أجسام أيضاً وهذه الاجسام لها حياة خاصة تستدعى ردود أفعال ضرورية وانتباهاً حاضراً يقطع على الماضى طريقه الى الوعى ؛ فالمنفعة التى تصيبها حياة أجسامنا هى سبب النسيان ، ولولا هذا النسيان لكانت الحياة ضرباً من المحال . وبرجسون لا يؤمن فى مسألة الذاكرة بالميكانيكية التى يقول بها بعض من يشبهون تذكر الصور الى توارد الخواطر ، فالصور تأتى تبعاً للحالات النفسية التى تكون بها الشعور وهنا يتكلم برجسون عن الذاكرة ويقسمها بالذاكرة لحفظ الحركات واخرى لحفظ الحالات وملابساتها النفسية وغير هذا مما يمد الكلام فيه كلاماً فى التفاصيل الأمر الذى لم نقصد اليه . أما عن طبيعة العقل فنحن نستطيع أن نميز بين فلسفتين ككل رأى فى طبيعة العقل : فلسفة تراه مكانة مجردة لادراك المعانى وتراه من جوهر مغاير تمام المغايرة لجوهر الجسم ومن هنا نشأت الصعوبة فى تقرير علاقة الجسم بالعقل وقد كانت هذه المسألة الفلسفية من مواضع الضعف الكبرى فى فلسفة ديكارت . وفلسفة تراه وثيق الصلة بالحياة ؛ والحياة تفيد معنيين :

الحياة العملية. والعقل هنا يعتبر وسيلة للعيش لا لادراك الحقائق كما كان يقول الشاكون الاغريق والحياة بمعنى التقدم والأفول. والتقدم يمثل دورة الحياة وانتشارها بين الأحياء والكائنات. والأفول يرمز الى وحدتها الأولى التى تنبعث منها. والعقل هنا — كما كانت تقول الافلاطونية الحديثة — يسير سيرة هذه الحياة فيجزىء الأمور ويفهمها جزءاً جزءاً ولا قدرة له على ادراك ماهيتها ووحدتها . وبرجسون ينظر الى العقل بعين الفلسفة التى تراه مرتبطاً بالحياة وهو يتصوره كآلة للعمل غير قادرة على فهم الحياة فى وحدتها . وليس فى ذلك طريف . أما الطريف فى فلسفة برجسون فهو فى ابتداع العلاقة بين العقل العملى والعقل النظرى: فليكن العقل عملياً ، ولكن كيف نفكر تفكيراً نظرياً ؟ من أين لنا هذا العقل النظرى! لنفهم ذلك ينبغى ان نفهم العلاقة بين العقل والحياة . يقول برجسون إن الحياة تتمثل فى شكل وثبة حيوية تنزع الى الكمال وتسرى فى النبات والحيوان ، وهـذه الحياة تسعى دائماً الى التخلص من المادة التى أشاعت فيها الحياة. فاستعملت فى سبيل ذلك الغريزة والعقل ، والغريزة مجالها ضيق لم تنجح كثيراً فى التخلص من ربقة المادة. أما العقل فقد نجح فى ذلك الى درجة كبيرة فهو يستطيع أن يخلص الانسان من عبودية المادة ويجعلها رهن إرادة البداهة أو البصيرة وهى أقرب منه الى الكمال

ونهاية عمل الغريزة فى سبيل الترقى أن تجمع الانسان فى جماعات جامدة هى المجتمعات الانسانية فالمجتمع فى رأى برجسون يرجع فى نهايته الى هـذه الغريزة، أما العقل فهو مبدع الانسانية المتطورة الدائمة التقدم ، أبدعها عن طريق البصيرة التى تهدى الانسان الى الديانات السامية والأخلاق الحرة والحقائق المجردة . بهذه البصيرة نعرف الحقائق مباشرة من غير واسطة؛ الحقائق فى ذاتها لا الحقائق النسبية التى تقدرها بعين المجتمع الذى نعيش فيه

هذه هى السمات البارزة فى فلسفة برجسون وهى الفلسفة التى ترد أقوى رد على فلسفة القرن التاسع عشر وتوجه الى المادية ضربات شداد . وسوف نلاحظ آثارها فى الفلسفة الحديثة بوجه عام

جان دارك

بحث وتحليل بقلم الدكتور محمد غلاب

يعرف القراء المتصلون بتاريخ الأوربى أن « جان دارك » هى الفتاة التى خلصت فرنسا من حكم المستعمرين الذين كانوا يذيقون بلادها فى ذلك العهد صنوف الذل وضروب الهوان بعد أن عجز الزعماء السياسيون والقواد الحربيون عن تخليصها ، وأنها ولدت فى سنة ١٤١٢ وتوفيت محرقة سنة ١٤٣١ م وأن قصتها نادرة ، بل غريبة مدهشة ، وهذه الغرابة وتلك الندرة هما اللتان حدتانا الى دراسة حياتها والعناية بتاريخها وبتعقب ما كتبه عنها الأدباء والقصاصون والثقات من المؤرخين

***

تمتاز « جان دارك » بأن لها حياتين مختلفتين لا تربط احداهما بالثانية صلة ولا تجمعهما معا جامعة . أما الأولى ، فهى أسطورية لا حظ فيها للحقيقة الواقعية . وأما الثانية فهى حياتها الصحيحة التى حققها المؤرخون المتدلون ونقوها من الاساطير والخرافات التى نسجها حولها الشعب الفرنسى الوفى ، احتفاظاً بجميلها واعترافاً بفضلها. ثم رأى رجال الدين أن هذه الاساطير التى نسجها العامة حول اسم « جان دارك » تضيف الى قائمة القديسين قديسة جديدة فرحبوا بها وساعدهم على رواج هذه الفكرة ما حاكته الظروف حول هذه الحادثة من سياجات الكرامات والمعجزات التى لا صحة لها ولا حقيقة . وقد ظلت هذه الحياة الاسطورية سائدة على أوربا جماء فى شأن « جان دارك » من أوائل القرن الخامس عشر الى ١٨٥٠ حين ألف العالم المحقق « كيشرا » كتابه الضخم الذي رسم فيه « جان دارك » على صورتها الواقعية ، فكان أهم المصادر التى لا يستغنى عنها الكاتب الذى يريد أن يتتبع حياة هذه الفتاة المدهشة وقد كان هذا الكتاب أهم المنابع التى اغترف منها « برنارد شو » درامته التمثيلية التى اندلع بشأنها لهيب الجدل والضجيج فى مصر منذ عامين والتى سنلخصها هنا ونبين كيف أن مقولها كان دقيقاً فى وصف البيئتين الفرنسية والانجليزية فى ذلك الحين وتصوير حنق الاستعمار على من يحاولون تحرير بلادهم

أما قبل كتاب الاستاذ « كيشرا » فقد كانت حياة « جان دارك » صورة عجيبة قد لونتها الخرافات ألوان جية جذابة ولكنها منطوية فى باطن مظلم رهيب تضل الحقيقة فى جوانبه الهندسية وانحائه الحالكة ، فتارة تظهر فيه هذه الفتاة رسولة مختارة بعثتها إحدى كبريات القديسات ، لتنقذ بواسطتها الشعب الفرنسى المحبوب وأخرى تبرز فيه قديسة مستقلة قد وصلت الى مرتبة السعادة الالهية التى لا تظفر بها إلا الطبقة الأولى من عظيمات القديسات وثالثة ترسمها الأساطير بطلة مفقودة المثال فى الفنون الحربية وأساليب القتال وقيادة الجيوش

ولكن كل هذه الخرافات القديمة قد أصبحت الآن فى نظر كل الباحثين الادقاء أثراً بعد عين ولا يذكرونها إلا على سبيل التفكهة والتندر و لأبانة ألوان تفكير القدماء وحكمهم على الاشياء . وبناء على

هذا فسنعنى فى هذا الفصل بحياتها الحقيقية التى رواها التاريخ الصحيح كما أننا سنلخص درامة «برنارد شو» واليك أولا هذا التاريخ :

ولدت «جان دارك» من أسرة قروية عادية فى إحدى قرى مقاطعة «لورين» فنشأت بين الحقول



الممثلة الحسناء اليزابث برجنر التى تقوم بدور البطلة فى درامة جان دارك التى ألفها جورج برنارد شو

والمروج تقضى طرفاً من النهار فى رعاية الأبقار والأغنام حتى إذا عادت الى منزلها ألقت نفسها بين أعماله المختلفة المتعبة من طهى الأطعمة إلى غسل الملابس ، إلى رتق الفتوق وإصلاح الممزق من ثياب أفراد الأسرة جميعاً الى غير ذلك مما تقوم به عادة بنات الفقراء الريفيين من الزراع ورعاة الشاء

ولما كانت تسمع من البيئة التى تحوطها كلاماً طويلا عن شجاعة الجنود الفرنسيين وبسالتهم واستقتالهم فى سبيل الدفاع عن كرامتهم من ناحية ، وكانت مستعدة بفطرتها لقبول المساهمة فى المعارك الحربية من ناحية أخرى ، وقد نشأ هذا من قوة فى خلقها وصلابة فى عزيمتها وغلظة فى طبيعتها تشبه غلظة الرجال الأفذاذ ؛ فقد أغرمت غراماً شديداً بسماع أحاديث

الواقع الحربية ، بل أولعت بتتبع خطواتهم ورغبت رغبة حادة في مرافقة الفيالق التي كانت تخرج كسريات صغيرة لاخماد الثورات الداخلية أو الحروب المحلية ، وأهم من هذا كله أن بيئتها كانت تتحدث كثيراً عن المملكة الفرنسية التعسة التي أصبح كل أبنائها واقفين على الحياد لا تعنيهم إلا مصالحهم الخاصة وتركوا بلادهم تهوي في يد الأعداء جزءاً بعد جزء ، ويمتلكون مقاطعاتها واحدة إثر اخرى ، وأن ملك انجلترا قد أضحى يطلق عليه اسم ملك الفرنسيين ، وأن هذه الأمة قد فقدت استقلالها منذ أن توفي « شارل السادس » مجنوناً وخلفه ابنه الضعيف الذي حين رأى يد الاستعمار قد بسطت على بلاده لم يسعه إلا أن أنزوى في إحدى المقاطعات الصغيرة في أطراف فرنسا . وهناك عاش مهاناً محتقراً بعد أن فقد اسم الملك ولم يبق له من أيام عزه إلا بلاط صغير — إذا صح هذا الاطلاق — ظل وفياً بعهده ، ملاصقاً لوده تبعه الى هذا المكان السحيق الذي أرادته الأقدار على أن يعيش فيه

لما سمعت « جان دارك » هذه الولولة الخرساء وذلك العويل المكبوت ، فكرت طويلا وان كان تفكيرا بسيطا ساذجا فيما فيه فرنسا من ألم وحزن وما عليه انجلترا من قسوة وعسف وظلم واستبداد وقالت في نفسها : ان فرنسا يجب أن يحكمها فرنسي ، كما أن انجلترا يحكمها انجليزي ، وأن هذه هي القاعدة الطبيعية ، وأن من يخرج عليها يكون مغضوبا عليه من الاله وإذاً ، فالله يأمر بطرد الانجليز المتعدين من جميع الاراضي الفرنسية ، وهو سيهزمهم حتما ، لأنهم أهانوه بتعديهم على قوانينه المقدسة ، وأن هذه الهزيمة المنتظرة ستحيق بهم حين يخلق الله اليد التي ستنقذ فرنسا

أخذت « جان دارك » تحلم بهذا الامل وتتخيل نتيجته السارة السعيدة وظلت على هذه الحال زمنا طويلا حتى قويت الفكرة في رأسها ، وان شئت فقل حتى قويت العاطفة في قلبها ، لان هذا العمل كان ناشئا عن شعور دافع متدفق لا عن فكرة ناضجة مترينة

ولما كانت هذه الفتاة جاهلة ساذجة خيل اليها في أحد الايام — وهي تتخيل تخليص بلادها من الأعداء — أنها تسمع صوتا قدسيا يناديها بلسان فصيح وجمل واضحة صريحة قائلا : « جان دارك ، أيتها الفتاة الطاهرة ، انا قد اخترناك لانقاذ فرنسا من أيدي الانجليز فيالتهضي وقودي جيوش امتك وهاجمي الأعداء واجليهم عن بلادك إجلاء تاما وثقي بأن العناية السماوية ستنصرك عليهم لا محالة وانني أنا القديسة « كاترين » التي لا تكذب ولا تخدع ولا يمثل الشيطان صوتها فهلمي إلى انجاز هذه المهمة التي استطلعت لها السماء والقتها على كاهلك » ولم يصل الخيال بجان دارك الى حد اقناعها بسماع هذا الصوت العلوي فحسب بل قد امتد بها حتى أقنعها بأنها رأت بعينيها القديستين « كاترين » و « مارجريت » والقديس « ميشيل » يطوف عليها واجبها نحو فرنسا وكانت مع ايمانها بجهلها » موقنة بأن روحها الصافية ستقودها الى الخير والانتصار مستمدة المعونة من الله الذي منحها القوة والصلابة والموهبة الحربية النادرة التي لولا عنايته تعالى لما عرفت عنها أكثر مما يعرف رعاة الأغنام والابقار وهو الجهل المطلق

واذا اقتنعت « جان دارك » بمهمتها وأيقنت بما أسلفناه من واجب تخليص فرنسا الملقى على عاتقها فقد هبت تنفذها بدفعة وقوة لا نظير لها فلم تكد تبلغ العام التاسع عشر حتى استولت على عقول سكان أوربا كافة واعلنت أنها مرسلة من عند الله وان الله قد منحها

السيادة على الكنيسة وأتاح لها الاستيلاء على الحركات الاصلاحية وكلفها بأن تراقب أعمال القسس والاساقفة وقبل هذا كله ، كلفها بأن تحرر فرنسا ، وأن تقود الملك المقبل وترشده الى الصواب. لهذا حقد عليها القسس جميعا ولا سيما رؤساؤهم وتمنوا التخلص منها ، لأنها لم تسلك الطريق الطبيعي في الوصول الى مرتبه القديسات ، لأنهن جميعا كن يتلقين القداسة عن الكنيسة ويصلن الى الملأ الأعلى عن طريقها السعيد ، وهذه هي احدى هفوات « جان دارك » التي دفعها اليها الجهل وكان من نتائجها أن أصبح أعداؤها يجلون عن الحصر

ولما حان وقت القتال ودقت ساعة مهاجمة المستعمرين الغاصبين ، كانت « جان دارك » النار في أفئدة جنودها وأخذت تلقي عليهم ما تريده من الأوامر والتعليمات زاعمة أن ذلك وحي الله يلقيه اليهم على لسانها ويسمعه بأذنيهم بصوتها لا أكثر ولا أقل ، لأنها هي سلبية لا شخصية لها

***

وإذا ألقينا على « جان دارك » نظرة فاحصة من خلال التاريخ الصحيح ، تبينت لنا فتاة بسيطة جاهلة ولكنها عاقلة مستقيمة قوية الروح صلبة الارادة وكأنها خلقت رئيسة أو قائدة للجيوش أو زعيمة لعدة شعوب وكانت تعرف كيف تؤثر على الرجال من الناحية الجدية المحضة التي لا أثر فيها للنسوية ولا للاستهواء الجنسي ، ولم تكن خيالية ولا شاعرة ، وانما كانت عملية تستطيع ، مع سذاجتها ، الاستفادة من الظروف الملائمة وكانت قوية اليقين شديدة الثقة بنفسها الى حد بعيد غير أن هذه القوة وتلك الصلابة لم يمنعاها من أن تكون هادئة وديعة عطوفة يفيض قلبها رحمة ويطفح إحسانا الى حد أنها كانت تعنى بالجرحى من الانجليز وتعطف عليهم نفس العطف الذي كانت تمنحه لجرحى الفرنسيين سواء . وكانت نقية القلب طاهرة الذيل عفيفة الخلق عظيمة التقوى . وعلى الجملة كانت « جان دارك » كأنها صيغت من مزيج الطهر والشرف والشجاعة والقوة والصراحة والاخلاص وان التاريخ الاسطوري الذي حاكته حولها أيدي الجهل والغرض والتعصب في القرون الوسطى لا يختلف في السمو « بجان دارك » الى عالم المثل الأعلى عن التاريخ الصحيح إلا قليلا .

إذا أنعمنا النظر عن كتب التاريخ التي ألفت خصيصا لتسجيل الحوادث والتراجم وسرحنا الطرف مليا في كتب الادب على اختلاف أنواعها : منظومها ومنثورها قصصها ودرامتها المسرحية وقصائدها الحماسية والسياسية والاجتماعية وجدنا فيها « جان دارك » مصورة عدة صور يختلف بعضها عن بعض اختلافات شتى فـ « شكسبير » في مسرحية « هنري » يظهرها فتاة ساحرة دجالة فاجرة لاتربطها بـ « جان دارك » الحقيقية صلة ولا علاقة ولكن « شكسبير » كان معذورا في هذا الاجرام الذي اقترفه ضد الحقيقة والتاريخ . وكل ماله من عذر هو أنه انجليزي حانق يفيض قلبه حقدا على « جان دارك » وأمثالها من الذين ساهموا في طرد مواطنيه من أرض فرنسا ، ومع ذلك فانه كان يريد إرضاء الجماهير الانجليزية التي بلغ مقتها لـ « جان دارك » حد النهاية

واذا تركنا انجلترا وعرجنا على المانيا وجدنا أحد كبار شعرائها وهو : « شيلير » يرسم لـ « جان دارك » صورة روائية هي الى الأساطير والخرافات أقرب منها إلى « جان دارك » التي عاشت فوق أرض فرنسا وتحت سمائها ولكن ينبغي أن نلفت نظر القارىء إلى الصورة الحقيقية على عكس ما فعل « شكسبير » تماما وكما دفع الحقد « شكسبير » إلى تشويه صورة

« جان دارك » والافتيات على التاريخ ، كذلك دفع « فولتير » حنقه على المسيحية والمسيحيين إلى إقتراف جريمة تشويه الحقائق التى اقترفها « شكسبير » فأبرزها فى صورة مضحكة تستوجب السخرية والاستهزاء ، وان كان قد هاجم بطانة « جان دارك » أكثر مما هاجمها هى شخصيا

أما الكتاب الذى يعد بحق مصدراً صادقا لحياة « جان دارك » فهو كتاب « كيشرا » الذى كان أول سفر عنى بالمراجع التاريخية الصحيحة فى حياة هذه البطلة الخالدة والذى كان أساسا لعدة مؤلفات ظهرت فيما بعد عن « جان دارك »

ومن الكتاب الذى تناولوا هذه الحياة الشاذة الغريبة « مارك توابن » الامريكى و « لانج » الايكوسى . ومهمة هذا المؤلف الأخير تنحصر فى الأخص فى دفاعه عن « جان دارك » ضد « أناتول فرانس » الذي كتب عنها مؤلفا [illegible] « جان دارك » على الصورة التى صورها بها المؤرخون من قبل لا يمكن أن توجد بين النساء فى فرنسا فى تلك العصور المظلمة ، وانما وجدت فتاة عادية اشتهرت بنوع من التصوف السخيف وكان يعاصر هذه الفتاة قائد عسكري يدعى « دونوا » له مطامع كثيرة وأغراض عدة فانتهز فرصة جهل الفتاة وتنسكها وغفلة الجماهير وسطحيتها وتهريج رجال الكنيسة وتمويههم فاستخدم « جان دارك » للوصول إلى غايته المتنوعة واستغل سذاجتها فأخذ يوحى اليها بكل ما يريد إذاعته على الشعب فترددها كالببغاء دون أن تعى منه شيئا . ثم حمل « أناتول » فرانس فى مؤلفه على التنسك والمتنسكين حملة قاسية ظهر فيها بمظهر العداء للكنيسة ورجال الدين ، ولكنه فى هذا كله ، كان يستند الى مصادر قيمة ومنابع محترمة ، ولهذا لم يستطع خصمه أن ينال منه

وآخر المؤلفات المحترمة التى ظهرت عن « جان دارك » هو مسرحية « برنارد شو » التى أشرنا اليها فى أول هذا الفصل ونلخصها هنا فى إيجاز ، معلنين ان مؤلفها مثل « كيشرا » استند إلى أوثق المصادر الموجودة بين ايدينا الآن واليك تلخيص هذه المسرحية الشهيرة

* * *

إذا كان الفصل الاول فنحن إمام « روبيرت دى بودريكور » حاكم مقاطعة « لورين » وقد جاءته فتاة قروية تطلب المثول بين يديه وهو يرفض سؤلها المرة تلو المرة بالرغم من أنها سعت اليه من قريتها على بعد الشقة وطول العناء يرافقها أحد أقربائها المؤمنين بفكرتها ، والناس من حولها امام منزل هذا الحاكم يكادون يتهمونها بالجنون لولا أنهم لا يجرءون على التصريح بهذا . غير أن هذه الفتاة لم تيأس من الفوز بمقابلة هذا الحاكم فظلت تلح فى طلبتها حتى سمح لها بالمثول بين يديه .

فلما استقر بها المقام شرحت رؤياها فى أسلوب ساذج ساحر ثم أعلنت فى بساطة أنها تلقت أمر الله على لسان تلك الاصوات المقدسة بأن تجلى الانجليز من أرض فرنسا وأنه يجب عليه هو أن يعطيها ما يلزم لها من خيل وأسلحة وجنود لتقوم فى الحال بانجاز مهمتها . فلم يصدق هذا الحاكم فى أول الامر شيئا مما قالته لانه كان ذكيا شديد الارتياب فى مثل هذه الخرافات ولكنه حين رأى أن خرافتها هذه عملية تظهر نتيجتها على أثر الشروع فيها أجاب سؤلها ومنحها ما أرادت ، فغيرت ملابسها وامتطت جوادها فى هيئة رجل وطلبت الى رفاقها أن ينسوا تماما أنها امرأة وودعت هذا الحاكم وغادرته شاكرة بعد أن أعلنت أنها لن تخطو فى مهمتها خطوة إلا بارشاد الاصوات

المقدسة فتضاعف تأرهذا القائد بهذا الطهر الذى لمه فى عينى «جان دارك» ومنحها شيئاً آخر فوق الذى طلبته وهو كتاب توصية منه الى «شارل دوفان» يعترف فيه بأنها رسولة

***

فاذا رفعت الستارة عن الفصل الثانى فنحن فى بلاط «شارل دوفان» المؤلف من اسقف وجنرال ورئيس ديوان وأحد كبار النبلاء وكلهم يائسون من عودة العرش إلى الملك ساخرون من آماله التى تشبه الاحلام لا يحترمونه ولا يأبهون لأوامره وإن كانوا يحبونه ويثبتون على عهده

أما هو ؛ فقد كان شابا ضعيفا غريب الاطوار ، مبغضا للحرب ولولا قائده «دونوا» الذى كان يقاتل ضد الانجليز لما اهتم لشيء من هذا .

وأننا لعلى هذا المنوال فى القصر إذ دخل رسول فينبىء بأن فتاة فى الخارج ترتدى ملابس جندى وتمتطى جوادا وتحمل سلاحا وقد بلغ بها الحماسة الى حد أنها لتستطيع قلقلة كل ما حولها برمحه أو بنظرة وأنها تريد مقابلة جلالته وأنها مرسلة من عند الله لطرد الانجليز من فوق الاراضى الفرنسية ورد العرش اليه فسمح لها ، ولكنه أراد أن يستوثق من صدقها فاختفى نفسه بين الحاضرين وأمر أحد رفقائه أن يتكلم باسمه ، ولكن «جان دارك» اكتشفت الحيلة فى الحال وأشارت الى «شارل دوفان» قائلة : تكلم أنت ، فانت الملك . فاضطرب واضطرب معه كل الحاضرين بالرغم من أنه كان ذكيا شكاكا لا يكاد يؤمن بشيء ثم طلبت «جان دارك» إلى جميع الحاضرين ماعدا الملك أن يغادروا المجلس حالا ففعلوا فلما خلت به وأنبأته بكل شيء ، طلبت اليه أن يسلمها القيادة العليا للجيش وأن يتخلى لها عن اصدار الاوامر والنواهى فأجابها إلى ماأرادت ؛ ولكنه لم يكن مدفوعا فى هذا التسليم بثقته بها وإنما هو اليأس، لأنه فكر مليا وتأمل طويلا فايقن بان الاقدار مهما عاكسته لن ترميه بأسوأ مما هو فيه . وإذا ؛ فلا بأس فى أن يسلمها ماطلبته

ومهما يكن من الامر فلم تمض مدة يسيرة على تسلم «جان دارك» سلطة قيادة الجيش العليا حتى كهربت حولها الجو واشعلت نار الغيرة والحماسة فى فى كل مكان إلى حد أن هب جميع رجال القدر هبوب العاصفة واندفعوا إلى هذه القائدة الجديدة يبايعونها ويقسمون بين يديها يمين الولاء والطاعة لله وعفراته الجديدة والملك والوطن

***

فلما كان الفصل الثالث ؛ فنحن فى ميدان القتال على مقربة من «اورليان» المحاصرة ؛ والمعركة قد اشتد لهيبها وحمى وطيسها وقد دارت الدائرة على الجيش الفرنسى وعبس له الزمن وتجهمت فى وجهه الظروف حتى أيقن القائد «دونوا» بأنه من المستحيل أن ينتصر على هذا الجيش العرمرم لاسيما وأن العواصف الهوجاء تهب من ناحية العدو فتحميه وتصادم مع الجيش الفرنسى فترجعه القهقرى ! وأنه لعلى هذا اليأس القاتل إذ أقبلت «جان دارك» زاحفة بجيشها الذي يكاد يدق المرجم والرجام ويحمل فى سيوفه وخناجره الحمام ولم تكد تستولى على قيادة الجيش وتلق التعليمات العالية على القائد «دونوا» حتى تغير اتجاه العواصف وهنا دار الفلك دورته وتبدلت الحال غير الحال ودارت الدائرة على الأعداء فكان هذا الحادث معجزة أخرى من معجزات «جان دارك» فتحمس الجيش وعنا كله لهذه القديسة الواضحة الأثر وأخذوا يتلقون أوامرها كأنها صادرة اليهم من ملك كريم يقوده الى الفوز المحقق والانتصار المبين

* * *

فاذا كان الفصل الرابع، فنحن فى المعسكر الانجليزى أمام أحد كبار الاشراف وأحد كبار رجال الكنيسة وقد سادت المكان القاتمة وخيمت عليه رهبة الهزيمة ووحشة الحزن والألم، لأنهم كانوا يتوقعون أن يزاجئهم فى الحال رسول بنبأ سيىء ، وقد كان هذا بالفعل ، فلم يلبث النذير أن دخل عليهم وأنبأهم بأن الجيش الانجليزى قد انهزم وأن « جان دارك » قد كسبت الموقعة فانكسرت قلوب هؤلاء الرؤساء الجالسين فى المعسكر وشعر الجنود بالخجل العظيم من هذا الانهزام المروع

* * *

فاذا كان الفصل الخامس : فنحن فى حفلة عظيمة رائعة أقيمت لتتويج الملك « شارل السابع » . وفى هذه الحفلة الرسمية نرى الملك الجديد تحنة العظمة ويحوطه الجلال وحوله بلاطه الفخم يضع فوق رأسه اكليلا من الاحترام والتبجيل بعد أن كان أعضاؤه بالامس يهزأون به ويسخرون منه : وكبار رجال الكنيسة حول العرش يشكرون الله الذى اعاد لهم عظمة ملكهم بعد أن فقدوها وكمال استقلالهم بعد أن حرموه و « جان دارك » واقفة الى يمين الملك مدججة بسلاحها ، مرفوعة الرأس : وعلم القتال فى يدها ، والجنود مصطفون علاً نفوسهم الفخر وعلك قلوبهم التباهى بالانتصار . ويلاحظ القارىء والنظارة أن كل الحاضرين فى مجلس التتويج يحبون « جان دارك » ويكلفون بها كلفا شديدا ماعدا الملك الذى يريد أن يتخلص مما عساها أن تخلقه له من حروب جديدة ، وإلا رجال البلاط الذين يريدون أن يفرقوا بينها وبين الملك لكيلا تملك قلبه وتصرفه عنهم ، والا كبار رجال الدين الذين أهانتهم « جان دارك » بادعائها أنها نالت القداسة عن غير طريقهم . كل هذا يلاحظ بوضوح فى الفصل الخامس و « جان دارك » نفسها قد أحست بهذا وأرادت توديع هذا الجمع المتنكر للجميل وصممت على العودة الى قريتها هادئة مطمئنة بعد أن أدت واجبها . ولكن بينما كان كل هذا يجرى كان الانجليز يأتمرون ويحكمون حولها النطاق . وأخيرا أعلنوا أن مبلغا عظيما من المال سيمنح لمن يسلمهم « جان دارك » فلما سمع الضباط هذا النبأ خفقت قلوبهم غراما بالمال وأخذوا يترددون فيما يصنعون بهذه الفتاة لاسيما وأنهم على يقين من أن الملك لن يأبه لتسليمها

فاذا كان الفصل السادس فنحن فى مدينة « روان » الفرنسية التى لا تزال محتلة بالجيش الانجليزى ، واتى سنحضر فيها محاكمة « جان دارك » ثم لا نلبث أن نرى هذه الفتاة البريئة وقد سلمت إلى أعدائها بوساطة الخديعة التى نسجها حولها من أغرام المال وسلبهم ضمائرهم فلما ظفروا بها عقدوا محكمة سريعة ألفوها كما شاءت لهم أهواؤهم ورغباتهم ثم وجهوا إليها تهمة الساحرة المشعوذة أو الآثمة الضالة التى تتلقى جرائمها عن الشيطان مباشرة وليس أدل على هذا من أنها لا تعترف بسيادة الكنيسة ولا تتخذها وسيلة إلى مرتبة القداسة . وأخيراً وبعد كلام طويل استغرق فى الرواية مكانا واسعا وصلوا إلى بغيتهم المنشودة وهى احراق « جان دارك » بعد إدانتها بالتهم الآتية (١) السحر والشعوذة (٢) إنكار سيادة الكنيسة (٣) خلق فكرة القومية الوطنية ، اذ ان المسيحية لا تفرق بين وطن ووطن (٤) محاربة الاله بالخروج على قانونه الفطرى ، وهو رفعه الانجليز عن الناس جميعا ومنحه إياهم القدرة على حكم غيرهم ، وهذه كبرى جرائمها

ولكن ينبغي أن يقال إنصافا للتاريخ : إن رئيس المحكمة كان يميل إلى العفو عن « جان دارك » على شرط أنها تعترف بجريمتها وتعلن أنها تلقت هذا الإلهام عن الشيطان وإلا فيجب أن تختار ميتتها . واضطربت لحظة قصيرة أمام سلطان الموت المزعج ثم أعلنت في سرعة البرق أنها تلقت إلهامها عن الإله وأنها تختار الموت حرقا وستغادر الحياة سعيدة مصممة على مبدئها الذي لا تحيد عنه قيد أنملة

فساقوها إلى النار فسارت إليها هادئة مطمئنة ولما ألقوها في لجة اللهب الهائجة المندلعة لم تصح ولم تتأوه وإنما ذكرت خالقها وسبحت بحمده ثم انتقلت من عالم الأرض المادي إلى عالم السماء الروحاني وخلت منها الأرض ولكنها حلت في سويداء القلوب

ومن العجيب أن جان دارك ، قد ظلت تحت المحاكمة زمنا طويلا ، والملك « شارل السابع » الذي توجته بيدها قبيل القبض عليها لم يبد أية محاولة لتخليصها ولم يحتج حتى برسالة على تلك الفظائع التي ارتكبوها معها

أما الشعب الفرنسي فقد ثار من أجلها ثورة عنيفة اضطرت القوة التنفيذية إلى أن تخفي موت « جان دارك » حتى إذا أعجزها هذا اضطرت إلى مقاومة أبناء الأمة بطرق غير مشروعة، ولكن مراجل الحقد على الانجليز أخذت تغلي في صدور الفرنسيين غليانا شديدا حتى حانت الفرصة لتنفيذ مهمة « جان دارك » التي لم تتمها في حياتها وهي إجلاؤهم نهائيا عن البلاد الفرنسية وقد كان ما ارادوه بالفعل ولهذا لا يعد الانجليز قد نجحوا فيما فعلوه ولم يستطيعوا بإحراقهم « جان دارك » أن يقضوا على الحركة الوطنية ، بل زادوها بهذا العمل إتقاداً واندلاعاً

هكذا عاشت « جان دارك » بطلة شاذة ، وهكذا ماتت زعيمة خالدة واختلف الناس في درجتها وتباينوا في تقدير قيمتها شأن مواقفهم دائماً بإزاء العظماء . ولكن الذي لا شك فيه هو أن « جان دارك » كانت مخلصة فرنسا ومحررتها التي تستحق التبجيل والاجلال على مر العصور وكر الدهور

النقابة وقيمتها عند المتمدنين

احتفل الانجليز بمرور مائة عام على الأفراج عن العمال الذين ألفوا نقابة سنة ١٨٣٤ . وكانت المحكمة البريطانية قد عدت تأليفهم النقابة مخالفاً للقوانين ونفتهم إلى أستراليا ثم عادت فأفرجت عنهم . وأجازت تأليف النقابات . وفي هذا الاحتفال قال المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية مدة الحرب وهو يهنىء أحد أحفاد أولئك الذين قبض عليهم سنة ١٨٣٤ « إني أوثر أن أكون حفيداً لجدك من أن أكون من نسل وليم القاهر »

ويجب على القارىء المصري أن يذكر أن النقابة هي أساس النظام في حكومتين متناقضتين هما حكومة الفاشيين في ايطاليا وحكومة الشيوعيين في روسيا

وفي بريطانيا ١٠٨١ نقابة يبلغ عدد أعضائها ٣٧٣ر٦١٣ر٣ ومن البيان التالي لنفقاتها تتضح أعمالها. فإنها تتوزع كما يلي —

مساعدة العاطلين	٣٦ر٥	في المائة
« المضربين	٣ر٢	« «
« المرضى	٧ر٧	« «
« المتقاعدين	١١ر٤	« «
« الجنازات	٦ر٤	« «
رسوم الاتحاد	٣ر٣	« «
نفقات الادارة	٣٠ر٩	« «
مخصص لسياسة	١ر٥	« «

واتحاد النقابات لا يضم غير ١٦٨ نقابة فقط

ومن هذه الارقام يرى القارىء أن واحدا ونصف في المائة فقط من أموال النقابة ينفق على السياسة و٩٨ر٥ في المائة ينفق على أعمال هي أشبه بالبر منها بأي عمل آخر . فإن مساعدة العاطل والمضرب والمريض والمتقاعد بل مساعدة أهل الميت في نفقة الجنازة، كل هذه أعمال لا يمكن أن توصف إلا بأنها بر

ولكن ينبغي أن يقال إنصافاً للتاريخ : إن رئيس المحكمة كان يميل إلى العفو عن « جان دارك » على شرط أنها تعترف بجريمتها وتعلن أنها تلقت هذا الإلهام عن الشيطان وإلا فيجب أن تختار ميتتها . واضطربت لحظة قصيرة أمام سلطان الموت المزعج ثم أعلنت في سرعة البرق أنها تلقت إلهامها عن الإله وأنها تختار الموت حرقاً وستغادر الحياة سعيدة مصممة على مبدئها الذي لا تحيد عنه قيد أنملة

فساقوها إلى النار فسارت إليها هادئة مطمئنة ولما ألقوها في لجة اللهب الهائجة المندلعة لم تصح ولم تتأوه وإنما ذكرت خالقها وسبحت بحمده ثم انتقلت من عالم الأرض المادي إلى عالم السماء الروحاني وخلت منها الأرض ولكنها حلت في سويداء القلوب

ومن العجيب أن جان دارك ، قد ظلت تحت المحاكمة زمناً طويلاً ، والملك « شارل السابع » الذي توجته بيدها قبيل القبض عليها لم يبد أية محاولة لتخليصها ولم يحتج حتى برسالة على تلك الفظائع التي ارتكبوها معها

أما الشعب الفرنسي فقد ثار من أجلها ثورة عنيفة اضطرت القوة التنفيذية إلى أن تخفي موت « جان دارك » حتى إذا أعجزها هذا اضطرت إلى مقاومة أبناء الأمة بطرق غير مشروعة ، ولكن مراجل الحقد على الانجليز أخذت تغلي في صدور الفرنسيين غلياناً شديداً حتى حانت الفرصة لتنفيذ مهمة « جان دارك » التي لم تتمها في حياتها وهي أجلاؤهم نهائياً عن البلاد الفرنسية وقد كان ما ارادوه بالفعل ولهذا لا يعد الانجليز قد نجحوا فيما فعلوه ولم يستطيعوا باحراقهم « جان دارك » أن يقضوا على الحركة الوطنية ، بل زادوها بهذا العمل إتقاداً واندلاعاً

هكذا عاشت « جان دارك » بطلة شاذة ، وهكذا ماتت زعيمة خالدة واختلف الناس في درجتها وتباينوا في تقدير قيمتها شأن مواقفهم دائماً بإزاء العظماء . ولكن الذي لا شك فيه هو أن « جان دارك » كانت مخلصة فرنسا ومحررتها التي تستحق التبجيل والاجلال على مر العصور وكر الدهور

النقابات وفيم تنفق أموالها عند المتمدنين

احتفل الانجليز بمرور مائة عام على الأفراج عن العمال الذين ألفوا نقابة سنة ١٨٣٤ . وكانت المحكمة البريطانية قد عدت تأليفهم النقابة مخالفاً للقوانين ونفتهم الى أستراليا ثم عادت فأفرجت عنهم . وأجازت تأليف النقابات . وفي هذا الاحتفال قال المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية مدة الحرب وهو يهنىء أحد أحفاد أولئك الذين قبض عليهم سنة ١٨٣٤ « إني أوثر أن أكون حفيداً لجدك من أن أكون من نسل وليم القاهر »

ويجب على القارىء المصري أن يذكر أن النقابة هي أساس النظام في حكومتين متناقضتين هما حكومة الفاشيين في ايطاليا وحكومة الشيوعيين في روسيا

وفي بريطانيا ١٠٨١ نقابة يبلغ عدد أعضائها ٣٣٧٣ر٦١٣ر٣ ومن البيان التالي لنفقاتها تتضح أعمالها . فإنها تتوزع كما يلي —

مساعدة العاطلين ٥ر٣٦ في المائة
« المضربين ٣ر٢ « «
« المرضى ٧ر٧ « «
« المتقاعدين ٤ر١١ « «
« الجنازات ٤ر٦ « «
رسوم الاتحاد ٣ر٣ « «
نفقات الادارة ٩ر٣٠ « «
مخصص لسياسة ٥ر١ « «

واتحاد النقابات لا يضم غير ١٦٨ نقابة فقط

ومن هذه الارقام يرى القارىء أن واحداً ونصف في المائة فقط من أموال النقابة ينفق على السياسة و٥ر٩٨ في المائة ينفق على أعمال هي أشبه بالبر منها بأي عمل آخر . فإن مساعدة العاطل والمضرب والمريض والمتقاعد بل مساعدة أهل الميت في نفقة الجنازة ، كل هذه أعمال لا يمكن أن توصف إلا بأنها بر

تنازع البقاء بين العرب واليهود فى فلسطين

للاستاذ نقولا يوسف

فى الصيف الماضى كنت أجول فى أنحاء فلسطين وكان يخيل إلى أن تربتها الصلصالية قد اكتسبت هذه الحمرة من دماء الملايين الذين قتلوا فوق أرضها فى مئات الحروب. إذ أن هذه الارض التى تقدسها ثلاثة أديان كبرى والتى نشأ فيها عدد من الانبياء والصحابة هى أعظم مسرح مثلت عليه المذابح والمعارك منذ قديم الزمان وما زالت حتى هذه الساعة ميدانا للخصومة ومشكلا سياسياً معقداً

ففى فلسطين هذه التى لا تزيد مساحتها على تسعة آلاف ميل مربع أو ضعف مساحة ويلس بانجلترا أو نحو أربعة أمثال مديرية الغربية والتى لا يزيد عدد سكانها على سكان القاهرة، فى هذا المستطيل الضيق الذى تشغل الصحراء والأراضى القاحلة أربعين فى المائة من مساحته، تصطدم اليوم فكرتان وتتنازع حضارتان ويتنازع على البقاء شعبان هما العرب وبنو اسرائيل، وأمام تنازعهما يقف العالم المتمدين فى حيرة لأن للفريقين حججهما وللسياسة نصيبا فى استغلال الخصومة بينما تحرص الدول الأوربية على ميراثها فى مخلفات المسيحية وعلى ممتلكات كنائسها ومدارسها هناك

* * *

أما العرب فيقولون : لقد فتحنا هذه البلاد منذ ثلاثة عشر قرنا وصبغناها بصبغة عربية ، ولنا فيها المسجد الأقصى والحرم ، ولنا مئات القرى والمزارع التى خلفها لنا أسلافنا ، ونحن أغلبية السكان أو ثمانية أعشارهم واللغة العربية هى السائدة اليوم بين عشرات اللغات المسموعة فى هذا القطر ، وما الحركة الصهيونية التى ترمى الى طردنا من بلادنا الا حركة رجعية تتخذ من الدين مبدأ قوميا وتعمل على احياء اللغة العبرية الدارسة وهى حركة لا تتفق مع روح العصر القائل بتخفيف النعرة الوطنية تدريجيا أمام التعاون العالمى، وهى تحتمى بالمستعمر الانجليزي ذي الأغراض والمآرب، ونحن إن جلونا اليوم عن بلادنا وحقولنا ومتاجرنا فالى أين المصير ؟

ويقول اليهود : ان فلسطين بلادنا منذ فجر التاريخ وهى مهد أنبيائنا ومكان هيكلنا ومسرح تاريخنا ومنبت ملوكنا . وما العرب إلا غزاة فتحوا البلاد كغيرهم من الفاتحين وقد آن لنا أن نسترد ملكنا ونستعيد استقلالنا وكرامتنا فنحتمى بوطننا الأول من اضطهادات تذلنا وتطردنا وتتجاهل تجنسنا منذ القدم بجنسياتها وتتناسى خدماتنا لاختلافنا عنها فى الدين

* * *

فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد هاجر جد اليهود الأول ابراهيم الخليل وأهله من اور الكلدان ببلاد العراق إلى أرض كنعان وبعد حروب قليلة هى فاتحة المعارك اليهودية استقر بهم المقام بفلسطين واتخذوا منها وطنا . وتوالت السنون فكان منها عام قحط حين هاجرت أسرة يعقوب (اسرائيل) إلى مصر وكان عدد المهاجرين سبعين يهوديا وأقاموا بمديرية الشرقية نحو ٤٣٠ سنة فوصل عددهم الى مايقرب من المليون وقد أثاروا سخط المصريين كما أثاروا سخط الشعوب الأخري فيما بعد بعدم اندماجهم فى الوسط الذي يعيشون فيه فيكونون قومية صغري داخل قومية كبري لا يتزوجون الا من أبناء دينهم وهم

مستقلون بعاداتهم وتقاليدهم وعصبتهم عمن حولهم . فنظر اليهم المصريون نظرتهم إلى الدخيل الأجنبي وأساءوا معاملتهم حتى اضطروا إلى الفرار جميعا بقيادة زعيمهم العظيم موسى حوالى عام ١٢٠٠ ق . م وبقوا زمنا معسكرين فى صحراء سينا . وقد انتقموا لأنفسهم من المصريين بأن شنعوا بهم وشتموهم فى كتبهم وأنزلوا عليهم اللعنات مما أساء طويلا إلى سمعة مصر وباتت لفظة فرعون مرادفة للظلم والجبروت حتى جاء شمبليون وحل رموز الهيروغليفية ونهض علم الآثار المصرية نهضة رائعة فتغير رأى العالم وتبدل مجرى التاريخ المصرى القديم إلى ناحية منيرة مجيدة

ثم أخذ بنو اسرائيل يزحفون نحو جنوب فلسطين (الأرض التى أقسم الرب لآبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم . . أرض تفيض لبنا وعسلا . .) وتقول التوراة أنهم أرسلوا عيونهم ليتجسسوا أرض كنعان وقوة شعبها فعادت العيون وتحدثت عن قوة الشعب وعظمة المدن وحصونها ووفرة خيراتها . فزحفت الجموع وسارت بجوار البحر الميت وحاربوا البلاد التى مروا بها وخربوها وكانت الحرب مجالا ذبح فيها الوف البشر

٭٭٭

واحتل اليهود أرض كنعان ولم تنقطع الحروب بينهم وبين الفلسطينيين والكنعانيين حتى كونوا لهم من فتوحاتهم دولة مستقلة حكمها قضاتهم ثم نصبوا عليهم أول ملوكهم شاؤول لحكم أربعين سنة ثم خلفه داود النبى الشاعر صاحب المزامير فاستولى على أورشليم واتخذها عاصمة ملكه وأطلق عليها اسم مدينة داود وذلك عام ١٠٥٠ ق . م

وفى حكم داود بدأ العصر الذهبى لمملكة بنى اسرائيل واتسعت أطرافها ووصل ذلك العصر الى أوجه فى عهد سليمان الحكيم الذي خلف أباه عام ٩٦٩ ق . م وكان سياسياً فيلسوفاً فوطد السلم مع جيرانه وصاهر فرعون مصر وشيد هيكله المشهور الذي يبكى يهود اليوم ملكهم الضائع عند حيطانه فى البراق

ثم توالى عدد من الملوك على اسرائيل أسهبت التوراة فى وصف حكمهم وحروبهم ولكن قدر لبنى اسرائيل ألا يعيشوا فى سلام فانقضت عليهم مملكة بابل مرات أهمها عام ٥٨٦ ق . م حينما غزاهم نبوخذنصر وحاصر أورشليم وخرب هيكل سليمان وساق جموع اليهود أسرى الى بلاده ولكن حدث فى سنة ٥٣٨ ق . م أن غزا قورش ملك الفرس مملكة بابل واستولى عليها وسمح لليهود بالعودة الى بلادهم

وفى عام ٣٣٢ ق . م استولى الاسكندر المقدونى على فلسطين وضمها الى امبراطوريته الواسعة وكذلك فى سنة ١٦٨ ق . م داهم فلسطين ملك سوريا أنطيوخوس فخرب أورشليم وأهان اليهود فى هيكلهم فثاروا وتمكنوا بعد أربع سنين من هزيمة الجيش السوري ولكن أحد ملوك سوريا عاد اليهم سنة ١٣٥ ق . م واستولى على أورشليم ثانية . ثم جاءت فترة استقل فيها اليهود فى حكم الأمراء المكابيين ورؤساء الكهنة ولكنهم لم يلبثوا أن حارب بعضهم بعضاً فداهمهم الرومان فى حكم بومباي عام ٦٣ ق . م وخربوا بلادهم وقتلوا منهم بضعة آلاف وجعلوا فلسطين مستعمرة رومانية

ومر بهم يوليوس قيصر فى طريقه الى مصر فنصب عليهم غنتيباتر والياً على اليهودية وابنه هيرودس والياً على أرض الجليل فثار اليهود وقتلوا الأول ولكن سرعان ما أخمد الرومان ثورتهم ونصبوا هيرودس ملكا على اليهودية وذلك عام ٣٧ ق . م . وفى حكم هيرودوس تمتعت فلسطين قليلا بالهدوء فأخذ يجدد

هيكل سليمان وشيد الملاهي والقصور والأبراج حتى لقب بهيرودس العظيم . وفي السنة الثالثة والثلاثين من ملكه ولد السيد المسيح في بيت لحم

ولما مات هيرودس خلفه ابنه أرخيلاوس ولكن الرومان خلعوه ونصبوا مكانه بيلاطس البنطي حاكما على اليهود

* * *

لكن بنى اسرائيل بقوا في أثناء حكم الرومان متذمرين من الاستعمار حالمين بالاستقلال إلى أن ثاروا فأرسل اليهم نيرون قائده فسباسيان لحاصرهم . ولكن موت نيرون اضطره إلى العودة إلى روما ليرتقي العرش ثم أرسل اليهم ابنه تيتوس لحاصر أورشليم حتى حلت بها مجاعة رهيبة ثم دخلها الرومان سنة ٧٠ فأمعنوا فيها قتلا وتدميرا ثم أشعلوا فيها النار حتى خربت وتشتت اليهود في أنحاء الارض

وفي سنة ١٣٢ ب.م ثارت بقية من اليهود ثانية في وجه الرومان فخرب الرومان بلادهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسدل الستار على وطن الاسرائيليين ولم تقم لهم بعدها قائمة

* * *

ظلت فلسطين مستعمرة رومانية سبعة قرون رأى فيها بنو اسرائيل من الويلات والذل ألوانا إلى أن تشتت شملهم . وحدث في حكم هادريان أن شيدت اورشليم من جديد كمدينة مسيحية وهاجر اليها جموع المسيحيين . ولما صارت المسيحية ديانة الدولة الرومانية الرسمية في حكم الامبراطور قسطنطين سنة ٣٣٠ بدأوا يشيدون الكنائس ولكن لم يلبث أن جاء الامبراطور يوليان وكان يكره المسيحيين فسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم وبناء هيكلهم فعاد بعضهم ولم يتمموا الهيكل

وفي عام ٤١٦ غزا الفرس أورشليم وخربوا الكنائس ونهبوا نفائسها وذبحوا عشرات الالوف من النصارى فعاد الرومان في عام ٦٢٨ وهزموا الفرس وأسروا مليكهم

* * *

وفي سنة ٦٣٦ زحف العرب على فلسطين وهزموا الروم في موقعة اجنادين وحاصروا أورشليم أربعة شهور ثم حضر عمر بن الخطاب فتسلم المدينة وشيد مسجده الذي جدده فيما بعد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان

وفي عام ٩٦٩ استولى خلفاء الفاطميين على هذه البلاد

ولم تكد الاراضي المقدسة تهدأ في حكم العرب حتى استعرت بسببها الحروب الصليبية التي توالت نحو مائتي سنة قتل فيها الالوف من البشر وخربت فيها كثير من البلاد وتركت تلك الحروب الدينية فلسطين مهد الانبياء المبشرين بالسلام بحرا من الدماء وانتهت المعارك المديدة بعودة البلاد إلى صلاح الدين الأيوبي ثم الى ملوك دولة المماليك البحرية

وفي ١٥١٧ جاء دور الترك ففتحها سليم الاول في طريقه إلى مصر وبقيت فلسطين ولاية تركية اسما عربية فعلا إلى ديسمبر ١٩١٧ حينما احتلتها قوات اللورد اللنبي ومازالت الى الساعة تحت حكم الانجليز

* * *

تشتت اليهود في أنحاء الارض وساعدهم على هجرتهم ميلهم الى التجارة والقيام بالأعمال المالية الرابحة وقد تجنسوا بجنسيات الدول التي عاشوا فيها وظهر منهم في مختلف العصور عدد عظيم من النوابغ والعلماء والأغنياء مثل يوسيفوس وماركس وماكس نورداو ودزرائيلي وروتشلد وانشتين وبرغسون وغيرهم

ولكنهم لم يسلموا من اضطهاد الأمم التي كانت

تسيء بهم الظن دائماً. وكان هذا الاضطهاد حافزاً لهم على الحرص والتفوق المالى من جهة والى المهاجرة من بلاد تضطهدهم من جهة أخرى فرأى بعض زعمائهم أن يكونوا لليهود وطناً قومياً على شاطىء أفريقيا الغربى أو فى الارجنتين أو فى فلسطين ؛ ولكنهم كانوا يصطدمون بالصعاب التى تارة تقيمها الحكومات فى وجوههم وأخرى من جانب اليهود أنفسهم الذين صاروا كيف يهجرون أعمالهم ومصانعهم ومصارفهم فى مساقط رؤوسهم ويترحون الى بقاع نائية يجهلونها

وأخيراً تمكن زعماؤهم من اقناع سوادهم أن فلسطين هى أرض الميعاد وبيت داود وسليمان ووطنهم القديم الذى يظهر فيه مسيحهم المنتظر فيخلص شعب اسرائيل ويرد اليهم الملك والكرامة . وكانت التوراة تزيدهم حنيناً الى ارجاع ملكهم وبناء هيكلهم

فى سنة ١٨٥٣ اتفق بعض أغنيائهم على شراء الأراضى بفلسطين وفى عام ١٨٧٠ أسس الاتحاد اليهودى مدرسة للزراعة بقرب يافا وفى سنة ١٨٧٨ عملوا على انشاء مستعمرة يهودية فى طريق نابلس ويافا ليقيم بها يهود أورشليم

ثم وقعت لهم اضطهادات ومذابح فى روسيا فعمدوا منذ عام ١٨٨١ على الهجرة الى أرضهم المقدسة وشراء الارض دون أن يتريثوا فى اختيار الموقع الملائم فكانت النتيجة أن الجهل بالمكان واختلاف المناخ لم يشجعا اولئك المهاجرين الذين اعتادوا الطقس الاوربى على تنفيذ مشروعاتهم فات منهم كثيرون وهنا تداخل أحد أغنيائهم البارون أدموند روتشلد وأمدهم بالمال فكان لمعونته ونفوذه أثر قوى فى تثبيت أقدامهم

وفى عام ١٩٠٠ تنازل روتشلد لجمعية « الاستعمار اليهودي لفلسطين » عن إدارة المستعمرات وبدأت تظهر لهم جمعيات عديدة مثل جمعية الاتحاد الاسرائيلى وغيرها فلم ترق هذه الحركة فى نظر الباب العالى واصدر أمراً بمنع الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضى لليهود

ولكن قوة المال تتخطى الصعاب فما جاءت سنة ١٩٠٢ حتى بلغ عدد المستعمرات أكثر من عشرين مستعمرة وكانت مساحتها أكثر من أربعين ألف فدان فيها نحو خمسة آلاف مستعمر

ورغما من العقبات والضرائب ومقاومة روسيا وفرنسا أخذت مستعمرات اليهود بفلسطين فى التقدم والاتساع لأن الأرض كانت صالحة للزراعة فأخذ المستعمرون المجدون يحولون الأرض الجرداء إلى حقول للقمح وبساتين للفاكهة وأحراش للزيتون وكروم للعنب ثم شيدوا المنازل الصغيرة وخطوا الطرقات وأقاموا عددا من الصناعات لسد حاجات المستعمرات

وكل مستعمرة عبارة عن قرية أنموذجية ذات منازل رشيقة محوطة بالحدائق ومنارة بالكهرباء مزودة بالماء حولها الحقول التى يعمل فيها النساء والرجال بنشاط ومعهم مختلف الآلات الزراعية الحديثة . وقد رأيت الفتيات والنساء يلبسن سراويلات الرجال القصيرة ويعملن فى الحقل مع أزواجهن ومنهن من كن يعزقن الأرض بالفأس

وقد بذل اليهود جهدهم قبل الحرب العظمى فى حمل الدولة العثمانية على الاعتراف بالوطن اليهودى فلم يفلحوا ولكن ما أن نشبت الحرب العالمية حتى كان لليهود باوروبا وأمريكا من الاموال ومصانع السلاح ما يرجح كفة النصر الى الناحية التى يعضدونها .فبدأوا يلوحون بذهبهم الى تركيا وحلفائها فى مقابل اعترافها بفلسطين وطنا قوميا إلا أن تركيا خشيت يومئذ انقلاب العالم الاسلامى عليها إن هى باعت فلسطين العربية لهم . فاتجه اليهود شطر الحلفاء وما أن

فازوا بوعد بلفور حتى كانت لأموالهم ومصانع الأسلحة التي يملكونها في أنحاء العالم شأن يذكر في انتصار الحلفاء وافلاس الألمان ..

***

وكان لوعد بلفور أثر عظيم في تقدم الحركة الصهيونية ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها واستولى الانجليز على فلسطين رأوا أن تحقيق الوعد البلفوري سيخلق للانجليز أنفسهم متاعب كانوا في غنى عنها، فمن المحال طرد العرب من بلادهم وتكوين مملكة يهودية قوية بذهبها وعلومها وتمدنها وسط دائرة دول عربية اسلامية لاسيما الدول التي يرى الانجليز لهم فيها مصلحة كمصر والعراق . وعلاوة على ذلك فقد أثار وعد بلفور الانجليزي سخط الشعوب العربية الاسلامية في كل العالم . وليس المخوف من سيطرة الصهيونية الغنية على فلسطين وحدها بل المخوف أيضا من سيطرتها على الشرق العربي كله في مستقبل غير بعيد ولما رأى الانجليز ذلك ندموا وباتوا في مركز لا تحسدهم عليه أية دولة أخرى وجميعهم على المجال روح العداء الصهيونية . فانقلبت فلسطين الى ساحة تتصارع فيها قوميتان وتتناحر حضارتان ..

كل ذلك والصهيونية تتقدم في صمت وهدوء فقد كان عدد اليهود بفلسطين قبل الحرب العظمى ٥٦ الفا يملكون ١١٠ الف فدان ولهم خمسون مستعمرة وليس لديهم أموال مستثمرة فصاروا عام ١٢٩٦ نحو ١٨٠ الف يملكون ثلثمائة الف فدان ولهم مائة مستعمرة وزادت أموالهم المستثمرة على عشرة ملايين من من الجنيهات . وقد زاد عدد يهود فلسطين اليوم على ربع مليون ومازالت وفود المهاجرين ورؤوس الأموال تنهال على فلسطين من كل صوب ..

وإذا علمنا أن عدد اليهود في العالم يبلغ خمسة عشر مليونا منهم نصف مليون في ألمانيا التي تطردهم وثلاثة ملايين في رومانيا التي ثارت عليهم عام ١٩٣٧ وعلمنا ما يملكه هؤلاء من ذهب ومصارف ومصانع أسلحة ومعامل وعقارات أمكننا التنبؤ بمستقبل اليهود ولا يمكن للعرب أن يثبتوا أمامهم إلا إذا جاروهم في نشاطهم الصناعي وبادروا في اصطناع الحضارة الحديثة وأساليبها إذ لا يفل الحديد إلا الحديد ..

ولم يقتصر يهود فلسطين على شراء الأراضي والمزارع وتحويلها إلى جنات تحوي المصانع وتصدر مختلف المنتجات بل أنشأوا الجامعة العبرية والمدارس العديدة والمعامل وشرعوا في استثمار البحر الميت وتعبيد الطرق وتأليف شركات السيارات وغير ذلك من المشروعات الاقتصادية والعمرانية

وفي الشهر الماضي أصدرت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بفلسطين بيانا احتجت فيه على القرار الذي أصدرته حكومة فلسطين وهو يقضي بمنح ٥٦٠٠ عامل فقط جوازات للهجرة في بحر ستة شهور آخرها سبتمبر من هذا العام. وأعقب احتجاجها مظاهرات عنيفة فهي تحتاج الى هجرة نحو من الف يهودي في الشهر الواحد وتطلب التصريح لعدد ٣٣٥٠ مهاجر في الشهر الواحد لما حدث في زعمها من نقص في اليد العاملة لاسيما في البناء والفلاحة فزاد الطلب في العمال على العرض حتى تجاوزت أجرة العامل اليهودي في بعض الحرف الدقيقة جنيها في اليوم . وتقول الوكالة اليهودية في بيانها أن في فلسطين رؤوس أموال كثيرة يبحث أصحابها عن استغلالها استغلالا يعود عليهم بالفائدة في الزراعة والصناعة والبناء

ويقول السر هربرت صموئيل المندوب السامي السابق بفلسطين في مقال له هذا الشهر : « هذه التأكيدات هي عندي تقوم على أساس متين فانه لا يوجد في الوقت الحاضر سبب اقتصادي صحيح يحول دون بلوغ سكان فلسطين إلى مليوني نفس بعد سنوات

قليلة وهم الآن مليون وربع مليون نفس » ولكنه يقول في موضع آخر من ذلك المقال : « ليس ثمة شك ان الحركة الصهيونية قد ارتكبت اغلاطا كثيرة فانها لم تقدر من البداية أهمية المسألة العربية وانكبت على مشاكلها الداخلية الخاصة ووقفت جهودها على جمع الأموال اللازمة وقد جمعت معظمها من الاكتتابات الصغيرة في جميع أنحاء العالم وأخذت تعمل بنجاح لأحياء اللغة العبرية .. وقد شاءت الحركة الصهيونية أن تتناسى العرب مع أنهم كانوا يزيدون بعد الحرب عن نصف مليون نفس واخذ عددهم يتزايد منذ ذلك الحين زيادة طبيعية تعادل زيادة السكان اليهود من الهجرة »

* * *

إن الخطة التي سارت عليها الصهيونية في استعمار فلسطين هي شراء الاراضي واستغلالها بحيث تصبح البلاد بالتدريج ملكا لهم . وقد ساعدهم في شراء الاراضي فقر العرب وحاجتهم في هذه الأيام العصيبة إلى المال كما يحدث اليوم بمصر بين الفلاحين المصريين والمموّلين الاجانب . ثم يعمدون إلى انشاء المدن العصرية والمصانع والمصارف بحيث يضعون أولا الاساس في استقلالهم الاقتصادي الذي هو الخطوة الاولى والكبرى في استقلالهم السياسي المنشود وقد ساروا شوطا بعيدا في تنفيذ خطتهم وأهم ما يلفت النظر في نشاطهم تأسيس مدينة تل أبيب الواقعة على شاطىء البحر بجوار يافا ومدينة حادارها كرمل بجوار حيفا

أما تل أبيب المدينة الأولى فأهلها مائة في المائة يهود فقد بدأوا في انشائها عام ١٩٠٩ حينما اتخذها خمسمائة من سكان يافا اليهود ضاحية فأخذت تنمو وتتسع سريعا حتى أصبح عدد سكانها اليوم أكثر من أربعين الفا من اليهود . وفي احصاء عام ١٩٢٧ أن عدد مدارسها خمسون ومنازلها ثلاثة آلاف ومصانعها ١٧٠ ومخازنها ٧٧٨ وبينما وصلت مساحتها سنة ١٩٢٠ الى مائة فدان فقد صارت عام ١٩٢٧ ستمائة وثلاثين فدانا

ومن يسير في هذه المدينة الحديثة يعجب من النظام وهندسة المباني والنظافة وجمال المتاجر ويصادف دارا للاوبرا وهيكلا للعبادة وحمامات بحرية وفنادق ومطاعم أوربية فهي قطعة من أوربا الحديثة تجاور قطعة من الشرق العتيق ولا شك أن موقع هذه البلدة الجميل واعتدال مناخها وتدفق الأموال عليها ستجعل منها مدينة صناعية عظيمة الشأن

أما حادارها كرمل فهي المدينة المشيدة على سفح جبل الكرمل المشرف على حيفا وهي بلدة جديدة ذات منازل ونظام يضارع ما في تل أبيب

ومجمل القول أنما نراه اليوم في فلسطين انما هو مثل قريب للصراع بين مبدأين أحدهما يقول بالمال وسلطان الحضارة الاوربية وجبروت الصناعة والثاني يقول بالتغني بالماضي المجيد والسلف الصالح والاتكال على الزراعة والحول والاستسلام للمقادير

ونحن بمصر نقاسي مثل هذه الازمة . والسعيد من وعظ بغيره

حول الاحلام وتفسيرها

لا يكاد انسان يخلو من الأحلام . فأننا كلنا نحلم سواء فى ذلك الشيخ أو الطفل والرجل أو المرأة . فلماذا نحلم وكيف نفسر الحلم . وهل هو مجرد هذيان الدماغ وقت النوم أم له دلالة خاصة على نفسية النائم يمكن أن نحللها ونستنتج منها النتائج عن ميوله وأغراضه ؟ ثم هل للأحلام فائدة وكيف نهتدى اليها

— ١ —

وقبل أن نتكلم عن الأحلام يجب أن نقول بأن القدماء كانوا يرون أن للأحلام قيمة غيبية أو تكهنية بمعنى أن الحالم يمكنه أن يكشف ما هو غائب عنه فى بلدة أخرى مثلا كما يمكنه أن يتكهن عن حادثة سوف تقع فى المستقبل . أما المحدثون فيقولون إن الأحلام تكشف الخفايا ولكنها ليست خفايا الغيب والمستقبل وإنما خفايا النفس — نفس الشخص الذى يحلم — وقد نستطيع بتفسير الحلم أن نتكهن عن مستقبل هذا الشخص ولكننا حينما نفعل ذلك لا نزيد على أننا نستنتج من نياته الخفية التى تتضح فى الحلم ما سوف يفعله فى المستقبل . فالتكهن هنا فراسة ذهنية لا أكثر

— ٢ —

ولماذا نحلم ؟

نحن نحلم لأننا لا نرضى بالواقع فى هذه الدنيا . فنحن نتطلع ونطمع ونشتهى ولا نجد فى الواقع وقت اليقظة ما يشبع كل أطماعنا وشهواتنا واستطلاعنا . فاذا آوينا الى الفراش وغنا تحقق لنا فى الحلم ما استحال علينا تحقيقه فى اليقظة

لقد سمعنا عن المثل القائل : الجائع يحلم بالخبز . ويجب أن نذكر أن الجائع وحده هو الذى يحلم بالخبز .

ولكن هناك جوعاً آخر لغير الخبز . فنحن نشتهى الثروة والسعادة والحب بل أحياناً نشتهى الانتقام . ثم نجد أن الحياة الواقعة لا تواتينا على اشباع هذه الشهوات . واذن يجب أن نشبعها فى الحلم . ولو كانت جميع مطامعنا محققة لما حلمنا . وكذلك لو كنا من القناعة بحيث لا نطمع بتاتاً لما حلمنا أيضاً

ولكن نفوسنا مركبة على الاشتهاء والتطلع والطمع . ولذلك فاننا نحلم بتحقيق ما لم يتحقق فى الحياة الواقعة

— ٣ —

ولنضرب بعض الأمثلة :

١ — شاب يرشح نفسه للامتحان ويتطلع الى النجاح . فهو يحلم أنه قد نجح وأن التهانى ترد اليه من كل جانب . وانى لأؤكد أن آلافاً من الشبان قد حلموا هذا الحلم فى الشهر الماضى وهو شهر الامتحانات

٢ — فتاة فى سن الزواج تحلم حلماً يتكرر وهو أنها ترى الموائد قد مدت فى بيت والدها . والموائد رمز الى مأدبة القران وكثرة الضيوف ليلة الزفاف

٣ — رجل مأزوم يعلل نفسه بالفرج القريب فى هذه الازمة فيرى نفسه أنه قد اهتدى الى كنز من كنوز الفراعنة وهو مكدس بالذهب

٤ — رجل لم يستطع الانتقام من خصمه . فهو يراه فى الحلم وقد اهوى عليه بالعصا حتى حطم رأسه

٥ — فتاة قد أصيبت بجنون خاص من علاماته الرغبة فى الانتحار . فهى تحلم أنها ترى نفسها جثة هامدة ممزقة قد وضعت فى منديل كما يضع الفلاح اللحم الذى يشتريه من السوق

كل هذه الأحلام تدل على أن الحالم يطمع فى شىء

ولكنه لا يناله فى حال اليقظة فهو يحققه فى خيال الحلم

— ٤ —

وكيف تحدث الأحلام ؟

المعروف الذى لم يجهله القدماء أنها تحدث برموز. ولكننا ونحن نحلم لا نتعمد الرمز للاشياء . وكل ما يحدث أننا حين ننام نعود القهقرى الى عقلنا البدائى الذى كنا نفكر به قبل نحو ١٠٫٠٠٠ أو ٢٠٫٠٠٠ سنة . فنحن نفكر بطريقة أسلافنا القدماء أو بطريقة الأطفال. فالانتقام ضرب بالعصا، والثروة كنز كدس فيه الذهب. والزواج طعام وموائد ومصابيح. أفكار الأطفال أو أفكار الأسلاف القدماء

والطفل ، والمتوحش الذى يمثل أسلافنا ، سواء فى العجز عن التعبير بالكلام الصريح. فهو يرمز اليه. وتسعة أعشار أحلامنا تجرى صامتة بلا كلام

والأحلام هى برموزها لغة الانسان فى طور الانسانية وهى تمثل حالته الأخلاقية والاجتماعية قبل عشرات الألوف من السنين

— ٥ —

ولكن يجب الا نعتقد أن جميع الأحلام تؤدى عندنا اشباعاً وهمياً لشهوة مكبوتة إذ لو كان الأمر كذلك لكانت الأحلام على الدوام سارة . وهى ليست كذلك إذ منها المزعج بل منها الكابوس . فكيف نفسر هذه الأحلام وما هى دلالتها؟

من المعروف أنه عند ما تحدث لنا حادثة مزعجة كما لو مات صديق حميم لنا أو كما لو أزعجنا حادث كالغرق أو الحريق فاننا لا نفتأ نذكر هذه الحادثة التى أحزنتنا الى حد الجزع أو هذا الحادث الذى أزعجنا . وتردد الذكرى يكاد يكون أمراً طبيعياً لانه ينبهنا تنبيهاً قوياً الى الاحتياط للمستقبل حتى لا نقع فى مثل ما وقعنا فيه. ولكن هذا التنبيه يعود أحياناً وسواساً مؤلماً يحتاج الى العلاج

وكما تتردد الذكرى فى الصحو كذلك تتردد فى النوم . فهذا طفل قد كان يجرى وهو خائف فوقع وجرح شفتيه . فهو يحلم هذا الحلم وينهض وهو غائب الذهن يبكى ويده على شفتيه

وهذا رجل قد تراكت عليه الهموم وزاد عيثها طول الازمة فهو يحلم حلماً مؤلماً يتكرر كل ليلة . وهو أنه يرى أنه سائر فى طريق ضيق لا يكاد يتسع للتقدم . فلا يزال يسير حتى يجد سوراً قائماً فى وجهه يصده . فهو يعود من حيث أتى وقد انحنى رأسه من اليأس

وهذا زوج اذا نام تمتمت زوجته ألفاظ الشتائم الموجهة اليها . مع أن الرجل مؤدب اللفظ طول يومه معها

هذه أمثلة ثلاثة من الأحلام السيئة وانى أعرف بعض الأشخاص الذين وقعت لهم . فهذا الطفل الذى يبكى وهو غائب الذهن ويده على شفتيه يمكن أن يقال له : أنت كنت تبكى لانك وقعت حين كانت أختك تجرى وراءك . وكان لك حق فى البكاء لان شفتيك كانت تدميان ولكنك الآن ليس بشفتيك شيء ، لا جرح فى الشفة . ولا سن مكسورة . أنظر الى المرآة هل تجد شيئاً ؟ تشجع وكن رجلا واحترس من الوقوع مرة أخرى . أنت طفل شجاع

أما الرجل الذى يرى السور القائم فى طريقه فماذا يقال له ؟ يقال له أنك لست مسئولا عن هذه الازمة التى تعم الدنيا . ولا يمكن انساناً أن يلومك على كثرة ديونك . ولا بد لهذا الضيق من فرج ولا بد لهذا السور من أن ينكسر قريباً

أما هذا الزوج المؤدب فى يقظته القبيح فى نومه فقد كان الكلام لزوجته أكثر مما كان له . فهو يشكم

بالليل ويشتمها لأنه كان يريد أن ينتقدها فى النهار ولكنها منعته أو منع نفسه من نقدها. فهو هنا يعبر عن شهوة مكبوتة . وعلى الزوجة أن تحتمل انتقاده بالنهار حتى لا يشتمها بالليل أو عليها أن تنزل على رغباته حتى لا يجد فيها ما يدعو الى الانتقاد

— ٦ —

لقد رأينا الآن مثلين من الأحلام

١ — الحلم السار الذى تشبع فيه شهوة مكبوتة اشباعاً وهمياً

٢ — الحلم السيىء الذى يعيد الينا اما حادثة مروعة قديمة واما يمثل لنا هموماً ووساوس تستولى على أذهاننا وتؤذينا

والحلم الأول السار هو الحلم الصحى الذى يدل على أعصاب سليمة . أما الحلم الثانى السيىء فيدل على أن النفس مريضة تحتاج الى العلاج . وقد يتفاوت المرض من الوسواس الخفيف الى الجنون المطبق . ولنعد الى ذلك الرجل الذى يجد الضيق من الازمة. فانه فى حال الصحة يحلم أنه رأى كنزاً من الذهب . أما فى حال المرض فانه يرى الطريق مسدودة بسور عال

فى الحال الأول لا يخشى عليه إذ هو يستيقظ وهو يضحك . أما فى الحال الثانية فيحتاج الى نصح ورقابة بل أكاد أقول أنه يحتاج الى فلسفة إذ ماذا يكون بعد الطريق المسدودة ؟ يكون الخطر

— ٧ —

والمتصدى لتفسير الأحلام يجب أن يكون على شىء غير قليل من الفلسفة والأدب والثقافة العامة بل يجب أن يعرف أصل الألفاظ وكيف نشأت الاستعارة والمجاز. لأن الأحلام رموز نشأت بالطريقة التى نشأت بها ألفاظ اللغة . فيجب عليه أن يعرف دلالة الحلم الذى يحلمه جميع الأطفال تقريباً حين يرون أنهم يسقطون . وعلاقة هذا السقوط بنظرية التطور . كما عليه أن يعرف قيمة الدين لتوقى الترعزع فى الشخصية. وعليه أن يعرف قيمة اللعب وضرورته للتفريج والتنفس وعليه أن يعرف القيمة الاجتماعية للتبكير أو التأخير فى الزواج . فان أوربا تتأخر فى الزواج والشرق يبكر فيه ولهذا الفرق أثره فى السخط أو القناعة . ثم عليه أن يعرف القيمة الاجتماعية للملاهى والداء أو الدواء فى الزار الذى تمارسه بعض النساء المصريات المريضات

أن تفسير الأحلام جزء من التحليل النفسى الذى يراد منه الوقوف على خفايا النفس. وكثيراً ما يكشف الحلم عن نية مبيتة لارتكاب جناية قد لا يدريها صاحبها نفسه لأنه فى حال يقظته ينكرها حتى ليصدق أنه يكرهها ولكن فى صميم نفسه يرغب فى ارتكابها. والحلم يكشفه لأن رقابته عليه ضعيفة أو معدومة

— ٨ —

والآن قد نتساءل : ما الفائدة من الأحلام ؟

لقد اتبعت فى هذه الكلمة أسلوباً بعيداً عن الاصطلاحات أو الحدود الفنية. وهذا الالتزام للبساطة يضطرنى الى اهمال بعض الاشياء وخاصة عندما نتناول بالبحث وظيفة الحلم . فان الأحلام لم تأت عبثاً ولو كان من الممكن الاستغناء عنها لما تكلفت الطبيعة وجودها

والحلم مفيد من جملة نواح . فهو عندما يشبع شهوة مكبوتة اشباعاً وهمياً يعيد الى النفس توازنها ويخفف من ألم الحرمان وضرر الكبت . فقد قضت علينا الحضارة بكبت شهواتنا ومطامعنا ولكن الحلم يفرج عنا لأنه يحقق هذه الشهوات والمطامع

ثم أن الأحلام تدلنا على الميول الحقيقية التى تميل اليها نفوسنا وهى عارية أو كالعارية من العرف والتقاليد

والقواعد الاجتماعية . ونحن حين نحلم نرى أنفسنا ليس فى حياتنا القصيرة هذه التى تعيشها أجسامنا على الارض بل فى حياة نفوسنا الماضية قبل نحو الف بل عشرة آلاف سنة . وبالتفسير الصحيح لأحلامنا نستطيع أن نقبس أخلاقنا وسرائرنا

— ٩ —

والى هنا كنا نتكلم عن أحلام النوم . ولكن هناك أحلاماً اخرى هى أحلام اليقظة حين نسترخى قبل النوم أو حين نتمدد من التعب ونترك للذهن خواطره تجرى بلا قيد . وأحلام اليقظة من جنس أحلام النوم واذا كان بينهما فرق فهو فى الدرجة فقط . ولذلك نستعين على تفسير الحلم الغامض الذى يقع وقت النوم بخواطر اليقظة التى تجمعها من صاحب الحلم . فاذا رأينا فى الحلم شيئاً ليست له دلالة واضحة طلبنا من صاحبه أن يذكر لنا الخواطر التى تخطر بذهنه عندما يذكر اسم هذا الشيء . ثم نبحث نحن عما يربط هذه الخواطر بالحلم فنصل من ذلك الى تفسير معقول

وتفسير الأحلام هو — كما قلنا — بعض التحليل النفسى . والغاية الأولى من هذا التحليل أن نعيد الى الشخص توازنه ونجعله يواجه الحقائق وينزل على الواقع . فاذا كان هذا الواقع سيئاً فيجب أن يعالج لا بالخيالات والأحلام بل بالجهد والاصلاح

والآن لنا أن نسأل : ماذا دلت عليه التفاسير الحديثة للأحلام والتحليل النفسى وما اليها من هذا العلم ، أو هذه الفلسفة الجديدة ؟

والجواب على ذلك نقول أنها دلت على أشياء كثيرة فهمنا منها كنه الطبيعة البشرية أو جزءاً كبيراً منه يمكن أن نلخصه فيما يلى :

١ — أن سنى الطفولة الأولى هى أخطر السنين فى تربية الانسان

٢ — ان سوء هذه التربية قد ينكب الانسان مدى حياته

٣ — أن كثرة الاحلام — أحلام اليقظة وأحلام النوم — هى دليل على سوء الواقع . وهذه الاحلام هى الوسيلة للهروب منه

٤ — أن المدنية اقيسة وقواعد تجعلنا جميعا فى خضوعنا لها أشبه بالمرضى

٥ — الخيال الذى اكتسبناه أيام الطفولة يبقى كامنا فى العقل الباطن الذى لا نشعر به . فاذا تناقض مع الواقع حدث المرض النفسى مع هذا التناقض

٦ — لهذا السبب يجب أن نعلم أطفالنا مواجهة الحقائق والجهد فى تحقيق رغباتهم حتى لا يلجئهم العجز عن تحقيقها إلى الاحلام والخيالات

٧ — ولهذا السبب أيضا يجب أن يمارس كل منا عملا يهواه لا تكون له علاقة بحرفته . وهذا العمل ينفس عن شهوات مكبوتة يؤذيه كبتها وينغص حياته

مشارب الشاي فى لندن

اطلعت فى عدد يوليو على مقال « مشارب الشاى فى لندن » للأستاذ أحمد عطية الله وفيه يذكر فى معرض الحديث عن إعفاء الزبون من دفع ثمن ما يكسره « روح الثقة بأفراد الشعب أن هذه الروح غير موجودة فى فرنسا » وقد كتب على كل طبق من أطباق القهوة ثمنه » وهذا خطأ ما كان الاستاذ ليقع فيه لو كان استعمل شيئا من الملاحظة الدقيقة

فان المكتوب على الطبق هو ثمن الطلب وليس ثمن الطبق ليدفعه من يكسره .

وقد حدث لى السنة الماضية فى ليون (فرنسا) أن كنت قاعدا فى إحدى القهوات أتحدث مع أحد الزملاء وبحركة غير مقصودة دفعت يدى دورقا زجاجيا فانكسر . فأردت دفع ثمنه ولكن صاحب القهوة خبرنى أن هذا غير لائق وليس متبعا وقال لى ما ترجمته « فداك »

محمد عبد الحكيم الجراحى
طالب طب بليون



صحائف...

لشاعر الهند الأكبر : تاجور

ما اعتقدت أن أوجه كبير التفات لطفلتنا « بروبها » طالما كانت أمها على قيد الحياة . وفي الواقع إنني كنت أعنى بشئون زوجتي أكثر مما كنت أعنى بشئون ابنتنا الصغيرة

ولم تكن علاقاتي بالطفلة قوية عميقة فلم تتعد قط تدليلي لها ، وانصاتي لثرثرتها الساذجة بلسانها الألثغ في بعض الأحيان . ونَدَر أنني ضحيت بشيء من وقتي في مشاركتها في ألعابها الصبيانية ومرحها البريء . وطالما كانت رضية النفس معتدلة المزاج كنت أضاحكها وأداعبها أما حين كانت تظهر عليها بوادر المشاكسة وأشعر أنها ستسبب لي تعباً فإني كنت أتركها تحت رعايتها .

وفجأة قضت أمها نحبها ففسرت « بروبها » صدر الوالدة الحنون فأخذتها إلى صدري وأسكنتها سويداء قلبي ...

وكان يصعب في الواقع إذ ذاك تقرير أحد أمرين .. أهو أنا الذي أخذت على عاتقي أن أعنى بطفلتي اليتيمة عناية مضاعفة ؟ أم هي « بروبها » التي ظنت أنه قد صار واجباً عليها أن تهتم بشئون أبيها الأرمل اهتماماً مضاعفاً ؟.. على أي حال لقد بدأت هي إذ دخلت في السادسة من عمرها أن تستوعب مطالب المنزل وأخذت في القيام بشئون ربة الدار الحكيمة خير قيام .. ولقد ظهر بوضوح أن « بروبها » قد وضعت نفسها في موضع الحارس الأمين الوحيد لأبيها ، الواجبة عليها رعايته . .

ولا أكتم أنني كثيرا ما ابتسمت في نفسي لكل هذا ، ؛ لكنني أيضا قد سلمت نفسي بتمامها بين يدي ابنتي . . وسرعان ما أيقنت أنني كلما ظهرت أمامها بمظهر العاجز المعدم الحيلة المحتاج إلى معونتها شاع السرور في نفسها وملأ الطرب قلبها الصغير . وذهبت في هذا لدرجة كانت تشعر فيها كأنما قد جرحت كبرياءها إذا أحدث وتناولت بنفسي ملابسي أو مظلتي من على المشجب كأنما أنا قد تعديت دون مبرر على حق من حقوقها . .

أجل . . إنها ما امتلكت قبل دمية كاملة كهذه التي لها الآن من شخص أبيها . وهي لهذا قد عنيت به عناية خاصة فكانت تساعده في ارتداء ملابسه وتناول طعامه وحتى في الذهاب به إلى فراشه لينام وما كانت سلطتي الأبوية لتظهر حيالها إلا في الأوقات التي كنت ألقنها فيها مبادىء القراءة وأصول الحساب

وكان يضايقني الحين بين الحين مجرد التفكير في كيف السبيل إلى الوصول إلى طريقة أحصل بها قدرا من المال يكفي لأن يكون بائنة لابنتي تمكنها من الحصول على زوج يليق بها . . ولقد عنيت بتهذيبها وتثقيفها قدر المستطاع . لكن ترى كيف يكون حالها لو أوقعتها الاقدار بين يدي زوج أمي جاهل ؟

ومن ثم عقدت نيتي على ادخار ما يمكنني من النقود وإذا كان كبر سني قد سد في وجهي باب التوظف في الحكومة كما أنني كنت عديم النقود فلم يكن في مقدوري الالتحاق بوظيفة حرة ، أخذت أجهد قريحتي للوصول الى ما أبغي من ثروة .. ورأيتني بعد أعمال الروية أوطد العزم على الاشتغال بالكتابة والتأليف ..

ooo

لو أخذت أنبوبة من القصب وثقبت فيها ثقوبا كثيرة لما أمكنها بعدئذ أن تحتفظ في داخلها بماء أو بزيت لأنها في الواقع قد فقدت خاصية الضبط والحفظ التي كانت لها قبل أن تثقب .. لكنك إن نفخت فيها فقد يصدر منها حينئذ ـ دون أن تكلف نفسك مشقة ما ـ صوت موسيقي .. وهكذا فأنني أيقنت تماما أن المرء الذي لا يستطيع أن يكون نافعا ، في مقدوره أن يكون حلية أو في كلمة أخرى مهرجا .. وأصبحت شديد الايمان أن المرء العاجز عن العمل والانتاج قادر على الاقل أن ينتج أدبا .. واندفعت في تفكيري هذا الى نهاية الشوط واذا بي أخرج للناس بعد بضعة أيام رواية هزلية شهد لها البعض بل وصل تقدير الناس لها الى درجة رؤى فيها تمثيلها على خشبة المسرح وقد كان .. نجحت المهزلة نجاحا عظيما .

ورحت بعد أن استنشقت عبير الشهرة مرتمدفوعا برغبة لا تقاوم الى النهل من موردها العذب ما استطعت الى ذلك سبيلا .. ومرت الأيام في إثر بعضها وأنا اشتغل باستمرار في وضع الروايات الهزلية يحفزني الى ذلك شعور داخلي بضرب من الوخز لاذع مؤلم . . .

وكان يحدث أن تقترب الى «بروبها» وقد افتر ثغرها عن ابتسامة عذبة تذكرني في رفق أن أقوم لأستحم .. فما يكون مني الا أن أزأر فيها صائحا في صوت غليظ جاف :

«إذهبي .. اذهبي عني بعيدا .. أليس في استطاعتك أن تدركي أنني مشغول الآن ؟ . ابعدي .. لا تتعدي على أوقات عملي . . »

فترتد الابنة المسكينة على عقبيها في ذلة وانكسار وقد اسود وجهها كمصباح مضيء انطفأ نوره

وطردت خدمي النساء شر طردة ورحت أعذب من بقي من الرجال في خدمتي .. ولم تعد أعصابي لتحتمل أصوات الشحاذين المنكرة الذين اعتادوا أن يقفوا ببابي يرددون أغنياتهم المبتذلة في ذل ومسكنة فكنت أطردهم في عنف وأطاردهم وبيدي هراوتي . .

ولما كانت غرفتي تطل على الشارع فان كثيراً من الغادين والرائحين الذين كانوا يجهلون المدينة اعتادو أن يسألوا مني أن أدلهم على الطرق الموصلة الى الأماكن التي كانوا يقصدونها لكنني كنت دائما أطلب إليهم أن يتركوني ويذهبوا الى جهنم

وكان يحز في قلبي أن الجميع لم يخطر لهم ببال أنني كنت إذ ذاك في شغل شاغل عنهم فقد كنت أضع مهزلة عنيفة !!

ومع هذا الجهاد العنيف فانني لم أحصل على الثروة التي كنت أسعى للحصول عليها ، بدرجة تتناسب مع ما أحرزته من بعد الصيت وذيوع الاسم والمتعة المريضة التي اصبتها جزاء وفاقا لاشتغالي بالأدب . .

ومع أن الكثيرات من الفتيات اللاتي لم يكن آباؤهن يشتغلون بتأليف الروايات الهزلية قد حصلن على أزواج فان ذلك لم يفت في عضدي ولم يحرج صدري . . .

لكن حدث أن أتيحت لي فرصة ذهبية رأيت في اقتناصها تحقيقا لأملي في الحصول على الثروة التي كنت انشدها فأن مالك قرية «جاهيرجرام» إحدى

القرى القريبة منا استصدر إذنا بإصدار صحيفة وأرسل إلى يرجونى أن أتولى شئون تحريرها .. فأجبته إلى طلبه . . .

وتسلمت مهمتى وبدأت عملى الصحفى فى حماسة وقوة أكتب بقلم من نار وكانت كلماتى تلتهب حمية وحماسة .. وإذا بأهل القرية يقدرونى قدرى وحيثما سرت كانوا يشيرون إلى بالبنان .. وهكذا بدأت أشعر بهالة من المجد والفخار تحوطجبينى

***

كانت قرية «اهيرجرام» أقرب القرى إلى قريتنا «جاهيرجرام» وكان بين ما لكى القريتين عداء قديم مستحكم ومنافسة غير بريئة لاتهدأ ولا تستقر وكثيرا ما اشتبكا فى عراك عنيف . . ولكن الحاكم العام اضطرهما إلى المسالمة فأذعنا وإن كان السلم هنا لم يتعد المظهر الخارجى . أما أنا فقد رأيت نفسى مدفوعا بحكم مركزى وولائى لصاحب الجريدة التى كنت أحررها أن أذكى نيران الشقاق والكراهية بين الزعيمين بل بين أهالى القريتين . . وفى الحق لقد شهد لى الجميع أننى أديت أمانتى على أحسن وجه

ورحت أمطر قرية «اهيرجرام» وابلا من كتاباتى العنيفة النارية اللاذعة فلم تعد بعد تستطيع أن ترفع رأسها وانطلقت بمعاداى صحيفة عشيرتهم وطمست معالم تاريخ أجدادهم دون هوادة أو لين . .

وكان السرور يتفجر فى نفسى فى تلك الأيام ورضيت عن نفسى كل الرضى . . حتى أن صحتى تحسنت كثيرا وسمن جسمى . . وأضاء وجهى بلمعة نجاح الرجل العبقرى الباهر . . وأكبرت من شأن مهارتى وخدمتى فى الدس والوقيعة بين أهالى القريتين وهكذا كنت بعد أن أقذف قرية «اهيرجرام» بإحدى قذائفى الموجهة اللاذعة فإن قريتنا «جاهيرجرام»

كانت تنتفخ تيها وكبرا وشماتة واستهزاء فتتفجر صدور الأهلين عن ضحكات مجلجلات داويات . . ورحت استشعر فى كل هذا متعة ليس بعدها من متعة

ثم حدث أن قرية «اهيرجرام» أنشأت صحيفة يوميه . وكان اسلوب تحرير هذه الصحيفة عاديا مكشوفا لا تكسوه أرق غلالة من الفن الأدبى . . وكانت تكتب فى لغة عامية حية أكسبت كلماتها قوة وروعة حتى كأنما كل حرف من كلماتها يصيح صارخا فى وجه القارىء لها . . وماكان يصعب ادراك مبلغ ماوراء هذا الحدث الجديد فى أهالى القريتين على السواء من أثر . . . .

أما عن نفسى فإن التزامى فى كتاباتى مبادىء الحشمة واللباقة مع قوتى على التعبير عن استهزائى بأعدائى وسخريتى اللاذعة بهم فى توريات فنية ، قد أكسبا كتاباتى غموضا عند جمهرة القراء وجعلاتى غير مفهوم من كلا أصدقائى وأعدائى من قراء صحيفتنا وكثيرا ما حدث أننى كنت أكسب النصر فى معركة من تلك المعارك القلمية الفاضحة ، ولا يكاد واحد من القراء يلحظ ذلك أو حتى إن لحظ ذلك أحد فإنه ما كان ليعيره أدنى التفات . . . وأخيراً فى حالة من اليأس والقنوط أنشأت مقالا أنادى فيه بوجوب الأخذ بأسباب الذوق الفنى الأدبى فى إنشاء المقالات وفى التحرير . . وإذا بى أكتشف بعد نشر مقالى هذا أنى قد أتيت أكبر غلطة فى حياتى . . وأدركت تمام الادراك أن الأشياء الجدية الخالصة إذا ماتعرضت للعبث والسخرية فإنها تعطى مجالا أوسع للهزء والمجون أكثر بكثير مما تعطيه الأشياء الهزلية بطبعها . . وهكذا انقلب على الغرض وجاءت نتيجة مقالى الأخير هذا بعكس ما كنت أرجوه تماما . . . .

وهنا بدأ صاحب الصحيفة التى أعمل فيها يهمل من

شأني .. وأخذت مظاهر التكريم والتقدير التي عودنيها تنكمش وتتضاءل .. والى هذا الحال صارت مكانتي بين الناس فلم يعد أحد منهم يقترب مني اذ يراني سائرا في الطريق ليتبادل معي أراءه مما كتبت أو ليعبر لي عن تأثير كتاباتي في نفسه .. بل إنهم ساروا في تحقيري الى آخر الشوط فقد جرؤ بعضهم على أن يتقدم مني في الشارع ويسير الى جانبي وهو يربت على كتفي مرة بعد اخرى مناديا إياي بأسماء مستعارة صبيانية . . .

وأخذ المعجبون بفني كرواني والمقدرون لرواياتي التي وضعتها يتجاهلون شخصيتي وينفضون أيديهم من صلتهم بي . . وأخذ يستولي على شعور مؤلم لاذع أنني أصبحت كعود الثقاب الذي احترق عن آخره فلم يبق منه إلا ذرات من الرماد . . .

وأصبت بغمة استولت على عقلي واستحال معها أن أستجمع شتات أفكاري مهما بذلت من جهد وفقدت المقدرة على الكتابة وما عدت بقادر أن أخط حرفاً واحداً . وخيل إلى أنني قد فقدت لذتي في الحياة ...

وابنتي « روبها » أيضاً بدأت تخافني .. ولم تعد تجرؤ على الاقتراب مني اللهم إلا إذا ناديتها.. وأخذت تعتقد في قرارة نفسها أن معاشرتها لدمية عادية من دمى الأطفال خير لها بكثير من معاشرة أبيها العبقرى مؤلف الروايات الهزلية .

• • •

وأخيراً أصابتني الضربة القاضية بأسرع مما كنت أتوقع ذلك بكثير.. فان جريدة « اهيرجرام » كفت هجومها عن صاحب الجريدة التي كنت أحررها ووجهت حملتها على وإذا بها تكيل لي التهم الشنعاء جزافاً وبغير هوادة . . وجاءني أصدقائي واحداً في إثر واحد وفي يد كل واحد منهم العدد الأخير من تلك الصحيفة ، ليقرأوا لي أبرز الفقرات المكتوبة عني وأشدها لذعاً وإيلاماً . . وكلهم طروب النفس ضاحك السن .. وذهب الاعتقاد ببعضهم الى التصريح لي بالقول إنه وإن كان يحتمل أن ما ورد في المقال من مطاعن في لا أساس له من الصحة لكن المقال قد كتب في الواقع بحذق وفن ومهارة .. ولم يكن عدد الذين جاءوا إلى في ذلك اليوم ليقرأ لي ذلك المقال اللاذع بأقل من عشرين شخصاً ؛ ومن الغريب أن جميع تعليقاتهم على ما كتب ضدي قد اتفقت أو كادت وما كانت لتختلف عن بعضها إلا في تفصيلات تافهة!!..

ووجدت نفسي في مساء ذلك اليوم منفرداً في حديقة منزلي الصغيرة أذرع طرقاتها جيئة وذهاباً وعقلي في أشد حالات الاضطراب من الألم النفسى الممض الذي كنت أعانيه . . واستقرت الطيور في أوكارها، واستسلمت لسكون الليل الشامل وإذا بفكرة تنساب في عقلي في رفق ولين أن ثمة بين هذه الطيور لا يوجد رجال صحافة وأنها ما عقدت البحوث الطوال ولا هي لجت قط في جدل وحوار حول أسلوب الكتابة والذوق الفني في الانشاء والتحرير !!!

وكان يملك على مشاعرى إذ ذاك فكر واحد لا ثاني له: ترى ماذا سيكون ردى على تلك الحملة الهوجاء؟.. إن النقص في الآداب هو عدم استساغة عقول كل الناس لها والايمان بها . . وإذن فليكن ردي بمثل الأسلوب الذي كتبت به الحملة وبنفس اللهجة الوقحة المتهجمة .. وما خطر لي ببال إذ ذاك أن أرضى لنفسى بالتقهقر والانسحاب من ميدان المعركة فأسجل على نفسي فشلا ذريعاً ...

وإذ وصلت الى هذا القرار طرق أذني صوت مألوف لدي.. حمله الهواء إلى بين أطواء الظلام رقيقاً

وشعرت بلمسة في راحة يدي فيها دفء وفيها حنان .. لكنني كنت إذ ذاك مأخوذ اللب مضطرب العقل شارد الذهن لدرجة أنكرت معها ذاك الصوت وتلك اللمسة ..

وفي اللحظة عينها دوى الصوت عالياً في أذني ودبت الحياة حارة في مكان اللمسة من راحة يدي .. لكن الصوت كان قد ابتعد وصاحب اللمسةقد رجع من حيث أتى ..

ولقد كان ذاك الشخص ابنتي « روبها » أجمل ابنتي بعينها التي اقتربت مني بعدئذ ثانية في سكون وصمت .. وهمست في أذني بصوت رقيق حنون « أبي » ..ولكنها إذ لم تسمع مني جواباًفقد أمسكت يدي اليمنى ووضعتها على جبينها في رفق ومن ثم كرت راجعة الى المنزل من حيث جاءت . . . ورجعت في سكون وصمت ..

وكانت قد مرت حقبة طويلة من الزمن لم تنادني ابنتي الوحيدة في مثل هذا الحنان والعطف وحرارة العاطفة وما لاطفتني من قبل في تيه ما تكلف كما حدثتها الآن.. فاذا بقلبي يستجيب لنداء قلبها وإذا بحنين عميق بدأ يتحرك في داخلي نحوها ..

ورجعت الى المنزل بعد فترةقصيرةوهناك وجدت « روبها » مضطجعة على فراشها . . كانت عيناها مغمضتين نصف اغماضة وتظهر على وجهها دلائل الألم الموجع والحزن الممض . . وكانت مطروحة كزهرة أسقطتها على الثرى رياح هوج .. فأخذت في الذبول شيئاً فشيئاً ..

وضعت كفي على جبينها فشعرت بحرارة الحمى تسري في جسمها . . وكانت أنفاسها تتصاعد قصيرة حري .. ونبضها قد ارتفع . .

فأيقنت أن الطفلة البائسة إذ كانت قد شعرت بأول أعراض الحمى فانها هرعت الى أحضان أبيها لتروي قلبها الظامىء بحنانه ومحبته بينما كان هو يجهد عقله في التفكير المضني في صورة رد لاذع وقح يوقف به محرر صحيفة « اهيرجرام » عند حده !!!

فجلست الى جانبها . . فما كان منها إذ رأتني معها إلا أن أخذت يدي بين راحتيها المحمومتين دون أن تنبس ببنت شفة ، ووضعتها على جبينها الملتهب . . وظلت مستلقية على فراشها كما كانت دون حراك ..

وبعد قليل وجدت نفسي مدفوعاً الى حجرتي الخاصة برغبةخفية لا تقاوموتقدمت الى خزانة كتبي وأخذت منها جميع أعداد صحيفتي « جاهيرجرام » و « اهيرجرام » وألقيت بهاجميعاًفي النار المتأججة.. فأتت عليها النيران وصيرتها رماداً تذروه الرياح . . وماتت في داخلي رغبتي في الرد على حملة أعدائي . . ولعمري إنني ما استشعرت من قبل في حياتي بقولها فرحاً كهذا الذي ملأ قلبي إذ رضيت لنفسي التقهقر والاعتراف بالهزيمة !!!

وإنني وإن كنت قد أخذت طفلتي « روبها » الى صدري بعد موت أمها . . فقد وجدت نفسي في حاجة لأن أعيد اليها مكانتها التي سلبتها منها أصنامي تلك التي ألقيت بها في طعمة النيران .. وهكذا فأنني أخذت إبنتي وحيدتي الى صدري وأسكنتها ثانية في سويداء قلبي ...

غاندى

للاستاذ خالد احمد الجرنوسى

رجـــل كالطيف الا أنه … جاثم كالطود فى وجه القدر
فى مسوح الزهد منه واعظ … يلهم الفكر ملايين البشر
قد كفته خرقة بالية … تستر العورة أو يبت وبر
ناعما من عيشه فى فكره … إنما تسمد أو نشق الفكر
بيمنا يغزل خيطا بيـــــد … تنسج الاخرى المقالات الغرر
إنما قـــوته فى ضعفه … طالمـــا أضرم حربا فانتصر
لايبالى حــين ينوى نية … أنزلوه الخلد أم اقصي سقر

تنهض الدنيا التى جئت به … وهو فيها صورة بين الصور
هو روح فى بقايا هيكل … لو نزعت العظم منه ما شعر
نفسه فى يده طهرها … فوق نار من لظى الجمر أحر
كلما شاءت جماحا ردها … بلجام فى يد الزهد عسر
آثر الفقر على مجد الغني … وهو باليسر اذا شاء ظفر
فهو من «معزاه» يحيا فى غنى … عن لحوم الطير أوطهى الخضر

ماأري كاليوم دنيـــا حاربت … رجلا فردا فما ولى الدبر
يجمع الناس على الحق كما … تجمع الرسل على الوحى الزمر
يرســل الكلمة رعـداً قاصفا … تملأ البدو وتدوى فى الحضر

سلطة الفكر قوى روحية … تهزم الجيش قويا ذا خطر
قد يصد الفكر يوما فاذا … كثر الضغط على الفكر انفجر
فمضى غضبا مجنون القوى … كلما صادف من قيـــد كسر

إن غاندي سيـــرة منشورة … فى فم الايام من أحلى السير
أعوز الشرق مسيح صالح … فهو فى الشرق المسيح المنتظر

ابو جنبه والتعقيم

للدكتور صبرى جرجس

يدل الاحصاء الذى عمل بانجلترا سنة ١٩٠٤ على أن نسبة المصابين بنقص عقلى تبلغ ٤٫٦ إلى كل ١٠٠٠ من السكان. ويدل الاحصاء الذى عمل بعد عشرين عاماً من هذا التاريخ على أن هذه النسبة تبلغ ٨٫٦ إلى كل ١٠٠٠ من السكان. وقد ظهر من هذا الاحصاء الأخير أن بين كل ١٠٠ من هؤلاء ٥ من المصابين بالبله و٢٠ من المصابين بالأفن و٧٥ من المصابين بالضعف العقلى. وفى جميع هذه الاحصائيات كانت نسبة الاصابة فى الارياف أعلى منها فى المدن. وقد يظهر للباحث السطحى أن حالات الضعف العقلى قد تضاعفت خلال عشرين عاماً. ولكن الواقع أن النسبة فى كلتا هاتين الاحصائيتين دون الحقيقة وان كانت الثانية أقرب إلى الصواب من الأولى. ومما لا شك فيه أن حالات الضعف العقلى تسير نحو الزيادة سيراً بطيئاً ويرجع السبب فى هذه الزيادة إلى عاملين. الأول: أن وسائل الفحص والتحقيق العلمى أصبحت الآن أكثر دقة منها فى الماضى. والثانى أن الصحة العامة قد تقدمت فامتدت الحياة لكثيرين من المصابين بالضعف العقلى بعد ان كان الموت يعدو عليهم فى سن مبكرة من قبل

ولا جدال فى أن عامل الوراثة هو العامل الأول والأهم فى انتقال النقص العقلى. وقد دلت الاحصائيات على أن ٣٠ فى المائة من أبناء المصابين بضعف عقلى تظهر عليهم أعراض هذا الضعف عند بلوغهم المراهقة وهذه نسبة مرتفعة وتحتاج إلى علاج حاسم لمنع زيادتها فى المستقبل

ولقد كنا نزعم حتى الآن أن الكفاية العقلية تتأثر بعوامل الوراثة فقط. لكن الواقع الذى أثبتته التجارب والمشاهدات هو أن النقص العقلى جوانب متعددة وللبيئة آثاراً مسببة هامة فى كثير من حالاته بل لقد تكون البيئة هى السبب الوحيد فيه أحياناً

وهناك نواح أخرى لا يصح اغفالها نذكرها فيما يلى:

١ — النقص العقلى الناتج عن السفلس وهذا بطبيعة الحال يسير إلى الزوال وسببه تقدم الفن العلاجى لمرض السفلس تقدماً محسوساً فى مدى الثلاثين عاما الأخيرة

٢ — النقص العقلى الناتج عن الاصابة فى أثناء الولادة وهذا لا علاج له إلا زيادة العناية بالطفل فى أثناء ولادته

٣ — النقص العقلى الذى يسمى مغولية لأن السحنة تشبه سحن المغول وهذا لا يعرف سببه على وجه التحقيق ولكن إذا صح ما يقال من علاقته بتقدم سن الأم عند الولادة فمن الراجح ونحن نرى ميل النساء إلى الزواج المتأخر أن نتوقع اطراد زيادته فى المستقبل

٤ — النقص العقلى الناتج عن مرض التهاب المخ السابق وهذا المرض مسؤول عن كثير من حالات النقص وهو لم يكن معروفا قبل عشرين عاماً.

تبقى بعد ذلك أنواع نادرة من النقص العقلى الشديد تنتقل بالوراثة غالباً ولكن الانتخاب الطبيعى كفيل بأن يستأصلها من المجتمع ولو بعد حين. على أن بقاء هذه الامراض حتى الآن يدلنا على أن هناك عوامل أخرى تعمل على بقائها ثابتة. ونحن نجهل

هذه العوامل الآن ولكننا نرجو أن تكون موضع العناية والبحث في المستقبل

المشكلة الاجتماعية

لعل أخطر أنواع المجرمين هو الذي يظهر أمام المجتمع شخصاً محترما هادئا وكذلك هو الحال مع المجانين . فان الجنون الكامن الذي يبقى خافيا على الناس وعلى صاحبه هو أشد خطراً على المجتمع من الجنون الظاهر الذي يفصح عن نفسه كما أنه الصخرة التي تتحطم عندها حجج الداعين الى العقيم

والمعروف الآن أن الذكاء صفة موروثة .وبذلك تكاد تنحصر الخطوة الأولى لمكافحة النقص العقلي في اكتشاف طريقة لمعرفة أصحاب هذا النقص . ولما كانت هناك أدوار متوسطة كثيرة للذكاء تجمع بين العقل والسذاجة دون أن يكون هناك حد فاصل دقيق بينهما فقد نخال أنه من المستحيل أن نصل الى معرفة الناقصين . ولكن هــذا التقدير غير صحيح . فقد لا يصح قيد الشخص كمجنون ولكنه يبقى مع ذلك منحط الذكاء ومنحدرا من أسرة دون المتوسط بكثير .وقد ذكر بعض الباحثين أن ٣٠ من مائة على الأقل من أبناء الأطفال المصابين بنقص عقلي من ذوى الذكاء المنحط .كما ذكر آخرون أن عدداً كبيرا من المصابين بالجنون الابتدائي انما ينتسبون الى اسرات محدودة تضم عدداً كبيراً من المجانين والمصابين بالصرع والمتسولين والمجرمين (وخصوصاً معتادى الاجرام) والعاطلين والخاملين والعاهرات والسكارى وغير ذلك من الوان النقص الخلقي والاجتماعي مما لا يوجـد في اسرات أخرى لا تعرف النقص العقلي .

والبيئة تساعد الوراثة : فكل هذه الاعتبارات تدل على أن أخصب تربة لنمو النقص العقلي هي التي تجمع بين البيئة الفاسدة والوراثة المنحطة . وقد كان الناس قديما يعزون النقص العقلي الى أحد هذين العاملين فقط ولكننا نعرف الآن أنهما يرتبطان ارتباطا وثيقا . وليس القول بأن الذكاء صفة موروثة يقتضى أن نهمل أثر البيئة إهمالا تاما . فان العوامل الخارجية — المنزل الذي ينشأ فيه الطفل والمدرسة التي ينتسب اليها — لها أثر عميق في تكييف عقليته وفي تقرير كيفية الانتفاع من مواهبه . وقد أيدت الاحصائيات هذه الحقيقة اذ أثبتت أن ٩ من مائة من المرضى يعود سبب مرضهم الى عامل البيئة فقط و٢٩ من مائة منهم الى عامل الوراثة فقط والباقين وهم ٦٢ من مائة الى اتحاد هذين العاملين .

وتناسل المنحطين هو أخطر نواحي هذا الموضوع الاجتماعي الهام . فبينما نرى أن المصابين بنقص عقلي واضح يحفظون في مصحات خاصة أو يبقون تحت رقابة أهاليهم وأوليائهم ويمنعون من الزواج والانسال اذ نرى أن الغالبية العظمى من المرضى لا تكون حالتهم من الجلاء والوضوح بحيث تستدعى الملاحظة كما أنهم أيضا لا يكونون من وفرة الذكاء وبعد النظر وضبط النفس بحيث يهتمون بتحديد انسالهم. وينتج من هذا أن يكون انسال هذا الفريق المنحط من الناس أعلى من متوسط انسال الفريق العادى

ولعلنا اذ نذكر هذا المثل نقرب الموضوع إلى اذهان القراء وقد أخذناه اعتباطا من المجموعة الطريفة التي عنى ليد بتر بوضعها :

« تبدأ القصة بزوجين مصابين بنقص عقلي شديد كانا يعتمـدان في حياتهما على الاحسان العام . رزقا خمسة عشر طفلا . ولد ثلاثة منهم أمواتا . ومات خمسة في مستهل طفولتهم واثنان قبـل تمام الرابعة واثنان قبل العشرين . وأما الثلاثة الذين امتدت لهم الحياة فقد أصيب اثنان منهم بنقص عقلي واضح وكان

احدهما فضلا عن هذا مصابا بالصرع وقد مات فى أثناء عمله بأحد المصانع وهو فى الثلاثين من عمره. وأما الثانية فقد كانت أنثى (ف) تزوجت رجلا ضعيف العقل (م) . وقبل أن نستقصى أثر النسل الذي أنتجه هذا الزواج نلق نظرة سريعة على تاريخ أسرة الزوج

« فقد سجن جده لارتكابه جريمة صغيرة ومات فى السجن وكانت جدته ذات ايراد هزيل اعانها على الحياة بضع سنوات . وقد رزقا أربعة عشر طفلا مات منهم ثمانية فى الطفولة المبكرة وانتسب ثلاثة منهم الى مدارس منحطة . وكانت احدى هؤلاء الثلاثة فتاة ضعيفة العقل اتصلت برجل أتى إلى لندن من الاقاليم ثم تزوجته . ولست أعلم شيئا عن حالته العقلية ولكن سوء اختياره لزوجته يدل على أن حظه من الذكاء كان ضئيلا . وقد رزقا عشرة أبناء . خمسة منهم قبل الزواج ولم تكن هذه الاسرة لتقيم فى مكان واحد طويلا بل كانت تنتقل من مكان الى آخر . وقد ولد خمسة من هؤلاء الأبناء فى الملاجىء وكانت ولادة آخرهم بعد تسع سنوات من وفاة الزوج . وقد عاش منهم ستة أبناء تربوا جميعا فى المدارس الالزامية وكان (م) أحدهم .

« أليس من الاجرام أن يسمح بزواج يتم بين (م) و (ف) وكلاهما مثقل بلوثات وراثية خطيرة ؟ ومع ذلك فقد تم هذا الزواج وولد الابن الأول بعد شهر واحد من عقده . وكانت ولادته كأبيه بأحد الملاجىء ! وقد قضى الأب حياته كلها فى الملاجىء العامة الا فترتين : الأولى فترة خمس سنوات قضاها عند أحد الاطباء والثانية فترة أربع سنوات ونصف قضاها فى الخدمة الالزامية بالجيش . وعلى الرغم من أنه لم يترك وزوجته الملاجىء العامة إلا لفترات قصيرة الا أنهما اعقبا ستة أبناء عاش اثنان منهم فقط . وأخيراً انقطعت العلاقة بين الزوجين واختفت المرأة ثم عاشت حينا من الزمن حياة فاجرة فى الحى الشرقى بلندن » اهـ .

هذا مثل واحد من آلاف غيره . وليس فيه أى دليل على وجود مرض عضوى بل لقد اتحدت فيه عقلية ضعيفة مع انسال خصب وبيئة منحطة . وهذا هو أساس الشر والى هذا الأساس يجب أن تتجه جهود المكافحة . أن هذا الفريق من الناس يجب أن يمنع عن الانسال فليس يرجى من مثل هؤلاء الا نسلا ضعيف العقل مبتور الذكاء يعيش طول حياته عالة على المجتمع والناس .

وراثة النقص العقلى

كان أثر الوراثة كسبب من أسباب النقص العقلى ميدانا خصباً للبحث . وقد اتجه العلماء فى السنوات الأخيرة الى بحث الموضوع من ناحيتين (الأولى) كيف ينتقل النقص العقلى ؟ و (الثانية) الى أى مدى يعتبر النقص العقلى وراثيا ؟ والسؤال الاول بحث بيولوجى لا يتصل بالناحية الاجتماعية اتصالا مباشراً . أما السؤال الثانى فله دلالات اجتماعية هامة .

(١) كيف ينتقل النقص العقلى ؟ هناك نظريتان لتعليل انتقال النقص العقلى : —

الأولى : نظرية « مندل » التى تقضى بأن الصفات الوراثية تنتقل بالمادة الكروماتينية لخلايا التناسلية . ومنذ أدلى مندل بنظريته هذه حاول العلماء أن يفسروا بها كل أنواع النقص البشرى ولكنهم وجدوا أنها لا تنطبق إلا على بعض الحالات دون غيرها

الثانيـة : نظرية « فوريل » « فساد النطفة » وتتلخص هذه النظرية فى أن النطفة قد تتعرض لمؤثرات سامة لا تبطل حياتها ولكنها تفسد مادتها بحيث قد ينتج عنها ظهور مختلف أنواع الفساد فى النسل . وقد

قام بعض العلماء بأبحاث تؤيد صحة هذه النظرية وقام آخرون بأبحاث تناقضها . ومهما يكن من أمر فان أنصار هذه النظرية يزعمون أن سموم الخمر والسفلس والتدرن هى أهم العوامل التى تسبب فساد النطفة . ويضيفون اليها أيضاً بعض المواد الكيميائية المستعملة لمنع الحمل

والراجح أن هاتين النظريتين لا تتناقضان. ونحن نعلم الآن على سبيل التحقيق عاملين يفسدان الخلايا التناسلية فساداً ينتقل إلى الأجيال المقبلة وهما أشعة رونتجن ومعدن الراديوم . كما أننا نعتقد أن حالة الصحة أو المرض لعضو مهم كالمخ لا يمكن أنه نتيجة عامل واحد فقط بل لا بد أن تكون هناك عوامل متعددة كثيرة تتضافر على احداث الحالة المرضية . وعلى اختلاف هذه العوامل يتوقف نوع النقص الذى يظهر .

(٢) إلى أي مدى يعد النقص العقلي وراثياً ؟

لهذا السؤال دلالة اجتماعية هامة بالنسبة لكل من يعمل فى مكافحة النقص العقلى والاجابة عليه تهدى الطريق هذه المكافحة . فاذا كان النقص العقلى راجعاً الى عوامل وراثية فان مكافحته تكون بالنزوع إلى التعقيم واذ كان راجعاً الى البيئة فيجب أن نلتمس طرقاً أخرى لمكافحته . وقد اختلف الاخصائيون فى الأمراض العقلية فى مدى تأثير العامل الوراثى على النقص العقلى فقرر بعضهم أن ٨٠ فى المائة منه يرجع إلى العامل الوراثى وقال آخرون بأن العامل الوراثى لا يزيد على ١٠ فى المائة والسبب فى هذا الخلاف الواسع فى التقدير أن بحث عامل الوراثة يعنى البحث فى تاريخ اسلاف كل حالة . وكلمة الاسلاف هنا تحتوي قدراً لا حد له من التأويل والتفسير . هل تقتصر على الاسلاف المباشرين الذين يتمثلون فى الأبوين أو الاربعة الجدود او الثمانية الجدود التوالى أم تشمل أيضاً الأقارب الآخرين كالأعمام والأخوال والعمات والخالات . أم تمتد أيضاً حتى تشمل الاخوة والأخوات وأبناء العمومة ؟ ليس هناك أحد من الناس سواء أكان صحيحاً أم مصاباً بأى نقص عقلى يخلو تاريخ أسلافه من « إضطراب عصبي أو أى نوع آخر من أنواع النقص » كما أن نظرية فساد النطفة أى فساد الخلايا التناسلية قبل التلقيح لا تساعد فى الوصول الى حل لهذه المشكلة لأننا باستثناء أشعة رونتجن — لا نعلم على سبيل التحقيق مادة تستطيع أن تؤذي الخلايا التناسلية بحيث يؤثر ذلك على النسل تأثيراً ضاراً

كما أن لهذا الاختلاف فى تقدير نسبة العامل الوراثى أسباباً أخرى غير التباين فى فهم معنى كلمة « الاسلاف » . وأهم هذه الأسباب اختلاف المقياس الذى يتوسل به مختلف الباحثين وكذلك اختلاف طرائق البحث التى يتبعونها

فاما عن اختلاف المقياس فان بعض الباحثين لا يعلقون أهمية كبيرة على عامل الوراثة مالم تكن منتقلة من قريب كالجنون النفاسى فى الأم أو الغباء الشديد فى الأب . فى حين أن البعض الآخر يكتفى بوجود تاريخ ادمان الخمر فى أحد الجدود يعد ذلك عاملا وراثياً هاماً

وأما عن اختلاف طرائق البحث فان بعض الباحثين لا يزيدون على الاستفسار عن « وجود حالات اضطراب عصبي أو انتحار أو جنون أو نوبات أو ادمان للخمر فى الاسرة ؟ » ويعدون تاريخ الاسرة « سلبيا اذا كانت الأجابة سلبا . وقد يكون المجيب كاذبا أو مهملا فى إجابته أو جاهلا لتاريخ أقاربه وأن يتكلف كثيرا من الجهد والعناء فى اقتفاء أثر بعض الافراد الذين قد يجهلهم المريض ذاته أو أقاربه

وقد أدلى بتروز بنظرية جديدة عن آثار الوراثة والبيئة فى النقص العقلى . وهو يعتقد أن هذين العاملين يتحدان فى أغلب الأحيان التى تحتاج الى الابلاغ عن المريض لتقيده . وهو يذكر أيضا أن قصور الكفاية الذهنية التى تصل الى البله لاتحتاج فى ذاتها الى الابلاغ والقيد ما دام المريض بعيداً عن المشاغبة . فالتأخر الذهنى قد يكون موروثا أما المشاغبة فقد تنشأ عن القدوة السيئة أو التربية المنحطة . ولذلك فان بتروز يلمس اتحاد هذين العاملين فى ٦٢ من مائة من الحالات التى تحتاج الى القيد .

الابحاث فى كليفورنيا

يوجد قانون التعقيم الآن فى ست وعشرين ولاية من ولايات أمريكا . وقد أجريت حتى أول يناير سنة ١٩٣٣ حوالى ١٦٠٦٦ عملية من عمليات التعقيم منها ٨٥ر٤ أو ٥٣ من مائة فى ولاية كليفورنيا وحدها هذا عدا ٥٧٨ عملية أخرى فى أثناء سنة ١٩٣٣ . وهذه لاتشمل العمليات التى يقوم بها الأطباء الخصوصيين بناء على طلب المرضى .

وقد بدىء بقانون التعقيم سنة ١٩٠٩ وكان يقضى « بالتعقيم الاختيارى أو الاجبارى لكل شخص يثبت أنه مصاب بمرض عقلى موروث ويحتمل أن ينتقل الى نسله وكذا كل أنواع الضعف العقلى والشذوذ والأنحراف عن العقلية الطبيعية الناتجة عن الاصابة بالسفلس وغيره » . وقد كان أولو الامر يحاولون دائما الحصول على موافقة أقارب المريض قبل اجراء العملية له وغالباً ما كانوا يوفقون فى ذلك . كما أن التعقيم يؤدي فى السجن لكل مجرم يرى الطبيب أن هذه العملية لازمة لمصلحته الجسدية أو العقلية أو الخلقية . وكذلك للمصابين بالشذوذ أو الفساد فى عواطفهم التناسلية . وفضلا عن هذا فان قانون العقوبات فى كليفورنيا يقضى بالتعقيم « كعقوبة إضافية » لكل شخص يثبت عليه اغتصاب فتاة دون العاشرة من عمرها

وقد زادت حالات التعقيم الاختياري زيادة مطردة وكان الغرض من قانون التعقيم فى كليفورنيا كما فى غيرها منع انسال الفريق الفاسد أو المجنون من الناس . وقد أجريت معظم عمليات التعقيم بعد صدور هذا القانون على المجانين المقيمين بمستشفيات الامراض العقلية . بل لقد صار من التقاليد المتبعة فى إحدى هذه المستشفيات الا يسمح للمريض بمغادرة المستشفى قبل أن يعقم حتى ولو كان راجعا اليه بعد حين قصير غير أن هناك من يعارضون هذا العمل بحجة أنه لا مبرر لتعقيم المصابين بضعف عقلى خطير يعدمهم من الحياة الاجتماعية ويلزمهم الاعتكاف واعتزال الناس .

ويقول معارضو التعقيم أن هذه العملية تزيد من فوضى العلاقات التناسلية وأنها بذلك تساعد على انتشار الأمراض الزهرية . بل أنهم يقولون أن التعقيم قد يسبب أحيانا ضعف المريض جسديا وأن كنا لا نعلم دليلا واحداً يؤيد هذا الزعم .

والعملية الذائعة هى قطع الحبل المنوي فى الذكور وقناة فلوب فى الاناث . وقد أجريت هذه العملية لتسع وثمانين امرأة مصابات بضعف عقلى وسئلن فاجابت ٧٠ منهن أنها لم تؤثر فى الرغبة أو العاطفة الجنسية . وأجابت ١٢ منهن بهبوطها وأجابت ٧ منهن بزيادتها . وكانت اللواتى قلن بهبوطها أكثر ذكاءً من غيرهن . غير أن هذه الأجابات لاقيمة لها ما لم تكن المريضات قد أعطين الفرصة الكافية لتقدير عواطفهن الجنسية بعد العملية كما لا ننسى أيضا أن بعض العوامل الأخرى عليهن فقد تتعمد بعضهن الظهور

بمظهر الهدوء التناسلي ليخدعن المسئولين عن حقيقة عواطفهن توسلا منهن الى الخروج من المستشفى

وأجريت هذه العملية لتسعة وثلاثين رجلا من المجانين فلم تتغير الحياة التناسلية عند ٢٢منهم وزادت عند٩وهبطت عند ٥من مايةولم يلاحظ أى واحدمنهم ألما فى الصفن بعد العملية

وسئل خمسة وستون رجلا ممن أجريت لهم هذه العملية باختيارهم فقرر تسعة منهم أن عاطفتهم الجنسية زادت على ما كانت قبلا وفى خمسة واربعون أنها لم تتغير وقرر اثنان أنها هبطت

أما عن تأثيرها فى الأمراض الزهرية فقد لوحظ أنها هبطت بعدها لأنها تعمل على الأقلال من فوضى العلاقات التناسلية لا على زيادتها كما كان الزعم قبلا

ويعد الزواج بعد التعقيم فوزاً كبيراً . فقد اظهرت الاحصائيات أن أكثر من ثلثى حالاته كان زواجا ناجحاً وهى نسبة تطابق متوسط نجاح الزواج العادل

هذا فضلا عن أن التعقيم يتيح للمصابين بنقص عقلى التمتع بحياة زوجية هادئة . وهذا امتياز كبير وخصوصاً للنساء إذ لوحظ أن العاطفة الجنسية عند أغلبهن تميل بهن الى الزواج بعكس الرجال فان عاطفتهم الجنسية تنمو نحو البرود

ونسبة الزواج بين المجانين أقل بكثير من نسبتها بين بقية السكان من جميع الأعمار ويتزوج المرضى من الذكور فى كل سن أما المرضى من الأناث فيندر أن يتزوجن بعد سن الثلاثين. أما درجة أخصاب المصابين بالضعف العقلى فأكثر ارتفاعاً عن المستوى العادي للاصحاء .وهذا دليل جديد على أن التعقيم أتاح الحرية لفئة من الناس كان عزلهم ضروريا بدونه

والخلاصة أن معظم المرضى وأقرباءهم يظهرون الرضى لنتائج هذه العملية (من١٧٣ مريضاً ١٣٢ كانوا راضين و ١٩ غير راضين و ٢٢ لم يظهروا اهتماما) .

ومهما يكن من أمر فان لهذه العملية ناحيتين : ناحية اجتماعية وناحية فردية. فالناحية الاجتماعية أنها منعت انسال عدد من المصابين بالضعف العقلى أو اضطرابات عصبية نفسية وهذا كسب كبير للمجتمع . وللناحية الفردية أنها أتاحت الحرية والزواج وحياة الاسرة لفئة من الناس لم يكونوا لينعموا بذلك دونها

العزل والتعقيم

يختلف تقدير العالم البيولوجى والعالم الاداري عند النظر فى مكافحة النقائص الجسدية والعقلية الموروثة. فالعالم البيولوجى يرى التعقيم وسيلة سهلة فى أدائها منطقية فى نتائجها وإنسانية فى الانتفاع منها وتنتهى إلى نتائج تشبه تلك التى ترمى اليها الطبيعة من الانتخاب الطبيعى . وهو يرى هذه الوسيلة ممكنة التنفيذ فى كل الذين تقتضى حالتهم العقلية الوراثية بالتعقيم

أما العالم الاداري فيختلف نظره إلى المشكلة وتقديره لها . لأنه لا يعنى بالاعتبارات البيولوجية قدر عنايته بالاعتبارات الاجتماعية وهو يعد نفسه مسئولا عن العناية بالافراد المصابين بنقص عقلى ويدرك أن هذا النظام الذى تتكفل به الدولة ملىء بالنقص كثير الثغرات. بل هو يعتقد أن عملية التعقيم لا تؤثر مطلقاً فى استعداد المريض وميوله وأنها تتركه على الدوام ناقصاً كما كان شغوفا بالشر والمشاغبة فهل يمكن التوفيق بين هذين الرأيين؟

تتحدث الأرقام فتقول بأن العزل الكامل يكاد يكون مستحيلا.فان مستشفيات وملاجىء الأمراض العقلية بانجلترا لاتحتوى على أكثر من ٢٥٠٠٠مريض (كما جاء بالتقارير الرسمية سنة ١٩٣٢) فى حين أن المصابين بالنقص العقلى فيها يبلغون ٣٠٠٫٠٠٠مريض

على أنه يمكن الانتفاع بالمستشفيات الموجودة في في الوقت الحالي إلى أقصى حد ممكن فلا يسمح للمرضى بالاقامة بها على الدوام بل تكون مهمة المستشفى تدريب مرضاه على الحياة الخارجية تحت رقابة المجتمع وملاحظته. ولو نفذ هذا الاقتراح لكان التعقيم أكثر لزوما لهؤلاء المرضى الذين يسمح لهم بالحياة الطليقة تحت رقابة المجتمع وهؤلاء لا يقلون عن ٢٠٠٠٠٠ مريض

ولهذا السبب اقترح بعض الثقات عمل تسهيلات قانونية للتعقيم الاختياري مع إحاطته بالضمانات الكافية وبدعي أن تقتصر هذه التسهيلات على المصابين بنقص عقلي وتسمح لهم حالتهم بالحياة الاجتماعية الطليقة.

وليس هناك أى تناقض بين العزل والتعقيم وكل اجراء منهما يعد ناقصا اذا أهمل الثاني. لأن العزل وحده لا يمكن أن يكون وسيلة عملية ناجحة من الوسائل اليوجنية وهو يقتضي نفقات طائلة لا مبرر لها ولا يوافق عليها الجمهور المستنير، وكذلك لن يحقق التعقيم الغرض المقصود منه الا اذا كان العزل أحكم ممارسة وأوسع مدى منه الآن.

وقد اقترح بعض الثقات — كضمان ضد سوء الاستعمال — ان كل طلب للتعقيم يجب أن يؤيده طبيبان ويستحسن أن يكون أحدهما طبيب اسرة المريض. ويجب أن يوقع المريض إقراراً بقبوله التعقيم اذا كانت حالته تسمح بذلك كما يجب أن يذكر أحد الطبيبين أنه شرح نتائج العملية للمريض وأنه — أى الطبيب — يعتقد أن المريض يدرك ذلك تماما. وإذا لم يكن المريض أهلا للقبول أو الموافقة فيجب على الطبيب أن يحصل على موافقة صريحة من أبيه أو وليه.

ولا يستحسن ان يكون خروج المريض من المستشفى متوقفا على أرائه لعملية التعقيم لان هذا لايعدو أن يكون نوعا في « الأرغام المقنع ». وفضلا عن ذلك فانه يمكن الوالد أو ولى الأمر — برفضه عملية التعقيم — ابقاء المريض في المستشفى على الدوام

وقد اعترض بعض الناس على ذلك بالقول « ما الفائدة أذن من جعل التعقيم اختياريا اذا كان الغرض منه أن يكون وسيلة يوجنية نافعة ؟ »

وجوابا على هذا الأعتراض نقول أن تشخيص الأمراض العقلية ليس أمراً سهلا ولا ميسورا كتشخيص معظم الأمراض الأخرى. وقد أصبح الأطباء أكثر حذرا في تشخيص بعض الامراض التي يعرفون أن التشريع ينظر اليها بعين الريبة والشك كما أصبح المرضى أكثر خوفا من دخول المستشفيات العامة خشية تعقيمهم قبل السماح لهم بالخروج وأصبحوا أوسع حيلة في إخفاء بعض الامراض التي يعرفون أهميتها في تشخيص أمراضهم. وأهم من كل ذلك في حياة المجتمع أننا لو فرضنا التعقيم كوسيلة اجبارية لانتهى به الأمر بأن يصبح وصمة ولانتهى الامر بكثير من الناس الى التردد عن التقدم مختارين لاجراء هذه العملية

هذا والمعروف أن البلاد التي تبيح الاختيار والارغام تجتنب الأرغام عادة ولا تلجأ اليه إلا اذا كان الرأى العام يؤيدها. ويجب الا ننسى أن البلاد التي يسود الرأى العام فيها فكرة معارضة التعقيم لن تجد أحداً يرضى به حتى ولو كان اجباريا وأن البلاد تجد لزوما لسن قانون الأرغام. وبذلك نقول أنه على الرغم من وجود بضع حالات يجب أن يكون التعقيم فيها اجباريا فان مضار الارغام تفوق فوائده وتطغى عليها.

عملية التعقيم

تؤدي عملية التعقيم بقطع الحبل المنوي في الذكور وقناة فلوب في الأناث. وهى سهلة الاداء قليلة الخطر.

وكثيرا ما يجد الطبيب نفسه في حيرة مما اذا كانت مصلحة المجتمع مبررا أدبيا كافيا لأداء هذه العملية ومنع فريق من الناس من الأنسال . ولندع التعقيم الأجباري جانبا ونتحدث عن التعقيم الأختياري . أيمكن أن تكون موافقة شخص مصاب بالنقص العقلي مبررا كافيا لأزالة شكوك الطبيب ؟ والجواب على ذلك نعم . فان النظرة الأنسانية للطب يجب أن تتعدى مصلحة الفرد لتحلق فوق مصلحة الجماعة .

وقد تساءل البعض عما إذا كان قطع الحبل المنوي قبل سن المراهقة يؤثر على النضوج الجسدي أم لا فاثبتت التجارب التي أجراها بعض الباحثين أنه لايؤثر على النمو الجسدي ولايعوق القدرة على اداء الفعل التناسلي . ومع ذلك فلا ضرر من إرجاء هذه العملية حتى المراهقة .

وهناك فريق آخر من الناس — غير المصابين بالضعف العقلي — تؤدي لهم عملية التعقيم وهؤلاء ينحصرون فيما يأتي :—

١— الوقاية من التهاب البربخ

٢— منع بعض أخطاء الحمل والوضع في بعض الظروف الخاصة .

٣ — الأصابة بفقد البصر . ولعل هذا الفريق هو أكثر الناس طلبا للتعقيم لانهم يرون من الخير الايتناسلوا . وليس يسع المرء حين يرى مصير طفل مولود من أبوين مكفوفين ويتأمل ماهو مقدر له من الأنفصال عنهما بمجرد خروجه الى الدنيا وحين يعلم أنه قد يرث هذه العاهة منهما « في بعض الأحيان على الأقل » . . . أقول لايسعه إلا أن يرى في التعقيم عملا معقولا وانسانيا من جميع الوجوه .

والتعقيم كما قلنا يؤدى بقطع الحبل المنوي أو قناة فلوب . أما استئصال الخصيتين أو المبيضين فأمور ضررها من الوضوح بحيث لايصح مطلقا التفكير فيها وقد يؤدي التعقيم في المرأة بوساطة أشعة أكس حين يقرر الطبيب الاخصائي أن تعريض المرأة لعملية جراحية قد يزيد حالتها العقلية سوءا . غير أن هناك اعتراضا واحدا يقوم ضد استعمال أشعة أكس وهو أن التعقيم بهذه الطريقة يقتضي تعريض المرأة لمقدار كبير قد يؤذي المبيض ويؤدي الى حالة يأس يصطنع

ومن البديهي أن المريض لكي يقدم على التعقيم الاختياري يجب أن يثق أنه عمل خال من كل ضرر وأذى لامن حيث أدائه فقط بل من حيث نتائجه أيضا والعملية في ذاتها خالية من الخطر تماما في الرجال وقد اختلفت الآراء عما اذا كان قطع الحبل المنوي من الجهتين يمنع الحمل منعا نهائيا أم لا . . فان بعض الجراحين في أمريكا يقررون أنه من المستطاع بعملية أخرى أرجاع الحبل المنوي الى حالته الأولى واعادة القدرة على الأخصاب

أما في المرأة فالأمر يختلف عن هذا كثيراً ... لأن الخطر على حياة المرأة موجود وان كان ضئيلا ثم أن نتيجة العملية غير مؤكدة . ولعل جراحي امراض النساء يعلمون أكثر من غيرهم أن قنوات فلوب تمتاز بقدرتها على الالتئام السريع وقد أجريت طرائق متعددة لاجتناب هذا النقص مثل قطع قناة فلوب أو سحقها أوربطها بمختلف الطرق ولكن نتائجها جميعا غير مؤكدة

الاعتبارات السياسية

يجب أن يشمل التعقيم اليوجني الاختياري الفئات الآتية من الناس : —

١ — كل شخص مصاب أو كان مصابا بنقص أو مرض عقلي

٢ — كل شخص به أو حامل لعلة جسدية خطيرة تنتقل الى خلفه عن طريق الوراثة

٣ — كل شخص يخشى أن ينقل نقصا أو مرضا عقليا الى خلفه

وكـكل مشروع جديد يترجح التعقيم بين رأيين متعارضـين :

رأى الرجعيين الذين يعارضونه استناداً الى حجج دينية والذين يقولون أن هذه العملية خروج صارخ على الاداب الدينية بحيث لا يجوز التفكير في تنفيذها بقوة التشريع، ورأى المجددين الذين يرون فى التعقيم طريقاً لاشك فيه لرقى الاجتماعى ووسيلة تكفل الاقلال من البؤس البشرى

ولا شك فى أن الرأى العـام قد أصبح أكثر استنارة فى هذا الموضوع وهو يسير نحو الرضى به والموافقة عليه بخطوات واسـعة . ومع أن التعقيم وتنظيم الحمل أمران يختلفان كل الاختـلاف إلا أن تعميم وسائل تنظيم الحمل بين الجمهور قد عبدت الطريق لفكرة التعقيم وخلقت رأيا عاما ينظر إلى هذه الفكرة بعين الاحترام بعد أن كان لا يحتمل مجرد التفكير فيها منذ بضع سنوات . ومما ساعد على وجود هذه الحالة الجديدة تطور الرأى العام فى نظره الى المسائل الجنسية واعتباره إياها أموراً طبيعيـة ومناقشته لها مناقشة معقولة صحيحة

وإلى حين غير بعيد كان الذين سمعوا شيئا عن التعقيم يغير استئصال الغدد التناسلية أقلية ضئيلة من الناس وكان الذين يظهرون شيئا من الميل الى مناقشة هـذه الأمور بشيء من الاعتبار والجد عدداً نادرا حتى بين الأطباء . فلا غرابة إذا نظر المتتبعون لهذه الحركة الى نتيجة جهودهم بازدهـو والفخار ولا غرابة إذا عدوها معجزة من المعجزات

أما المعارضة الدينية للتعقيم فان الكنيسة الكاثوليكية هى التى تحمل علمها فى البلاد المسيحية الآن ولـكننا نرى لحسن الحظ أن هـذه المعارضة يقل أثرها يوماً بعد يوم

أن على جميع الرجال المسئولين وعلى جميع الذين يضعون مصلحة المجتمع والانسانية نصب أعينهم أن يفهموا الجمهور حقيقة هذه المسائل الحيوية الخطيرة وأن يرفعوا عنه كل غشاوة لشكه فيها . وقد قام رجال الطب والتعليم بواجبهم فى هذا السبيل خير قيام. وعليهم أن يتابعوا جهودهم حتى تنضج فكرة التعقيم فى الرأى العام قبل أن تتخذ صفة التشريع أو قوة القانون . فان القانون والسياسة فى هذا الأمر يجب أن يتبعا الرأي العـام لا أن يقوداه . وقد يحدث من الطوارىء ما يعوق أو يعجل السير فى تشريع التعقيم ولـكننا نستطيع أن نؤكد من الآن أنه صار أمراً لا بد منه



أخبار اقتصادية

تكاليف الحرب

أتمت الحكومة البريطانية بناء هذه السفن الحربية التالية ، وأمام كل منها تكاليفها بالجنيه الانجليزى

البارجة رودنى ٣١٩ر ١٤٨ ر٦

الطرادة هود ٩٤٦ ر ٦٩٨ ر٥

الطرادة نبتيون ٩٩٧ ر٤٦٢ ر١

الطرادة كنت ٢٠٨ ر٠٨٤ ر ٢

المدمرة اكايس ٠٠٧ ر٢٩٠

المدمرة امازون ٨٢٥ ر٣٢٠

الغواصة شارك ٦٦٦ر ٢٥١

الغواصة أودين ٨٩٦ ر ٤٤١

النقابة واتحاد النقابات

ليس لأحد أن يلوم العمال على تأليف النقابات . فان النقابة ، فى ضوء الأعمال التى تقوم بها ، الجمعية خيرية لا أقل ولا أكثر . لأن غايتها الأولى مساعدة العاطل والمتقاعد بل هى أحيانا تؤدى نفقات الجنازة عنه مساعدة لأسرته . وهذه أعمال لا ينكر أحد أنها من البر والخير اللذين يستحقان التشجيع . وصحيح أن لها يداً فى المطالبة بزيادة الأجور ونقص ساعات العمل . ولكن هذه الأشياء كلها ممكن النقابة التى يشرف على ادارتها عمال أذكياء مدربون أن يسيروا بها فى رفق ويتفادوا الأضراب التى لا يقتصر أذاه على رب العمل بل يتجاوزه إلى العمل نفسه بل إلى الأمة أيضا لأنه ينقص الانتاج

لهذا السبب ننصح لعمالنا الا يفكروا فى اتحاد النقابات وأن يجتهدوا فى تنظيم نقاباتهم كل طائفة على حدتها وأن يجعلوا وجهتهم اقتصادية تعاونية مع الابتعاد عن الأغراض السياسية التى لم يأن الوقت لها

ونحن نخلص القول للعمال حين نقول أن « الاتحادات » التى انشئت فى أوربا لم تخدم العمال أية خدمة . وهى هنا فى مصر تبعث الحكومة على التوجس والاشتباه فى حركات العمال . وفى بريطانيا أكثر من ألف نقابة لا ينضم « اتحاد النقابات » فيها غير عدد صغير هو حوالى العشر فقط . والتسعة أعشار الباقية غير منضمة اليه

الزراعة والصناعة فى انجلترا

الصناعات الانجليزية فى تقدم ورقى تحسد عليها انجلترا ، ولكن الحكومة الانجليزية مع ذلك تساعدها مساعدات كبيرة كما تساعد الزراعة . وتقدر المبالغ التى ستؤدى هذا العام من الخزانة البريطانية للصناعة والزراعة بنحو ٢٥ مليون جنيه هذا تفصيلها :

٠٠٠ر٦٥٠ر٤ لانتاج الالبان

٠٠٠ ر ٥٠٠ ر٣ لزراعة البنجر

٠٠٠ ر٠٠٠ ر ٣ لتربية العجول

٠٠٠ ر ٥١٠ ر٤ لزراعة القمح

. . . ر . . ٥ر٩ لبناء البواخر

. . . ر . . . ر٢ لبواخر الشحن

الزراعة فى دنمركا

دنمركا قطر صغير لا يزيد سكانه على ٦٥٨ر٥٥٠ر٣ أى انه لا يزيد على سكان مديريتى الغربية والمنوفية . ومع ذلك فان هذا القطر يبيع من الحاصلات الزراعية أكثر مما تبيع مصر كلها . ولكن حاصلاتهم الزراعية تختلف عن حاصلاتنا ونحن ازاءهم بمثابة من يبيع المواد الخامة فى حين هم يبيعون المواد المجهزة المشغولة

نحن نزرع القطن والحبوب ونبيعهما قطنا وحبوبا

كما أنبتتها الأرض ولكنهم هم يزرعون أيضا ولكن ماذا يبيعون؟

اليك إحصاء عما أصدرته دنمركا الى انجلترا وحدها فى العام الماضى

زبدة . . . ٣٩٠ر٦٣٩ر١٥ جنيه

بيض . . . ٠٦٠ر٤٠٦ر٤ جنيه

لحم . . . ٣٠٣ر٣٠٣ر٢٢ جنيه

ومجموع ذلك أكثر من ٤٢ مليون جنيه. وهذا لانجلترا وحدها غير ما تصدره للامم الأخرى. فهى تزرع الحبوب كما تزرع أعشاب المراعى ولكنها تربى العجول والخنازير والدجاج. فالمزارع هناك يبيع اللحم والزبدة والجبن والبيض بل هو يبيع اللحم أحيانا مكبوسا مملحا مجففا ويربح الملايين من هذه الحاصلات التى لم يفكر واحد من مزارعينا فى أنها تستحق التفاته إذ هو يتركها للفلاحين الذين يعجزهم فقرهم عن تزويد السوق الداخلية أو الاسواق الخارجية بحاجتها

ومجموع الارض المنزرعة فى دنمركا . . . ٧٨١٢٠ فدان معظمها بطائح ومناقع أصلحت فعادت كأجود الأرض ويدل آخر إحصاء على أن فى دنمركا . . . ١٣٤ر٣ر٣ من الماشية و . . . ٧٠ . ٤٠ر٤ من الخنازير. والحكومة الدنمركية تساعد الزراعة مساعدات كبيرة وتعتبر العامل النشيط فى ضروب المساعدة مثلا أنه لا يجوز للمالك أن يخرج المستأجر من أرضه مادام هذا يؤدى أجرة الأرض. ومنها أيضا أنها أنشأت مدارس تعلم فيها الفلاحين علوما عالية. وهى تؤويهم فى هذه المدارس بضعة أشهر فى السنة يحصلون فيها على ثقافة عالية ومعارف جديدة عن الزراعة وما يتصل بها من الصناعات

وقد يزداد القارىء نورا عن دنمركا إذا عرف شيئا آخر عن حكومتها. فان هذه الحكومة أبعد ما تكون عن حكومات الشرق التى تحب الأبهة وقل أن تفكر فى الأصلاحات الاجتماعية. فقد بلغت ايرادات الحكومة الدنمركية فى العام الماضى ٦٩٠ر٦٩٦ر٣٥٥ كرون كان أكبر مبلغ أنفق منها هو ما أنفقته وزارة المسائل الاجتماعية

وهذا شىء تخبط رؤسنا فى الكلام عنه فلا أحد يسمع. ثم يلى هذه الوزارة وزارة التعليم هكذا:

وزارة المسائل الاجتماعية . ١١ مليون كرون

وزارة التعليم ٦٥ مليون كرون

الوطنية الاقتصادية فى سوريا

فى البريد السورى الاخير أن وزارة المعارف أذاعت تنفيذاً لامر رئيس الوزراء بشأن تعضيد المصنوعات الوطنية - منشوراً على مديرى المدارس ومفتشى المعارف قالت فيه:

« حبا بتنشيط المصنوعات الوطنية وتشغيل الايدى العاملة السورية وتعويد الطلاب معاضدة المشاريع الوطنية وتوحيد نسق اللباس فى المدارس الرسمية فى الجمهورية. فقد رأينا أن يرتدى جميع تلاميذ المدارس ملابس أصنع قماشها من الجوخ الكحلى الممتاز شركة معمل الجوخ السورى فى دمشق التى اتفق معها على التقديم بعض الضبارة من الجوخ على أن يحسب سعر الياردة باثنين وثلاثين قرشا ذهبا والليرة العثمانية مائة قرش فالرجوا اذاعة ذلك بين طلاب مدرستكم وترغيبهم بصورة ملزمة فى الاكتساء بهذه الملابس الوطنية التى أبلغنا الشركة المذكورة أن تباشر صنع قماشها »

وعندنا فى مصر وزارة معارف فحبذا لو التفتت إلى هذه الوطنية الاقتصادية وعنيت بتشجيع المصانع المصرية بمثل هذا القرار.

البترول فى العالم

أصبح استخراج البترول من الصناعات العظيمة التى تزاحم الفحم. واليك احصاءات عما استخرج منه فى العام الماضى وهو أسوأ أعوام الازمة:

الولايات المتحدة ٧ . ١ مليون طن

روسيا ٢١ « «

فنزويلا	١٧	مليون طن
رومانيا	٧	« «
إيران	٦	« «
مستعمرات هولندة	٥	« «
مكسيكا	٥	« «

وجميع ذلك نحو ١٨٠ مليون طن . ولم تذكر ما يستخرج من مصر لانه قليل جداً في جنب ما يستخرج من هذه الاقطار ولا بد أن العام القادم سيجعل العراق في زمرة هذه الاقطار التي تصدر الملايين من الاطنان من بترولها

وللبترول آثار اجتماعية كبيرة . فانه زعزع مركز الفحم في العالم ونقل جزءاً كبيراً من الحركة الصناعية من بريطانيا إلى الولايات المتحدة : ولولاه لما أمكن الطيران . ولولاه أيضا لعطلت جميع الأتوموبيلات في العالم

تجارتنا الخارجية في عام

أصدرت مصلحة الجمارك تقريرها عن تجارة مصر في العام الماضي . وهو تقرير يدل على أن الازمة لا تزال تخنق البلاد . وصحيح أن الصادرات زادت قليلا والواردات نقصت قليلا . ولكن مجموع الصادرات لا يزيد على نصف مجموعها في سنة ١٩٢٩ ؛ فنحن بمثابة الرجل الذي أصابه الفقر فانكمش لا ينفق إلا في حرص ودقة . أو نحن بمثابة الرجل الذي كان يربح الف جنيه في العام فأصبح يربح خمسمائة فقط . وهو لشدة خوفه ينفق ٤٩٥ جنيه

واليك هذه الارقام التي تدل على فقرنا في السنوات الثلاث الماضية

	سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٢	سنة ١٩٣٣
الوردات	٣١ ٥٢٨ر٠٠٠	٢٧ر٤٣٦ر٠٠٠	٢٦ ٧٦٧ر٠٠٠
الصادرات	٢٨ر٠٧٤ر٠٠٠	٢٦ر٩٨١ر٠٠٠	٢٨ ٨٤٢ر٠٠٠
البضائع المعاد تصديرها	٧٢٣ر٠٠٠	٧٢٨ر٠٠٠	٦٧٧ر٠٠٠
الجملة	٦٠ر٣٢٥ر٠٠٠	٥٥ر١٣٥ر٠٠٠	٥٦ر٢٨٦ر٠٠٠

ومعنى هذا أن الحركة التجارية بين مصر والعالم تتراوح بين ٣ و ٤ جنيهات لكل فرد في العام ومع أنها في أقطار أخرى مثل فرنسا أو بريطانيا تتراوح بين ١٥ و ٢٠ جنيها . وهذا التحسن القليل في الصادرات لا يؤبه به كثيراً لانه من الضآلة بحيث قد ينقلب الميزان في أي وقت . وقلة الواردات لم تنشأ لاننا استغنينا عن المصنوعات الاجنبية بما انتجناه لان الواقع أن المصنوعات الاجنبية زادت في العام الماضي

إلى ٣٣ ر ٦٠ فى المائة من مجموع الواردات فى حين أنها لم تبلغ فى العام الاسبق غير ٥٧ فى المائة . وانما كل ماحدث أننا انكمشنا للفقر العام الذى أصاب الامة كلها . وأصبح كل منا يحجم عن شراء الجديد قنوعا بالقديم البالى

والتقرير كله يدعوا إلى التشاؤم . حتى أن مدير الجمارك نفسه لا يجد مجالا للتفاؤل إلا فيما يقوم به رئيس حكومة أجنبية هى حكومة الولايات المتحدة فانه يعتقد أن خطة الرئيس روزفيلت عملت على زيادة أثمان القطن ويظن أنها ستعمل على هذه الزيادة أيضا فى المستقبل .

واردات زراعية

يؤخذ من التقرير الذى أصدرته مصلحة الجمارك عن وارداتنا فى العام الماضى أننا استوردنا من من الحاصلات الزراعية ما بلغت قيمته :

	جنيه
الزبدة والجبن	٢٥٤ر٠٠٠ »
البقول ـ البطاطس	٧٣ر٠٠٠ »
البقول ـ الزيتون الخ	٧٤ر٠٠٠ »
الفواكه	٤٠ر٥٦٠ »
البلح	١٨ر٣٠٠ »
الموالح	١٣ر٩٠٠ »
الحبوب	١٥١ر٠٠٠ »
الزيتون	١٠٧ر٤٠٠ »

وأعظم نقص أصاب الواردات الزراعية كان فى القمح فانه بلغ نحو مليون جنيه . ومع أننا نؤدى فى ثمن القمح الآن أكثر قليلا من ثمنه فى أنحاء العالم فان مما لاشك فيه أن المكس الجمركى الذى حال دون اغراق أسواقنا بالقمح الأجنبى قد أنعش الزارع بعض الشيء

ولكن الشيء الذى يجب الالتفات اليه هو أن جميع هذه الواردات كان يمكن أن تكون صادرات . بل كان يمكن أن نزيد عليها بصادرات زراعية أخرى فان جميع الأرض المصرية تقريبا توافق زراعة المنجا. ونحن أقرب إلى أوربا منها إلى الهند ويمكننا أن نصدرها وهى بعد طازجة إلى جميع العواصم الاوربية . وشجرها باسق لا يحتاج إلى عناية خاصة وهو مثل الجميز أو التوت ينمى بنفسه مادامت جذوره قد تعمقت

وكذلك الحال فى فواكه أخرى. فان الموالح المصرية قد اتضح أنها تفضل الموالح الأخرى لغزارة عصارتها وقلة لحها . وقد زادت وارداتنا من الجبن ومستخرجات اللبن على ربع مليون جنيه . والحقيقة أننا لو عنينا بهذه الصناعة لا ستطعنا أن نصدر بالملايين من الجبن وملحقاته إلى أوربا . ولا تحتاج صناعة الجبن إلى رأس مال كبير وكل ماتحتاجه نظافة ودقة . وقد سبق أن ذكرنا كيف أن سكان دنمركا لا يزيدون على ثلاثة ملايين ونصف مليون ومع ذلك يصدرون إلى انجلترا من البيض والجبن والزبدة واللحم ما تزيد قيمته على ما نصدره نحن من القطن . وليست تربية الدجاج فنا عويصا ولكنا هنا نهمله ونتركه للفلاح الأجير أما الزارع المالك فيأنف من تكسبه منه كما يأنف من بيع الزبدة أو الجبن

فلا بد من دعاية واسعة ننشرها فى الريف وهى « رد الاعتبار » لهذه الصناعات الثانوية فى الزراعة حتى يكون لها المقام الاول وحتى يلتفت اليها الزارعون فلا تغنينا عن استيراد المنتجات الزراعية بل تجعلنا قادرين على تصديرها للاقطار الاجنبية

اخبار اجتماعية

الحكومة الفاشية

إذا كان الجمهور الراقي في أوربا ينكر الفاشية ودعوتها إلى الاستبداد فانه لا ينكر الحكومة النقابية بل هو يستسيغ الفكرة ويقبل عليها بالدرس والتمحيص هذه الأيام. وقد قرأنا مقالا لوزير الزراعة في بريطانيا يمدح فيه الحكومة النقابية ويدعو اليها. وهو في الوقت نفسه يسخر من حركات الفاشيين الانجليز

والحجة التي يدلي بها دعاة الحكومة النقابية لايثارها على النظام البرلماني الحاضر هي أن المسائل الاقتصادية تعقدت وأن تنظيم الانتاج والاستهلاك لا يمكن أعضاء البرلمانات السياسية الحاضرين أن يقوموا به لأن تربيتهم سياسية لم تسمح لهم بأن يتعمقوا في درس الاقتصاديات. وحال العالم الآن برهان على عجزهم أما الحكومة النقابية فتستطيع أن تدرس جميع المشاكل الاقتصادية وتقرر الأجور وتحول دون تعطل وتعين الأثمان وتمنع التراكم للبضائع.

الاجانب في تركيا

قال مراسل الديلي تلغراف أن أكثر من ٥٠٠٠ من الأجانب المقيمين في تركيا قد قطعت اسباب رزقهم بناء على تشريع صدر حديثاً ضد الأجانب فمن الآن فصاعداً ليس للخياطين والحلاقين والتراجمة والسواقين وصانعي القبعات والأحذية والموسيقيين والارتيست الأجانب الحق في مزاولة مهنتهم بتركيا. وأغلب هؤلاء الأجانب ٢٠٠٠ من الأغريق و١٠٠٠ من الطليان وكل يوم يحيط القنصليات الأجنبية مئات من الرجال في طلب التصريح والسفر مجانا إلى بلدانهم وليس في وسع الذين يقتنون ثروة منهم حملها معهم لأن القانون الجديد يمنع خروج رؤوس الأموال وينتظر قريباً أن يصدر تشريع جديد يحرم على الأجانب الاشتغال ببعض المهن الأخرى فيضطر إلى مغادرة تركيا ١٨,٠٠٠ آخرين

المصريون والسودان

كتب الأستاذ فؤاد أباظه هذه الكلمات التالية المفيدة عن زيارة المصريين للسودان

في سنة ١٩٣١ بلغ عدد المصريين الذين سافروا للسودان ٥٢٨٥ وكذلك ٣٥٠ عاملا ولم يصرح لثمانية أشخاص فقط بالسفر

وفي سنة ١٩٣٢ كان عدد المسافرين ٤٣٥٤ مصريا خلاف ثلاثة فقط لم يصرح لهم بالسفر

وفي سنة ١٩٣٣ بلغ عدد المصريين الذين سافروا للسودان ٧٥٠٠ منهم ١٣٢٤ عاملا ولم يصرح لاثنين فقط بالسفر

وإني أنتهز هذه الفرصة لتكرير ما سبق وذكرته وهو أنه ليست هناك صعوبات أو عقبات لسفر المصريين للسودان وكل ما هنالك أن طالب السفر يقدم استمارة للتأشير عليها من مندوب حكومة السودان بميدان التوفيقية بالقاهرة وهذه إجراءات تنفذ على المصري والانجليزي على السواء لمنع سفر أشخاص غير مرغوب فيهم وعلى الأخص إذا كانوا فقراء غرضهم من السفر أن يعيشوا عالة على السودان أو إذا كان غرضهم من السفر إيجاد اضطراب سياسي هناك وبديهي أن حكومة السودان لا تسهل السفر لهذا الغرض

ويمكن القول أيضاً أنه إذا فرض وطلب مصري

فقير لدرجة ما وآخر انجليزى فى مستوى فقره السفر للسودان فانه فى الغالب يسمح بالسفر للمصري ويرفض الانجليزى حيث وسائل المعيشة بين السودانيين للأول أسهل من الثانى كما لا يخفى

أما أن إجراءات التأشير مرغوب فى الغائها بتاتا مع ترك حرية المرور للمسافرين من مصر للسودان وبالعكس فمسألة يصح الاستمرار فى بحثها

ومن مراجعة الأرقام التى ذكرتها عن عدد المصريين الذين لم يصرح لهم بالسفر للسودان فضئيلة جداً لا تكاد تذكر ويقال أنه إذا ألغيت إجراءات التأشير على استمارات السفر يخشى أن ترتفع نسبة هذا القسم من المسافرين. وهذه مسألة جدليه

نشاط المرأة الانجليزية

تعمل المرأة الانجليزية فى جميع الأعمال التى يعمل فيها الرجال سواء فى المصنع أم المكتب أم المتجر. وهناك صناعات كانت محرمة على النساء إما لأنها خطرة وإما لأنها لا تليق فى زعم بعض الناس بالنساء. ولكن يرى من الاحصاء التالى أن المرأة الانجليزية لا تبالى أى عمل تعمله الآن. وهذا الاحصاء عن سنة ١٩٣١

عاملات فى الزراعة	٩
« « البيرة	٨٦
« قراتية	١٢٢
موظفات بالياصيب	٤٢٢
لحادات الموتى	١٩٨
بفرق المطافىء	٢
بهندسة السفن	٧٩
بالقطع واللحم الكهربائى	١٢٤٥

صدمة لوطنيتنا

أفلست شركة السينماتوغراف المصرية. وتقول مجلة المرشد أن الخسارة التى منى بها حملة الأسهم لهذه الشركة لا تقل عن ١٢٫٠٠٠ جنيه. وقد كانت الحماسة لهذه الشركة كبيرة جداً حتى كنا نرى الطلبة يوزعون لها التذاكر ويقبلون جماعات على رؤية أفلامها. وإلى الآن لم تشرح للجمهور أسباب هذا الافلاس. وهو على كل حال لا يمكن أن يعزى الى الجمهور. ويهمنا أن نعرف هذه الأسباب حتى نتوق الوقوع فى مثلها فى المستقبل.

وحبذا لو نشر مدير الشركة الاستاذ عبدالله فكرى أباظه بيانا عن هذا الموضوع. فان خسارة ١٢٠٠٠ جنيه ليست بالأمر الهين. ثم يزيد عليها أثر معنوى آخر هو كسر قلوب الشبان الذين يتحمسون للمشروعات الاقتصادية

وقد عرفنا على كل حال من هذا الحادث أن الحماسة وحدها لا تكفى لانجاح المشروعات الوطنية

الباخرة النيل

نلفت نظر القراء إلى دعاية واسعة النطاق يقوم الأجانب بها فى مصر عن مصنوعاتنا المصرية وجميع مشروعاتنا الوطنية. فان مكاتب السفر ترفض اعطاء تذاكر الباخرة النيل وتدعى عليها الدعاوى الكاذبة من ناحية الخدمة والمواعيد ونحو ذلك حتى يشترى المسافرون تذاكر السفر على بواخر أجنبية

وكذلك تباع فى القاهرة الآن أوان زجاجية هشة لا يكاد يمسها الانسان حتى تتحطم ويقول بائعوها — وهم من الأجانب — أنها من مصنع السيد يس. مع أنها أجنبية. والغرض من هذه الدعاية تشويه سمعة هذا المصنع

وفى القاهرة والاسكندرية دكاكين يملكها الاجانب لا تبيع المنسوجات المصرية بدعوى سخافة قماشها. مع أن التجربة دلت على أنها أمتن من الاقمشة الأجنبية

أجازة الاجهاض

فى شهر يونيه الماضى عقد فى انجلترا مؤتمر من جمعيات التعاون النسائية الانجليزية حضره ١٣٦ مندوبة يمثلن ٧٤٫٠٠٠ امرأة . وقد طابن بقرار عارضته ٢٠ امرأة فقط هو أن تلغى الحكومة القانون الخاص بالمعاقبة على الأجهاض واعتبار هذه العملية مثل سائر العمليات الجراحية يترك للطبيب وحده تقدير ظروفها والقيام بها أو الأحجام عنها

بناء السفن

لم يكن للكساد الشديد الذى حل بصناعة بناء السفن فى بضع السنوات الأخيرة مثيل فى تاريخ تلك الصناعات فى العصر الحديث ، وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على مبلغ ما أنشىء من السفن فى السنوات الأخيرة اتضح لنا أن السنة الأخيرة كانت أسوأ تلك السنوات حظاً وأقلها انتاجا وكان مجموع حمولة السفن التى أنشئت فى العالم أقل من نصف مليون طن أو ما يقرب من ربع الانتاج العالمى منذ ثلاثين عاماً ، وقد أنشأت الاحواض الانجليزية ١٠٦ باخرة حمولتها نحو ١٣٢٫٠٠٠ طن مقابل ١٠٠ باخرة حمولتها ١٨٨٫٠٠٠ طن بنيت فى خلال سنة ١٩٣٢ ويبلغ هذا الرقم نحو جزء من خمسة عشر من انتاج عامى ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ إلا أنه لا يعد شيئاً مذكوراً إذا ما قورن بانتاج سنة ١٩١٣ وهى السنة التى بنت فيها الاحواض الانجليزية وحدها ٦٨٨ باخرة بمجموع حمولتها ١٫٩٣٢٫١٥٣ طن بينما أنشأت أحواض الدول الأخرى ١٫٧٥٠ باخرة بلغت حمولتها ٣٫٣٣٢٫٨٨٢ طن

الاعدام بالغاز

نشرت جريدة نيويورك تيمس نبأ قالت فيه أن ولاية « كولورادو » قد اشترعت سنة جديدة فى انفاذ حكم الاعدام . فاستعاضت عن المشانق والكرسى الكهربائى بطريقة عملية حديثة لا تؤلم المحكوم عليه ولا تستغرق وقتا طويلا ولا تكلف الولاية كثيرا من النفقات وهى طريقة الأعدام بالغاز الخانق

وقد جربت هذه الطريقة للمرة الأولى بمدينة « كانون سيتى » فاسفرت التجربة عن نجاح عظيم

وكان أول محكوم عليه بالأعدام قتل بالغاز الخانق هو المدعو وليم كودى كولير . الذى ثبتت عليه جريمة اغتيال مستر روسل براونتج من كبار أصحاب المزارع

وقد جىء بالمحكوم عليه فى صبيحة اليوم المحدد لأعدامه . ووضع فى غرفة خاصة ونزعت عنه ثيابه وترك له سرواله وحذاؤه فقط ثم عصبت عيناه وشد إلى مقعد كبير شداً محكما . ووضع تحت المقعد إناءان يحوي أحدهما حامض الكبريتيك المركب . والآخر محلول البوتاسيوم

ثم أغلق باب الغرفة . ووقف الاطباء خارجها أمام كوة من الزجاج لمراقبة عملية الأعدام

وأعطيت الاشارة فزج حامض الكبريتيك بمحلول البوتاسيوم بطريقة ميكانيكية وتصاعد من المزيج دخان أبيض

وبعد ١٠ ثوان أغمى على المحكوم عليه . وبعد ٣٠ ثانية أسلم الروح

فكأنما العملية لم تستغرق أكثر من ٤٠ ثانية وبلغت نفقات الاعدام ٩٠ سنتا أى مايقرب من ١٨ قرشا

وفى نية حاكم « كولورادو » أن يتبع هذه الطريقة الاقتصادية باستمرار فى اعدام المحكوم عليهم

الكتب الجديدة : عربية وأجنبية

مصر وافريقيا الزنجية

Egypt and Negro Africa by C. G. Seligman (G. Routledge & Sons)

مؤلف هذا الكتاب هو أستاذ الاثنولوجية فى جامعة لندن . والموضوع الذى يعالجه يعرفه قراء هذه المجلة وهو أن الثقافة الفاشية بين الزنوج أو بين ملوك الزنوج تعود الى الفراعنة . وبكلمة أخرى أن الثقافة الافريقية ليست متولدة توليدا ذاتيا وانما هى متسلسلة وأول حلقاتها مصر . وهو يستقصى العادات عند قبائل النوير والدنكا والشلوك ويردها الى مصر . والادلة واضحة بل صارخة لا يستطيع الانسان أن ينقضها أو يدعى فيها المصادفة واتفاق الخواطر

وأيه مصادفة أو أى اتفاق فى الخواطر يمكنه أن يفسر لنا هذه العادة التى عرفناها من الاسرة الخامسة والعشرين (من سنة ٢٧١٢ الى سنة ٦٦٣) كما نعرفها اليوم عند ملوك الزنوج فى قلب افريقيا ؟

فقد كان فرعون عند تبوئه الحكم يطلق أربعة أسهم عن قوسه فى جهات الدنيا الاربع رمزا للسيادة واطلاق الاسهم لا يزال عادة مأثورة بين ملوك الزنوج

هذه واحدة . ونستطيع أن نزيد سائر العادات المأثورة عن مصر ولا تزال فاشية بين الزنوج . ولكننا نختصر هنا الكلام لكى نعود فى فرصة أخرى الى كتابة مقال فى سرد هذه العادات وشرحها مع الصور القديمة المصرية والصور الحديثة الافريقية

وجميع المثقفين المصريين يزدادون ثقافة ووطنية بقراءة هذا الكتاب

موسوعة فى المعارف الجنسية

Encycopoedia of Sexual Kno wledge Edited by Norman Hare (Francis Alder)

كثرت الكتب عن المعارف الجنسية وتشعبت موضوعاتها . وأساس هذه الحركة هو الدكتور هافلوك اليس الذى يعد أعظم ثقة فى تطور الأعضاء الجنسية والتسامى بالعاطفة الجنسية . ثم ظهرت الدكتورة مارى ستوبس صاحبة الدعوة الى تحديد النسل فألفت بضعة كتب فى شرح الوسائل التى يمكن بها توقى الحمل . وقد كانت هذه الحركة تسير فى بطء واستحياء قبل الحرب الكبرى . ولكن هذه الحرب ـ بعوامل شتى ـ دفعتها الى الأمام . فكثرت المؤلفات فى هذا الموضوع

والآن نرى أمامنا موسوعة كبيرة قام بتأليفها بضعة أطباء . وقد تناولوا المعلومات الجنسية من نواحى مختلفة وهم يبسطون آراء تخالف المعروف عند القراء . فهم يصفون العادة السرية بأنها عمل عادى لا يضر الصحة وأن جميع الشبان يمارسونها بلا ضرر . وعندهم أن الضرر نفسى يعود لشعور الشخص الذى يمارس هذه العادة بانحطاطه . وهذا رأى نراه على طرافته جريئا وإذا كان الأمر كذلك فمن السهل معالجة المنغمسين فى هذه العادة

ومن الآراء التى يجب أن تعرف فى مصر أن غشاء البكارة ليس برهان العذرية فى الفتاة . فانه يمكنها أن تحمل ويبقى غشاء البكارة مع ذلك سليما لم يمزق

ويعالج المؤلفون موضوع الشذوذ الجنسى فى اسهاب . وهم يميلون إلى مدرسة التحليل النفسى التى

تعزو أكثر النقائص إلى سوء التربية مدة الطفولة وتعتقد أنهم يصيبون في هذا النظر . فقد تلعب الخادمة بالاعضاء التناسلية للطفل فينشأ على شذوذ خاص . وقد يفعل الخادم مثل ذلك مع الطفلة . بل استعمال الآباء القسوة مع الاطفال يؤدى بهم بعد البلوغ الجنسي الى عادات شاذة في التعارف الجنسي

ولا يسلم المؤلفون بفائدة عملية رد الشباب التى يدعيها فورونوف . ويذكر القراء أننا كثيرما نبهناهم الى ضرورة الشك فيما يدعيه هذا الرجل . أما عملية شيناخ — وهى قطع الحبل المنوى — ففائدتها مرجحة وخاصة في معالجة البروستاتة

والموسوعة على وجه العموم حسنة بعيدة عن ذلك الميل الواضح نحو الاسهاب في وصف الاعضاء التناسلية مع تكرار رسومها . وهو ميل للاسف نجده في مؤلفات التناسليات العربية

وليم موريس

William Morris by, J.M. Morry.) Ivor Nicholson & Watson)

كان وليم موريس أديبا عظيم من أدباء القرن التاسع عشر في انجلترا . مارس الفنون ثم رأى كما رأى روسكين — أنه خير للاديب أن يعنى بالاصلاح الاجتماعى من أن يعنى بالفنون ، واندفع في الاشتراكية حتى كان يقف بنفسه في شوارع لندن ويبيع جريدة أسبوعية اشتراكية . وبمناسبة مرور مائة سنة على ميلاده وضع المستر ميدلتون مورى هذا الكتاب عنه وهو يتضمن سيرته وشرح العوامل التى كونته أو أثرت فيه مع شرح الحركات الاجتماعية والادبية مدة حياته

والمؤلف مدلتون مورى يميل الى التحنن المسئم ولكن له أحيانا نقدات تحجيبة تستحق عناية القارئ . فمن ذلك مثلا قوله أن موريس كان يعجب بالكنائس القديمة . ولكن اعجابه لم يكن عن احترام للدين وانما كان عن اعجاب بالبناء . وهذه الكلمة على قسوتها صادقة . وقد كان احساس موريس بالتطور التاريخى عميقا . وهو السبب الاساسى الذى جعله يعتنق الاشتراكية . فقد اتضحت له هذه الحقيقة التى تتضح لنا هذه الايام بأجلى مظاهرها وهى أن التطور الاجتماعى هو نتيجة التطور الاقتصادى

وليم موريس

وحاول موريس أن يحيى الصناعات اليدوية ، ولكنه كان في محاولته هذه مخفقا ومناقضا لا قتناعه الاقتصادى . وحياة موريس مأساة لانه عاش معظم حياته وهو يحاول أن يدعو الى الفنون ولكنه في سنيه الاخيرة دعا إلى الثورة فلم يجد الاستجابة التى ينتظرها أو لم يجد تلك الاستجابة التى وجدها مثل شو أو ولز

أخبار مكة

تأليف الازرقي صفحاته ٢٠٤ من القطع الكبير طبع بالمطبعة الماجدية في مكة ووقف على طبعه الاستاذ رشدي صالح ملحس

من الكتب النفيسة التي عرف الافرنج قدرها معرفة العرب وأولوها ما تستحقه من عناية « كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » تأليف أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي من أعلام القرن الثاني للهجرة فقد كان المستشرق الألماني وستنفيلد أول من نشره في ليبزج بالمانيا سنة ١٨٥٨

وقد وفقت المطبعة الماجدية في مكة لأصحابها محمد كامل كردي واخوانه فنشرت جزءه الأول في ثوب قشيب وقدمت له مقدمة نفيسة وضعها الأستاذ رشدي الصالح ملحس وقد صححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه وأضاف اليه اضافات ثمينة جاء آية في بابه من حيث النفاسة والأتقان

وتاريخ الأزرقي خاص بمكة المكرمة والكعبة المشرفة فهناك ابحاث مستفيضة عن بناء الكعبة وهدمها وما تعاقب عليها . وعن مساحتها وارتفاعها وكسوتها وزخرفها وطيبها في الجاهلية والاسلام مما لا يعثر عليه الباحث في كتاب آخر ويتخلل ذلك استطرادات مفيدة في تاريخ العرب ووقائعهم وأنسابهم وجغرافية بلدانهم

قصص الحياة

تأليف الاستاذ عبد الحميد قناوي صفحاته ٨٠ من القطع الكبير طبع بمطبعة عبد الحليم حسن بالقاهرة مغلف بالكرتون

يحتوي هذا الكتاب على ثلاث قصص هي ابن الجريمة وغلطة الآباء والثائرة . وهذه القصص جميعها تقوم على أساس من الواقع لأن المؤلف كان يجمعها من القضايا المعروضة على المحاكم . واذا كان فيها ما يزيد على الواقع فهو صيغة العبارة ولسق التأليف حتى لا يخرجها عن منهج القصة . والمؤلف رصين العبارة يميل أحياناً الى التأنق في غير زخرفة

تربية الطفل

تأليف الدكتور شخاشيري صفحاته ٣٠٠ من القطع الوسط طبع بمطبعة عيسى الحلبي . بمصر

الدكتور شخاشيري من الأطباء المعروفين في القاهرة . وهو كثير الحركة الذهنية والجسمية . وقد سبق أن وضع كتابين مفيدين في المراهقة في الفتى والفتاة

وهذا الكتاب الجديد يجب أن يكون احدي أدوات البيوت فان الام التي تجهله تعد جاهلة في تربية الأطفال . وهو مكتوب بصيغة السؤال والجواب بين الأم والطبيب ولذلك نعتقد أنه ليس فيه شيء يعسر فهمه . والمؤلف يعالج كل شيء يتعلق بالأطفال من الطعام الى اللباس إلى الأمراض التي يصاب بها إلى العادات السيئة التي يتعودها إلى غير ذلك مما يجب على كل أم أن تعرفه

واليك شيئا مما يقوله عن الأمراض التي تنتقل الى الأطفال باللبن :

ان الأمراض التي تنتشر بواسطة اللبن تتميز بخصائص تساعد على معرفة مصدرها بسهولة . وينحصر المرض المتفشي في العائلات التي تأخذ لبنها من لبان واحد ويكون تفشيه فجأة وعدد اصاباته أعظم ما يكون في اليوم الأول . ولا يصاب بهذا المرض الا الذين تغذوا باللبن أو اتصلوا بناقله أو أكلوا طعاما مطبوخا به ولهذا السبب نجد الأمراض التي مصدرها اللبن أكثر شيوعا بين الاغنياء منها بين الفقراء . وبين النساء والاولاد أكثر منها بين الرجال . لان النساء والأولاد أكثر استهلاكا له من الرجال . ومن أشد تلك الأمراض فتكا التيفودية وهي خاصة بالانسان ومتى تلوث اللبن بميكروبها تكاثر عددها فيه فلا تمضي أيام حتى تنتشر العدوي في كل دار دخل اليها . يحدث هذا من غير أن يلحظ تغيير في لون اللبن أوفي

طعمه . والحرارة تقتل ميكروب هذه الحمى ولكن البرد لايؤثر فيه . ولذلك فان تبريد اللبن والقشدة والجبن لايقي المستهلكين من الاصابة به . وكثيرا ما كانت الدندرمة مصدرا لهذه الحمى ويقع ميكروبها في اللبن بطرق شتى وفي أوقات مختلفة من وقت حلبه الى وقت نقله للمستهلك وفي الغالب يندس فيه وهو في المعمل . والذباب وغير الذباب من الحشرات التي تحوم حول أماكن الخلاء المكشوفة فانها قد تطير منها الى زرائب المواشي ومستودعات اللبن فتلوثها بالجراثيم ويصيب اللبن مثل ذلك وهو في المنزل وربما كان الماسبيا لعدوى عاملاق انتشارها فان الأوساخ تتسرب من المصارف الى الآبار فاذا أخذ ماؤها وغسل به آنية اللبن انتقلت الميكروبات من الماء اليه . ومن أعظم الامور خطورة أن يصاب اللبن بها أو بالعامل الذي ينقل اللبن الى المستهلك . وكثيرا ما يحدث أن يصاب بها شخص ما ويبقى هـذا الشخص مواظبا على عمله ففي هذه الحالة يزداد خطر انتقال العدوى الى عدد كبير من الناس

ديوان صر در

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة صفحاته ٢٣٨ من القطع الكبير

صر در هو شاعر توفي سنة ٤٦٥ هـ « وكان سبب موته أنه تردي في حفرة للأسد في قرية بطريق خراسان . وكانت ولادته قبل الأربعمائة»

وأشعاره تمثل عصره في الصيغة والفكر والغاية . ويتضح من المؤلفات التي تنشرها دار الكتب أنها تريد خدمة الأدباء واللغويين ولا تتوخى خدمة الجمهور . ولذلك فان العناية كبيرة بالتحرير واثبات المراجع وذكر الروايات المختلفة . ولايمكن الانسان أن يستصغر شأن هذه الخدمة . ولكن يلوح لنا أن الجمهور في حاجة أيضا الى كتب أدبية تكتب له بدون عناية كبيرة بالمراجع وتباع له رخيصة الثمن متينة التجليد . ولسنا نظن أن دار الكتب تستطيع ذلك الآن لأنها اختصت برجالها ونظامها على إخراج هذه الكتب التي يحتاج اليها المثقف والأديب واللغوي دون « رجل الشارع » كما يقول الانجليز

ولكن رجل الشارع يحتاج الى من يهذبه فمن يكون هذا المهذب ؟

وبعد . فان دقة التعبير وغرابته حيانا وأبداعه في التشبيه ، كل هذه تبعث القارىء على اقتناء هذا الكتاب والتذاذ قراءته . وانظر إلى قوله:

لحاجة قلب ما يفيق غرورها
وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها

وعين الى الاطلال ترجى سحابها
اذا لوعة الاحشاء هب زفيرها

أكلفها هطلا على كل منزل
فلو أنها أرض لغارت بحورها

وما تجمع العين التوسم والبكا
فهل تعرفان مقلة أستعيرها

فالأفكار هنا مألوفة والاغراق معروف لانه كان الزي الشائع بين الادباء في ذلك الوقت . ولكن دقة التعبير واختيار اللفظ بديعان

المرافعات في اشهر القضايا

تأليف الاستاذ محمود عاصم صفحات ٧١٤ من القطع الكبير طبع بمطبعة نشر الثقافة القانونية

هذا هو أول كتاب من نوعه يحتوي على تفاصيل كاملة لظروف أشهر القضايا وملابساتها وأصول وافية لمرافعات الدفاع والاتهام الى غير ذلك من صور الحوادث الكبرى . وقد أسهب المؤلف في ذكر ثلاث قضايا هي المحاكمات في حوادث دنشواي والورداني والخطابات المزورة

ومثل هـذا الكتاب يجب أن يقرأه كل مصري مثقف وخاصة أولئك الذين لم يروا حادثة دنشواي في حياتهم . فان هذه الحادثة كانت منبها عظيما للجمهور ذكره بقسوة الاحتلال وفظاعة أساليبه

والكتاب يحتوي على صور الاشخاص المتهمين والمحامين

تقدم العلوم والفنون

فى تاريخ الطب

— كان الاطباء فى عصر حمورابى (سنة ٢٠٠٠ ق . م .) فى بابل طائفة منظمة وقد عينت أجور العلاجات للانسان والحيوان

— كان ابقراط أعظم أطباء الأغريق . ولايزال القسم الذى الفه قبل ٢٤٠٠ سنة يقسمه الطلبة فى كثير من كليات الطب

— كان ابقراط يرفض العمل بالرقية والتنجيم والتعويذ ويعتمد على التجربة

— أعظم الاسماء بعد ابقراط هو جالينوس الذى مات سنة ٢٠١ بعد الميلاد . وكان يعتمد على التجربة وقد أحدث الفالج فى الحيوان بقطع عصب الفقار . وانتبه إلى حركة القلب بعد فصله من الجسم

— « بعد وفاة جالينوس بقى الطب ميتا فى أوربا ١٤٠٠ سنة » جاريسون

— فى سنة ٥٢٩ أغلق الامبراطور يوستنيان مدارس أثينا الفلسفية لانها تدرس ثقافة الوثنيين القدماء . فعمت الكارثة الطب بين سائر العلوم والآداب

— انتقل الطب الى العرب . وأعظم الأسماء فيه هو ابن سينا صاحب « القانون » وهو « بناء شاهق من السفسطة » نيوبهر

— حرم العرب التشريح فلم يفهموا الطب التجريبي

— اسس العرب المستشفيات « وليس فى القاهرة الآن مستشفى كذلك الذي بناه المنصور قلاوون سنة ١٢٨٣ . ووصف المقريزي له يشبه وصف مستشفى حديث فى القرن العشرين » أوسلر

— فى أوربا فى سنة ١٢٩٤ مات روجر بيكون الذى قال « ان للعلم التجريبي ثلاث ميزات عالية على سائر العلوم لأنه يحقق النتائج بالتجربة المباشرة . ويكشف الحقيقة التى لا يمكن العلوم الأخرى كشفها ويبحث الطبيعة ويفتح باب المعرفة للماضي والمستقبل »

— وصف أوسلر روجر بيكون بقوله « هذا الرجل من جيلنا وعصرنا »

— استغراق الأوربيين فى النظر الديني مدة القرون الوسطى واهتمامهم بالعالم الآخر دون هذا العالم جعلهم لا يبالون الطب

— مات سنة ١٥٤١ باراسيلوس الذي قال « ليست غاية الكيمياء صنع الذهب أو الفضة . انما غايتها توجيه العلوم إلى مكافحة المرض »

— مات فساليوس سنة ١٥٦٤ وهو أول من احترف التشريح وجعله علما حيا

— ثم جاء هارفى الذى مات سنة ١٦٥٧ وقد فتح العصر الحديث للطب . وهو الذى اهتدى الى نظام الدورة الدموية

— أعظم اسم فى القرن التاسع عشر هو كلود برنارد الذي تكلم عن « الافراز الداخلى » للغدد بدأ حياته شاعرا وانتهى بها طبيبا

— فى السنين العشرين الماضية ظهر اسم هوبكنز الذى أوجد الابحاث الجديدة فى فيتامينات الطعام

عن السر ليوى ماكنزى

الوضع بلا ألم

ابتكر الدكتور منيت رئيس مستشفى الولادة الملكى فى ليفربول جهازاً جديداً عجيبا لتسهيل الوضع وبغير استخدام شيء من المواد المخدرة التى كثيراً ما

تعرض حياة الوالدة والطفل للخطر

والجهاز الجديد من شأنه ألا يدع الحامل تشعر بأى نوع من الآلام التى تعانيها المرأة عند الوضع . هذا فضلا عن أنه يؤمنها على حياتها

وقد قام الدكتور منيت بتجربة هذا الجهاز فى مستشفى ليفربول فأسفرت التجربة عن نجاح منقطع النظير أجريت تجربة هذا الجهاز فى مائة حالة . فكانت النتيجة أن ٥٨ سيدة لم يشعرن بأي ألم على الاطلاق و ٤٠ أمرأة شعرن بآلام بسيطة جداً .. وأمرأتين شعرتا بآلام وقتية حادة زالت بسرعة

ويقوم هذا الجهاز على نظرية جديدة لم يسبق الدكتور منيت اليها سابق . وهى نظرية تمكين السيدة على وشك الوضع من تخدير نفسها بنفسها

وهذا الجهاز هو عبارة عن قناع من نوع القناع الواق من الغازات السامة . ولكنه يتصل بمستودعين، احدهما : كمية من بروتوكسيد الازوت والثانى به كمية من الهواء النق

فمتى جاء المريضة المخاض : فليس عليها الا أن تضع هذا القناع على وجهها وتضغط ساعداً صغيراً من المعدن . فيفتح مستودع بروتوكسيد الازوت . وتستنشق المريضة من هذا الغاز الكمية الكافية لالقائها فى شبه غيبوبة

ومتى فقدت الرشد . عاد الساعد الى مكانه بطبيعة الحال ، وبعودته يفتح مستودع الهواء النق . فتستنشقه المريضة

وفى هذه الحالة تتم عملية الوضع دون أن تشعر الحامل بأى ألم على الاطلاق

الاسكيماويون

كتبت إحدى المجلات الامريكية مقالا منيراً عن الاسكيماويين الذين يعيشون فى الاصقاع القطبية فى شمال كندا . وهؤلاء الناس يختلفون من الامريندين أى السكان الأصليين للقارة الامريكية فان سحنتهم مغولية وقد كانوا إلى عهد قريب يزيدون على ٨٠٠٠ فنزلوا هذه الأيام إلى نحو ٦٠٠٠ ويظن أن السبب لتناقصهم اتخاذهم عادات المتمدنين .

ومنذ عشرين سنة لم يكن لهم عمل غير صيد السمك والفقمة. أما الآن فانهم تعلموا صيد الحيوان والاتجار فى فرائه . وبعض الاسكيماويين يشتغلون الآن لحساب الشركات الامريكية الكبرى. وبعضهم الآخر يشتغلون لحسابهم الخاص . ويناقسون الشركات الاجنبية منافسة جدية

وقد ارتفع مستوى الحياة الاجتماعية بين الاسكيماويين ، وأصاب بعضهم ثروات ضخمة . فترى بينهم من يستخدم الزوارق والزحافات ذات المحركات. وبينهم من يملك أجهزة الراديو فون وماكينات الخياطة. والفونوغراف . ويضىء منزله بالنور الكهربائى

وكانت منازل الاسكيماويين فيما مضى مغاور فى الثلج . أما الآن فان بعضهم يشيدون لانفسهم منازل من الخشب المكسو من الداخل بالفراء

وقد حرصت حكومة كندا على منع البيض من تعويد الاسكيماويين عادات تؤذيهم وتقضى عليهم . من ذلك أنها منعت تصدير الملابس الداخلية والاطعمة المحفوظة الى الاصقاع الشمالية . لأنها وجدت أن هذه الأشياء تخلق بين الاسكيماويين أمراضا لا عهد لهم بها . لانهم اعتادوا صنع الملابس من الفراء وأكل الاسماك واللحوم النيئة فقط .

والاسكيماويين أذكياء . يفهمون بسرعة . وقد أصبح الأغنياء منهم يرسلون أولادهم لتلقى العلم بالمدارس التى أنشأها البيض فى الشمال

لما نقص الاسكيماويين فنطه حكومة كندا لانتشار الأمراض الصدرية التى حملها البيض إلى أولئك الذين كانوا سعداء قبل أن تصل أن تصل اليهم المدنية

البلاجرا والذرة البيضاء

جاء في تقرير مدير مستشفيات الأمراض العقلية هذه المعلومات المفيدة عن مرض البلاجرا الذي يتفشى بين الفلاحين في مصر ويؤدي إلى الجنون

من المعروف أن مرض البلاجرا كثير الانتشار في القطر المصري وأن عدد المصابين به الذين يدخلون مستشفيات الأمراض العقلية سنويا يبلغ عدة مئات وتمتد خبرتنا به الى نيف وثلاثين سنة مما مكننا من تكوين شتى الآراء القاطعة عنه . واحد هذه الآراء هو أن أغلب المصابين بالبلاجرا يشفيهم العلاج ظاهراً ولكنهم يصبحون عرضة لظهور أعراض بلاجرية عليهم لا مجال لمناقشتها اذا ما تأخرت صحتهم بسبب أي مرض عارض وأظهر ما تبدو عليهم هذه الاعراض يحدث عند ما يصيبهم أحد الأمراض الفاتكة وذلك بالرغم من كفاية الغذاء في المستشفيات كما أن هذه الأعراض لا تظهر في الظروف المماثلة على المرضى الآخرين الذين ليس ثمت شك في عدم سبق إصابتهم بالبلاجرا .

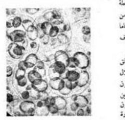
وفي رأي أطباء مستشفيات الأمراض العقلية أنه قد يمكن عادة أيقاف البلاجرا عند حدها بواسطة التغذية الكافية ومعالجة أعراض الداء ولكن من المشكوك فيه كثيراً ما اذا كان يمكن استئصالها تماما إذ من المحتمل أن تثور حياها في أي ظرف من الظروف السابق الأشارة اليها .

والمصابون بمرض البلاجرا يأتون عادة من المناطق التي تكون بها الذرة الشامية غذاء أساسياً في خلال شهور عديدة من السنة على الأقل ولكنهم لا يأتون من المدن أو من أقاليم مصر الوسطى أو العليا حيث تحل الذرة الرفيعة محل الذرة الشامية ولو أنهم يوجدون في مناطق الوجه القبلي التي تكثر من زراعة الذرة الشامية كجهة كوم امبو ، وقد يكون الغذاء في الوجه القبلي أردأ منه في الوجه البحري كما أن أشعة الشمس هناك عظيمة الى حد كان يجب أن ينتظر معه ورود عدد من المصابين بهذا المرض من الوجه القبلي أوفر من الوجه البحري إذا كان المرض ينشأ عن نقص التغذية وكانت الشمس من العوامل القوية في اشتداد وطأته .

وكذلك يختل الجهاز العصبي اختلالا ظاهراً في البلاجرا كما يشاهد في تباين الانعكاسات حتى لقد تصبح الشواهد الظاهرة كمنعكسات الكعب شائعة ولن يصلح العلاج من شأن هذه الانعكاسات فتعود سيرتها الاولى حتى في حالة ما تستأصل جميع الأعراض والواقع أنه يستحيل التوفيق بين آرائنا في ضوء اختباراتنا وبين النظرية القائلة أن البلاجرا مرض ينشأ اطلاقاً من نقص في التغذية وفي اعتقادنا الراسخ أن هناك أمراً آخر وأن لهذا الامر علاقة بالذرة الشامية ولو أن في نقص الغذاء ما يزيد دلائل المرض وضوحا

قطعة من البطاطس

اذا قطعنا درنة البطاطس أو حبة القمح أو الذرة ووضعنا جزءا منها تحت الميكرسوب الفينا الخلايا التي



قطعة من البطاطس تبين الأكياس النشوية في الخلية

يتألف منها جسم الدرنة أو الحبة تحتوى على أكياس نشوية هى مادة الغذاء الذى نتغذى به عند ما نأكلها وهى بالطبع لم يقصد منها أن تكون غذاء لنا وإنما هى فى الأصل غذاء للحبة حتى إذا نبتت استطاعت أن تعيش مدة من الزمن قبل أن تأخذ غذاءها من التربة والهواء

وفاة مدام كورى

ماتت فى الشهر الماضى أنبل امرأة عاشت فى عصرنا. وهى مدام كورى التى اكتشفت مع زوجها عنصر الراديوم . وهذه المرأة كانت تمثل الحضارة الأوروبية فى أرقى مظاهرها، مظهر الحرية التى تتمتع بها المرأة فتخدم بها العالم

ولدت فى فارسوفيا عاصمة بولندا سنة ١٨٦٣ وكان أبوها معلماً للطبيعيات فى مدرسة ثانوية صغيرة . فكانت تساعده وتنظف له معمله وتغسل الزجاج والآنية . فلما شبت أكبت على درس الطبيعيات بمساعدة والدها : وشبت فتنة كانت غايتها تحرير بولندا من النير الروسى فاشتركت فيها . وخابت الفتنة ففرت إلى باريس

وهناك التحقت الفتاة بالسوربون حيث عرفت المسيو كورى وكان يدرس الطبيعيات. وأحب الأستاذ تلميذته فتزوجها سنة ١٨٩٥ . وفى نفس هذه السنة ارتجت الدوائر العلمية لاكتشاف رونتجن الاشعة التى تسمى باسمه أو تسمى أحيانا باسم « اكس » وهى أشعة تخترق الجسم وتصور الأعضاء الداخلية. وبعد عام اكتشف الأستاذ بكيرل اكتشافا خطيراً آخر وهو أن مركبات للمعدن الذى يسمى أورانيوم تشع اشعاعا يخترق الاجسام أيضاً

وأقبل المسيو كورى ومدام كورى على درس الاشعاع . وحدث ذات مرة ومدام كورى تبحث بعض المركبات أنها وجدت أن الاشعاع يزيد على ما كانت تنتظره أربعة أضعاف . فاستنتجت أن هناك عنصراً مجهولا هو مصدر هذا الاشعاع القوى . وكانت تحتاج إلى المواد الخامة التى يمكنها أن تبحثها حتى تهتدى إلى العنصر المجهول . ولما علمت الحكومة النمسوية بأبحاثها أرسلت إليها طناً من الصخر الذى يستخرج منه الاورانيوم. وهو صخر يوجد فى بوهيميا ويدعى « بتشبلند »

المسيو كورى

وما زالت هى وزوجها دائبين فى البحث حتى اهتديا إلى عنصر الراديوم . وقسمت جائزة نوبل سنة ١٩٠٣ بينهما وبين المسيو بكيرل . ومات زوجها

سنة ١٩٠٦ بعد أن ترك لها بنتين . وفي سنة ١٩١٠ منحت جائزة نوبل للمرة الثانية . وهي أول شخص نال جائزة نوبل مرتين

والراديوم من أعجب العناصر في العالم . وهو يخترق الأجسام ولذلك يحفظ في أنبوبة من الزجاج حولها كساء من الرصاص . وقد حمل المسيو بيكيريل منه مقداراً في قدر رأس الدبوس في جيب صدريته . فأحس بالتهاب ووجد أن جلده احترق . وإذا وضع الراديوم قريباً من أسرة من الجرذان قتلها جميعاً في بضع دقائق . وإذا عرض بيض الصراصير لأشعة الراديوم بقي بيضاً لا يتطور الى الحشرة . والمقدار المعروف من الراديوم قليل جداً ولذلك فإن ثمنه غال . والحكومات تشتري مقداراً صغيراً منه وتبعث به بالمناوبة إلى المستشفيات لمعالجة الأورام السرطانية

مدام كوري في معملها

ويشع الراديوم ثلاثة أشعة هي ا . و ب . و ج . ولكل شعاع منها وظيفة

فشعاع ا يمزق الذرة

وشعاع ب يزيد النمو في النبات والحيوان

وشعاع ج يمتاز بقوة اختراقه

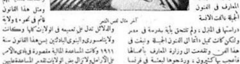
وإذا فرضنا أن جسماً من الراديوم يصدر عنه مائة شعاع . فمن هذه المائة تسعون من أشعة ا . و ٩ من أشعة ب وواحد فقط هو شعاع ج

وهذا الشعاع الاخير يمكنه ان يخترق صفيحة من الفولاذ تبلغ ثخانتها بوصة انجليزية

مازالت ادارة المجلة الجديدة ترجو مشتركيها الذين لم يسددوا اشتراك نصف السنة الباقي ان يسددوه في بحر هـــذا الشهر والعنوان مصر . شارع نوبار مكتب بريد الدواوين

قص الشعر

ليس في العالم المتمدن سيدة لا تقص شعرها هذه الايام . والغريب في الازياء الجديدة أنها تنشأ عادة من الطبقات العالية فتحتذيها الطبقات المتوسطة والدنيا ولكن عادة القص نشأت بين العاملات والمتوسطات ثم احتذتها الطبقات العالية . والغريب أيضا أن الازياء تجيء وتذهب الا قص الشعر فانه لا يعد زيا طارئا بل عادة راسخة ويرى القاريء هنا اخر مثال لقص



آخر مثال لقص الشعر

فتاة مصرية

عادت على الباخرة النيل في الشهر الماضي الآنسة فتحية سامان عزت ، وهي عضو بعثة وزارة المعارف في الفنون الجميلة بعد ان اتمت الآنسة دراستها في المنزل ، ولم تلتحق بأية مدرسة في مصر ولكن كانت تميل دائما الى الفنون الجميلة ونبغت في هذا الفن وتقدمت الى وزارة المعارف بأعمالها فأعجب بها كثيرون ، ورشحوها لبعثة في فرنسا لاتمام دراستها في هذه الفنون فمكثت أربع سنوات في باريس تعمل تحت اشراف الاستاذ سيكار والاستاذ دوجيه ، وكانت تود أن تقيم سنة أخرى لتحصل على درجة في الفنون الجميلة ولكن وزارة المعارف أمرت بعودتها ، فنهنئها بالعودة ، ونرجو أن نرى ثمرة دراستها ونبوغها قريبا

معاشات الامهات

للدكتور شخاشيري

في الولايات المتحدة قانون يقضي على الحكومة أن تساعد بموجبه الامهات اللواتي لهن أولاد بأن تقدم لهن مساعدة مالية يتمكن بها من العناية باولادهن واستبقائهم في منازلهن . وبذلك يتجنبن ضرورة ارسالهم الى الملاجيء والمعاهد للعناية بهم ومثل هذا القانون قائم في نحو ٤٠ ولاية والدلائل تدل على تعميمه في الولايات كلها وكانت ولايتا مسوري والينوي البادئتين بسن هذا القانون سنة ١٩١١ وكانت المساعدة المالية مقصورة في بادىء الأمر على الأرامل ولا تزال بعض الولايات تقصر المساعدة عليهن

ولكن الميل العام فى سائر الولايات هو الى مساعدة جميع الامهات سواء أكن أرامل أم بشرط أن يكون لهن أولاد يقمن على تربيتهم والعناية بهم وأن يكون أزواجهن لا يستطيعون العمل لأسباب ذى كرش أو عاهة أو سجن . وفى ولايات مشغن ونبراسكا وتنسى تشمل الاعانة المالية الأمهات اللواتى أولادهن غير شرعيين . والقاعدة التى جروا عليها أنه اذا كان للام ملك وقيمة ايراده تساوى الاعانة تمنع عنها هذه الأعانة واشترطوا أن تكون حسنة الأخلاق تستطيع الاعتناء بأولادها وتدبير منزلها وأن يكون المنزل صالحا لتربية الأولاد . وقد تمنع الاعانة الى أن يبلغ الطفل سن السادسة عشرة أو نحو هذه السن ومقادير الأعانة تختلف باختلاف الولايات ولكن يرجح أن أقصى اعانة تعطاها أم ترى ثلاثة أولاد تتراوح قيمتها من ٣٠ إلى ٧٠ ريالا فى الشهر وادارة هذه المعاشات فى أيدى مجالس اصلاحيات الأحداث أو فى مجالس البلديات . وقدر فى أميركا نحو ٤٠٠ الف طفل يستحقون هذه الأعانة إذا طلبوها من أبوابها ولكن الذين يحصلون عليها لا يزيد عددهم على ١٣٠ ألفا

الاسهال والالتهاب المعوى

أكثر الأدواء شيوعا بين الاطفال هو الأسهال والالتهاب المعوى وأسبابهما اللبن الملوث بالجراثيم والأقذار ومعظم وفيات الأطفال فى مصر وغير مصر ترجع بأسبابها اليه ومعدل الوفيات فى أطفال السنة الأولى أو دون السنة بقليل أعلى فى مصر منه فى سائر البلدان ماعدا الهند وشيلى ولكنه أعلى من جميع الأمم والشعوب فى هذه السن مما يليها من السنين الى الخامسة من العمر . ومما لاشك فيه أن أسباب ذلك تعود الى فساد اللبن والاهمال فى نظافته ومراقبة سوقه وحلبه وتوزيعه قبل استهلاكه وثبت أن المدن التى تراقب اللبن مراقبة صحية تعرف بهبوط نسبة وفيات الأطفال فيها ويقدرأن وفيات الاطفال الذين يتغذون بلبن البقر تبلغ عشرة أضعاف الوفيات فى الاطفال يتغذون بلبن الام . وهذا لا يعنى أن السبب فى ذلك هو الفرق الموجود فى نسبة العناصر فى تركيبها وانما السبب يرجع الى ما يطرأ على اللبن من العوارض والشوائب والميكروبات . والمرجح أن اسهال الاطفال فى فصل الصيف يعود فى الاكثر الى بعض الجراثيم فيه وقد يحدث الاسهال المعوى فى الاطفال والبالغين من عوارض غير طبيعية تصيب البقر أولا

الطفل وأخوه

حدث أن طفلا يبلغ الثالثة من العمر تغيرت أخلاقه عقب ولادة أخيه . فقد كان قبل أن يولد هذا الاخ نظيفا يقعد إلى المائدة ويأكل ولا يبول فى فراشه . ولكنه عقب ولادة الصغير صار يبكى كثيرا ويرفض الطعام ويبول ليس فى فراشه فقط بل أمام أمه أو أمام الخادمة

وحزنت الام لهذه الحال الطارئة . ولم تعرف كيف تعالجها وأخيرا لقيت خبيرا فى السيكلوجية الحديثة . وبعد أن درس هذا الموضوع قال لها :

« أن الطفل الاكبر يغار من أخيه الجديد . وقد رأى عنايتك تنصرف اليه دونه . فهو يريد أن يكون طفلا صغيرا مثله حتى تعتنى به فهو يبكى لكى تسكتيه وهو يبول لكى تنظفيه وهو يرفض الطعام لكى تطعميه . واذن يجب الا تبدي أمامه أي حب للصغير يوم اهاله . وقوى بأعمال تجعله يفهم أنه الابن الاكبر الممتاز . وميزيه باللباس والطعام والكلام ورويداً رويداً يسكن إلى مشاركة أخيه له فى حب أمه »

وفعلت الام ذلك ونجحت